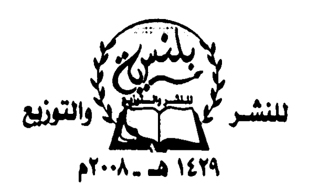
معانى القرآن في التراث العربى

الدراسة الصوتية

تأليف الدكتور

منير جمعة أحمد

مدرس العلوم اللغوية بآداب المنوفية



للنشر والتوزيع

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م



١٨اش مصطفى كامل - البر الشرقي - بجوار بزار الجمهورية ومكتب بريد البر الشرقي - شبين الكوم - المنوفية

تليفون: ٠٤٨٢٥٢٧٩٩٥(٠٠٢)
فاكس : ٠٤٨٢٥٨١٠٢٢(٠٠٢)
محمول : ٠١٢٤٣٩١٧٤٢(٠٠٢)
٠١٢٦٩٩٤٧٠٧(٠٠٢)

BALANCIA
BUPLISHERS
Egypt

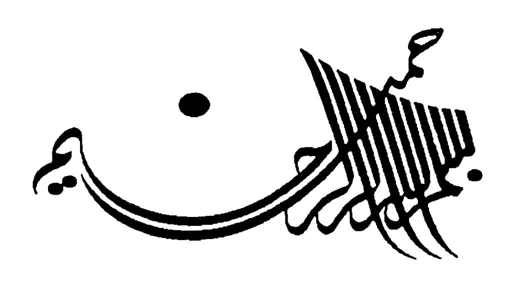
Tel-Fax : 0020482581023
Mob : 0124391742
0126994707
E-Mail :
anagmyy@yahoo.com
Web Location :
http://www. balancia.com

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بطاقة الفهرسة

جمعة ، منير .
معاني القرآن في التراث العربي/منير جمعة .
ط١ـ القاهرة : بلنسيه للنشر والتوزيع / ٢٠٠٦.
٢٢٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
تدمك : ٥ - ٠٢ - ٦١٩٢ - ٩٧٧
١ـ اللغة العربية - النحو
٢ـ التراث العربي ٣ـ فقه اللغة
أـ العنوان
ديوي ١, ٤١٥

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية 2462 / 2006
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977-6192-02-5





المقدمة

اللغة – كما عرفها ابن جني :(أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم).

ولذلك عني علماء العربية بالدراسات الصوتية، واستطاعـــوا الوصول إلى نتائج لا تبعد –في كثير من الأحوال - عما توصل إليه علماء اللغة المحدثون، على الرغم من غياب الأجهزة الصوتية المتطورة، وفقدان أجهزة التصوير الدقيقة، إذ كان قوام بحثهم التذوق الفردي، والملاحظة الشخصية بواسطة الأذن، وهو أمر لم يستغن عنه المحدثون أيضًا، باعتبار خطوة أولى وأساسية للبحث ولست بحاجة إلى التذكرة بأن الدراسة الصوتية عند العرب انطلقت من كونها ضرورة شرعية لإتقان تلاوة القرآن الكريم، وفهم تراكيبه وأسلوبه، فكانت البداية: إتقان نطق ألفاظه عن حفاظه، ثم أخذ معانيه عمن يعانيه!

وقد كانت بواكير الدراسات العربية في مجال الأصوات وصفية خالصة تعتمد على فطنة الدارس وثقافته وأمانته العلمية.

وكان في طليعة هؤلاء الباحثين أبو الأسود الدؤلي (المتوفى سنة ٦٩هـ) الذي اعتمد الرؤية البصرية المرتكزة على وصف كلمات القرآن الكريم وصفًا صوتيًا أخذه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ودرس الخليل بن أحمد (المتوفى ١٧٥ هـ) في مقدمة معجمه الرائد (العين) الصوت اللغوي المفرد، المجرد عن السياق، فانتهى به ذلك إلى ترتيب معجم ترتيبًا صوتيًا بحسب مخارج الأصوات التي قسمها إلى صحيحة وصائتة مبتدأً من الحلق ومنتهيًا بالشفتين، وهذا الصنيع أدق من صنيع المعاصرين الذين جعلوا البداية من الشفتين ولم يفته –وهو اللغوي المتفرد - أن يدرس التأثيرات التي يحدثها وجود الصوت داخل سياق معين، وكيف يتغير معنى الكلمة بتغير الصوت فيها.

وحمل الراية من بعده تلميذه العبقري سيبويه، الذي لم يخلّف وراءه سوى كتاب واحد لا يزال يشغل أذهان المتخصصين في علوم العربية إلى يوم الناس هذا وعلى الرغم من كون (كتابه) موسوعة في النحو العربي، فإنه -إلى جنب هذا -

لا يخلو من دراسة عميقة للأصوات المفردة، والمركبة على حدّ سواء، بالإضافة لبعض مباحث الدلالة والبلاغة.

ويأتي بعد جيل الرواد الأوائل هذا جيل (أهل المعاني) الأخفش والفرّاء والزّجاج وغيرهم الذين كانت لهم إسهاماتهم المبدعة مما سيتناوله هذا الباب بالتفصيل بإذن الله.

وخلف من بعدهم رجال فتحوا آفاقًا بعيدة في الدرس الصوتي، يأتي على رأسهم ابن جني (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) الذي خصص كتابًا كاملاً تتجلى فيه معرفته بجهاز النطق ووظائفه، وهو كتاب (سر صناعة الإعراب)، ولك أن تتأمل معي في هذا النص الذي يشبّه فيه ابن جني جهاز النطق بالنّاي وبوتر العود، يقول : "ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها ، التي هي أسباب تبين أصدائها ، م شبه بعضهم الحلق والفم بالناي ، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجًا ، كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعه ، فإذا وضع الزامر أنامله علي خروق الناي المنسوقة، وراح بين أنامله اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم، باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة....... ونظير ذلك، أيضًا وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعته له صوتًا، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدّي صوتًا آخر، فإن أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين، ثمّ كذلك كلما أدنى إصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة....."...[1]

وامتدت مسيرة الإبداع في دراسة الأصوات، ولم تقتصر على علماء التجويد، بل تصدّى لها كثير من الجهابذة من اللغويين الذين جمعوا ثقافة شاملة، ضربت بسهم من مجالات المعرفة المختلفة، ومنهم ابن سينا (توفى سنة ٤٢٨ هـ) الذي استغلّ براعته النادرة في مجال الطب ليكتب رسالته القيمة (أسباب حدوث الحروف) والذي تحدث فيه بدقة لا مثيل لها عن مخارج الأصوات، وذكر الحنجرة

(١) سر صناعة الإعراب (تحقيق حسن هنداوي)

–للمرة الأولى على الراجح - على انها من مخارج الأصوات، وسمّى بعض غضاريفها بأسماء لا يزال بعضها مستعملاً إلى الآن."[1] .

ولعل ابن سينا واحد من قلة قليلة في تاريخنا كله تمكنوا من وصف صوت الضاد وصفا دقيقا يقترب من وصف لمحدثين إذ يقول : " وأما الضاد فإنها تحدث عن حبس تام عندما يتقدم موضع الجيم وتقع في الجزء الأملس ..."[2]

ولعل تفرد ابن سينا هذا راجع إلى استمساكه بالمنهج الوصفي استمساكًا صارمًا جعله يلتفت إلى ما ينطق في بيئته (بخارى وهمذان واصفهان)[3] لا إلى ما ورد في كتب سابقين من العلماء حيث ذكر انه يصف "حدوث الحروف باختلافها في المسموع "[4]

وبهذا يظهر جليًا ان نطق الضاد حدث تطور تاريخي في القرن الرابع الهجري بحيث صار ينطق شديدا مجهورًا من بين طرفي اللسان واصول الثنايا العليا ، بعد ما كان – كما وصفته كتب التراث – رخوا مجهورا من بين أول حافة اللسان ما يليها من الأضراس .

وهكذا استمرت سيرة الدراسات الصوتية العميقة عند الباحثين العرب سلفا وخلفا واستحقت الثناء من المنصفين في هذا العصر من اكابر اللغويين .

شهادة المستشرقين

قد يظن بعض المتعجلين ان جهود العرب التي اشرنا لبعضها في دراسة الأصوات جهود غير ذات بال لكن ظنه سيتبدد دون شك حين يقرا مجموعة من الشهادات النصفة لعدد من كبار اللغويين في العالم .

لقد شهد هؤلاء بأنه لم يسبق العرب – زمنيًا – في هذه الدراسة الصوتية المدهشة سوى الهنود القدماء الين درسوا لغتهم (السنسكريتية) لغة كتابهم

---

(١) انظر الأصوات اللغوية للدكتور أنيس: ١٤٢ والقانون في الطب لابن سينا ١ / ٤٤ وأسباب حدوث الحروف :٦

(٢) أسباب حدوث الحروف :١٠-١١

(٣) الأعلام للزركلي ٢/٢٤١

(٤) انظر مقدمة رسالة أسباب حدوث الحروف ٢

المقدس (الفيدا) وسطع اسم علامتهم الشهير (بانيني) الذي لا يعدله عند العرب إلا سيبويه[1].

وقد قرر هذه الحقيقة الألماني الشهير (برجشتراسر) الذي يقول :"لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان : العرب و الهنود "[2]

وكذلك اللغوي الإنجليزي (فيرث) حيث يقول : "إن علم الأصوات قد نما وشب في خدمة لغتين مقدستين هما : العربية والسنسكريتية "[3]

ونجد جانبًا من الإنصاف المفتقد عند بعض العرب ، أيضًا عند المستشرق (جان كنتينو) إذ يقول : "إن الدراسات الصوتية عند النحاة العرب هي دراسة نفيسة ، ولورجع إليها الباحثون العصريون أكثر مما فعلوا لتمكنوا من اجتناب كثير من الهفوات التي وقعوا فيها ." [4]

وهذا كلام يغني عن كل تعليق !

أهل المعاني والدراسة الصوتية :

لا يخفى على المتابع لمسيرة الدراسة الصوتية أن البحث الصوتي قد توزع على علمين مستقلين هما :

علم الأصوات اللغوية (phonetics) الذي يدرس الأصوات مفردة .

علم وظائف الأصوات اللغوية (phonology) الذي يدرس الأصوات المركبة في درج الكلام .

وكلا العلمين متكاملان متناغمان لا غنى لأحدهما عن الآخر .

وقد درس علماء العربية النوعين جميعًا، ومنهم أهل المعاني، الذين ساروا على نهج النحاة وأصحاب المعاجم في دراسة الأصوات اللغوية ، لكن غايتهم الأولى تمثلت في الكشف عن أسرار التراكيب القرآنية ، واستكناه غوامض المعاني، ولاعجب في ذلك فإن مصنفاتهم – على اختلاف مناهجهم التي مرت بنا في الباب الأول من هذه الدراسة – تحمل عنوانًا ثابتًا هو (معاني القرآن) أواحد مرادفاته كما أسلفنا من قبل ؛ لذا فإن دراسة الأصوات في هذه الكتب وسيلة لا غاية !

---

(١) انظر علم الأصوات اللغوية للدكتور عصام نور الدين : ٦

(٢) البحث اللغوي عند العرب ٧٩.

(٣) نفسه

(٤) دروس في علم أصوات العربية (ترجمة صالح القرمادي).

وقد كان سيبويه وهو كبير النحويين يتبع المنهج نفسه إذ يقول :" وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك، ولا يجوز فيه"[1]

وكذلك بعض أصحاب المعاجم، ومنهم دريد الذي يقول: "وإنما عرفتك النجاري [مخارج الحروف] لتعرف ما يأتلف منها مما لا يأتلف"[2]

أصحاب المعاني -إذن - الذين يعالجون السياق القرآني وتراكيبه كان من البديهي أن يصرفوا جل اهتمامهم إلى النوع الثاني من أنواع البحث الصوتي، وهو دراسة الأصوات المركبة حين يجتمع بعضها مع بعض ودراسة التأثر، ونوعه، للوصول إلى الأصل الذي ينبني عليه القصيد عنهم وهو المعنى الذي كان جميعهم يدندن حوله! وإن عبروا عنها بألفاظ آخر كما سيتضح في الدراسة - ومن هنا فقد تحثوا عن المماثلة والمخالفة الصوتية وعن الإدغام والإبدال، والوقف والإمالة وغير ذلك.

وقد ارتأيت أن أُقدم الدراسة هذه الظواهر بمقدمة نظرية أتتبع فيها أصل الظاهرة وحديث الرواد عنها، وموقف المحدثين منها ثم أتتبع حديث أهل المعاني عنها من الأقدم للأحدث، وأختم بمقارنة التحليل الصوتي عند أهل المعاني بما انتهى إليه الأصواتيون المعاصرون.

و فيما يلي بعض النماذج لتعرض أهل المعاني للأصوات المفردة من ناحية المخارج الصوتية :

١ - يقول الأخفش في معانيه في تفسيره لقوله تعالى:(افلم يدبروا القول) (المؤمنون ٢٣/٦٨)

"ومثله في القرآن كثير ، و انما هو (يتدبرون) فادغمت التاء في الدال لأن التاء قريبة المخرج من الدال، مخرج الدال بطرف اللسان ، و أطراف الثنيتين، ومخرج التاء بطرف اللسان و أصول الثنيتين، فكل ما قرب مخرجه فافعل به هذا، ولا تقل في (يتنزلون) : ينزلون ، لأن النون ليست من حروف الثنايا كالتاء "[3]

---

(١) الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٣٦

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ٩٠٨/١

(١) معاني الأخفش ١١٤/١

٢ - يقول الفراء في تفسيره لقوله تعالى (ثم اتخذتم العجل) (البقرة ٢/٥١) و في قراءة عبد الله (اتختم العجل)[1] و كذلك قوله تعالى(وإني عذت بربي وربكم) (غافر ٤٠/٢٧) فقد قراها عبد الله : (وإني عُتُ بربي)[2] ..... فادغمت الذال أيضًا عند التاء، و ذلك انهما متناسبتان في قرب المخرج ، و التاء والذال مخرجهما ثقيل، فانزل الإدغام بهما لثقلهما، الا ترى أن مخرجهما من طرف اللسان، وكذلك الظاء تشاركهن في الثقل، فما آتاك من هذه الثلاثة الأحرف، فادغم وليس بترك الإدغام بخطأ، إنما هو استثقال ....." [3]

٣ - وجاء عند الزجاج في معانيه في تفسيره قوله تعالى:(إن الله اصطفاه عليكم) (البقرة ٢/٢٤٧) " اصطفاه معناها اختاره، وهو افتعل من الصفوة ، والأصل اصتفاه ، فالتاء إذا وقعت بعد الصاد ابدلت طاء، لأن التاء من مخارج الطاء، والطاء مطبقة ، فأبدلوا الطاء من التاء ، ليسهل النطق بما بعد الصاد ، وكذلك افتعل من الضرب : اضطرب ، ومن الظلم : اظطلم " [4]

٤ - وجاء عند النحاس في معانيه : " و الذي عليه أكثر أهل اللغة أن تكون(بكة) و(مكة) واحد وان يجوز أن تكون الميم مبدله من الباء، يقال: لازب ولازم ، وسبد شعره وسمده ، إذا استأصله" [5]

ولاينبغي لأحد إذن ان يسارع بالاعتقاد ان كتب المعاني تخلو من دراسة الأصوات المفردة ، فهذا أمر غير صحيح.

فكتب المعاني تتعرض لوصف الصوت احيانًا ، و للحديث عن مخرجه أحياناً أخرى ، و تتعرض لسائر مباحث علم الأصوات اللغوية ، لكن ذلك في إطار البحث عن تفسير صوتي لظاهرة ما، ولعل هذا النص الذي ننقله عن معاني القراءات) للأزهري يبين ما نرمي إليه ، حيث يقول في تفسير القراءات الواردة في لفظ (الصراط) " من قرا بالسين فهو الأصل ؛ لأن العرب تقول : سرطت اللقمة سرطا

---

(٢) قرأ بها أيضًا كثير من القراء السبعة انظر السبعة ١١٤ والنشر ٢/١٥

(٣) معاني القرآت ١/١١١

(٤) معاني الفراء ١/١٧٢

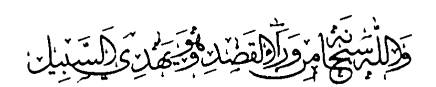
(١) معاني الزجاج ١/٣٢٨

(٢) معاني القرآن للنحاس ١/٤٤٣١

..... و من قرأ بالصاد فلأن مخرج السين و الصاد من طرف اللسان فيما بينه وبين الثنايا، و السين والصاد يتقابلان ويتعاقبان في كل حرف فيه غين أو قاف أو طاء أو خاء ...... روى ذلك الثقات عن العرب ، والسين فالذي يعني الأزهري هنا ليس الإبدال كما قد يبدو من البنية السطحية للكلام وإنما بيان أصل الكلمة ليتوصل إلى المعنى؛ ولذا يأتي تحليله الصوتي محكومًا بهذه الفكرة، وإن كان قوله هنا : " و الصاد حرف مجهور "[١] كلامٌ لم يقله أحد قط، و لم يقله هو نفسه في كتابه (تهذيب اللغة)[٢]

ويبدو أنه سهوٌ منه أو من أحد الناسخين ! على أية حال فإن كتب المعاني فيها حديثٌ عن الأصوات المفردة ، في سياق حديثها عن الظواهر الصوتية،ولذا فسوف أتعرض لحديثهم هذا حيثما عرض في ثنايا هذه الدراسة، من غير أن أصنع لها بحثًا مستقلاً لأنهم لم يفعلوا ذلك.

و جدير بالذكر أن منهج هذه الدراسة منهج وصفي يرصد الظاهرة الصوتية ويحللها ويحاول أن يتلمس لها تفسيرًا صوتيًا مقبولا عند القدماء والمحدثين ، ولا يعنى بإصدار الأحكام المطلقة ، أو إعطاء قيمة ما لسلوك صوتي معين .



كتبه

منير جمعة أحمد

مدرس العلوم اللغوية بقسم اللغة العربية

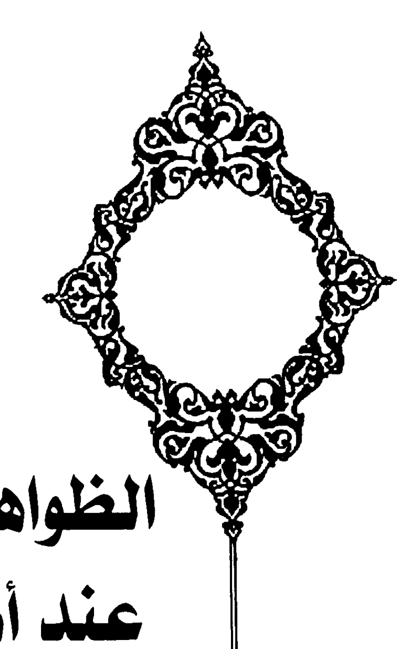
بآداب المنوفية

---

(٣) معاني القرآن للنحاس ٤٤٣١/١

(٤) انظر تهذيب اللغة ٣٣٠/١٢

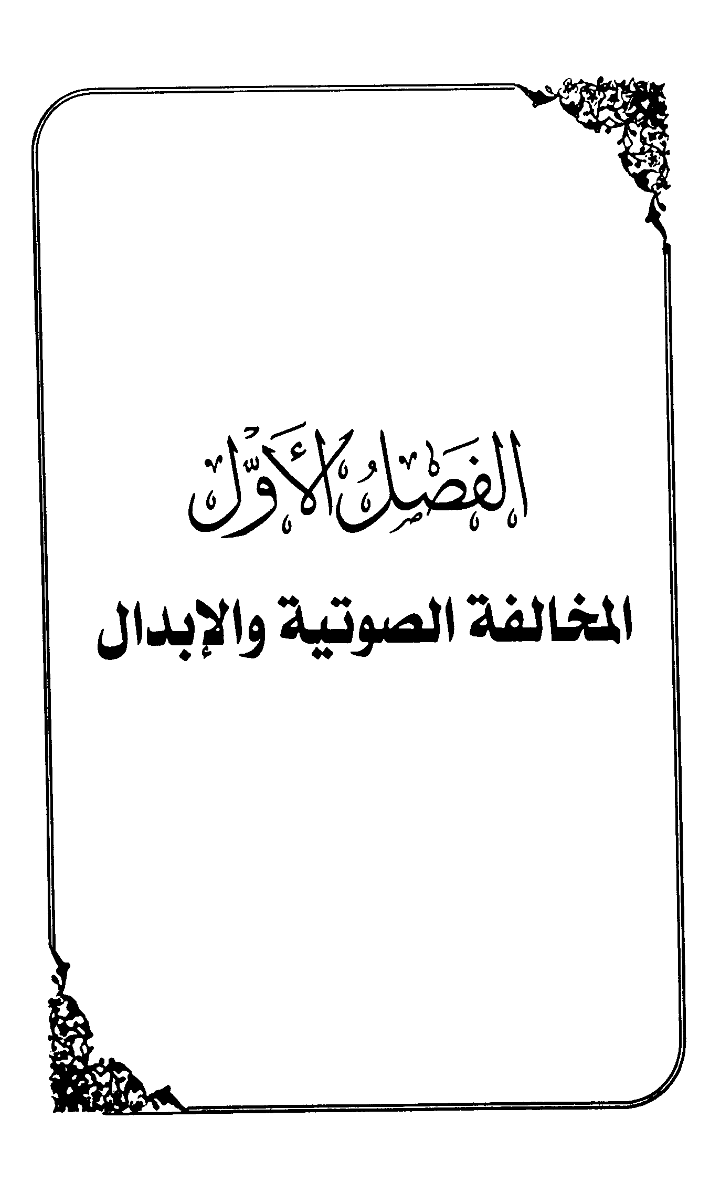




الظواهر الصوتية عند أهل المعاني

ويتضمن فصولاً ثلاثة :





الفصل الأول

المخالفة الصوتية والإبدال

المخالفة الصوتية

تعريف المخالفة الصوتية :

مصطلح المخالفة أحد المصطلحات اللغوية التى دخلت إلى الدراسات اللغوية الحديثة ترجمة للمصطلح الغربي Dissimilation ، أى سلب المماثلةِ Assimilation وقد شاع مصطلح المخالفة شيوعا كبيرا عند اللغويين المعاصرين .

وإن كان علماء العربية قد فطنوا له منذ عهد بعيد ،فقد جاء في معجم العين :"... وأما (مهما) فإن أصلها (ماما) ، ولكن أبدلوا من الألف الأولى
(هاء) ليختلف اللفظ " [1].

ويمكن القول إن المخالفة تعني " تغير أحد الصوتين المثلين فى كلمة من الكلمات إلى صوت آخر مخالف " [2]

ويبدو الفرق بين المخالفة والإبدال فى أن المخالفة تتم بين الأصوات المتماثلة ، أما الإبدال فيمكن أن يحدث بين المتجانسين والمتقاربين وربما المتباعدين – كما يرى بعض العلماء ــ إلى جانب المتماثلين ، كما أن المخالفة يمكن أن تتم بالحذف ، على خلاف الإبدال .

(١) العين (السامرائي) ٣/٣٥٨ .

(٢) انظر : A Dictionary of Linguistics and phonetics , pp 708-709
وظاهرة المخالفة الصوتية للدكتور أحمد هريدي ١٥.

أنواع المخالفة :

يرى بعض اللغويين ان التخالف نوعان :

١ - تخالف بالتغيير.

٢ - تخالف بالحذف .

اما التخالف بالتغيير ، فهو قسمان : متصل و منفصل .[١]

فالمتصل : ما تتابع فيه الحرفان المثلان بلا فاصل بينهما بصامت آخر . مثل : (البتّ) : القطع ؛ فقد خولف الساكن الأول ؛ فصارت الكلمة : البرت والبلت ، وهو ماحدث ايضا عند إسناد الماضى منه إلى ضمير المتكلم او المتكلمين ، فقد صارت (بَتَتُّ): بتلت، (وبَتَتْنَا): بتلنا[٢]

والمنفصل : ما كان بين حرفيه فارق ، نحو كلمة : اخضوضر ، أصلها اخضرضر، من اخضر ، فأبدلت الراء الأولى واوا لجوار مثلها ، وهذا النوع فى اللغة العربية والساميات يتوافر فى الأفعال الثنائية المضاعفة ، مثل كبكب ، ودبدب ، وقهقه ، ويلاحظ فى هذه الأفعال انها حكاية لأصوات ، وعددها قليل قياسا على الثلاثى المكون من ثلاثة صوامت مختلفة ، كما يلاحظ فيها أيضًا ان الصوتين الأول والثالث مثلان ، كما ان الثانى والرابع مثلان .

اما التخالف **بالحذف** ، فيحدث في حالة توالى بعض الأصوات المتماثلة فى مقاطع قصيرة مفتوحة ، بأن يتم حذف احد الصوتين المتماثلين ، وغالبًا ما يكون احد المورفيمين الصرفيين ، كما فى كلمة (تتذكرون) التي تحولت

---

(١) انظر اللغة لفندريس٩٥ والتطور النحوي لبرجشتراسر٣٣-٣٤

(٢) انظر ظاهرة المخالفة الصوتية ٤٠-٤١

إلى (تـذكرون) ، ففـي الكلمـة في الأصـل تـاءان : الأولى مـورفيم الخطـاب والمضارعة ، والثانيـة مـورفيم المطاوعـة ، ثـم حـذف أحـد التـاءين للـتخلص مـن توالي المقاطع المتماثلة [1].

وكـذلك في قولـه تعـالى : ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ (الحجـر:١٥/ ٥٤) فاصـلها : تبشرونني.

اتجاه التخالف : [2]

يرى كثير من اللغويين المعاصرين ان انماط التخالف اربعة ، وهي :

١ - مخالفة تقدمية ومتماسة : Progressive and contiguous

٢ - مخالفة تقدمية ومتباعدة : Progressive and distance

٣ - مخالفة راجعة ومتماسة : Regressive and contiguous

٤ - مخالفة راجعة ومتباعدة : Regressive and distance

والمقصود بتقسيم المخالفة إلى تقدمية وراجعة : النظر إلى الصوت المؤثر لا المتـأثر (المتغير) ، فـإذا تغـير اللاحـق كـان ذلـك بتـأثير السـابق ، وعـدت المخالفة تقدمية ، وإذا حدث العكس ، وتغير السابق بتأثير اللاحق عدت رجعية [3].

اما المقصود بتقسيمها إلى متباعدة ومتماسة ، فيقصد به ما اشرت إليه من قبل من تقسيم التخالف إلى منفصل ومتصل.

---

(١) كراهة توالي الأمثال في أبنية العربية لأستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب . ضمن (بحوث ومقالات في اللغة ٢٧-٥٦)

(٢) انظر رأي كنت في: Assimilation and dissimilation , pp.251, 252 , 258

ورأي موسـكاتي ورفاقـه في : Comparativegrammarof theSemitic languages,p.59

ورأي هارتمان وستوك في: Dictionary of language and linguistics, p.69

(٣) انظر: ظاهرة المخالفة الصوتية ٢٨.

سبب حدوث المخالفة :

يبدو لي ، أن المتتبع لماكتبه المحدثون عن أسباب حدوث المخالفة لا يكاد يجد جديدًا يختلف عما كتبه الأقدمون من علمائنا ، فهم جميعًا يُرجعون هذه الظاهرة لسبب واحد : هو التخلص من الثقل الناشئ عن إصدار الجهاز النطقي صوتين متماثلين متتابعين ، وإن تعددت عباراتهم في ذلك ؛ فسيبويه - ذلك الرائد المبدع - لم يفُته ذكر ذلك في كتابه ، إذ يقول :

" اعلم ان التضعيف يثقل على السنتهم ، وان اختلاف الحروف اخفُّ عليهم من أن يكون من موضع واحد " [1] ، وكذلك ابو عكرمة الضبي الذي قال - وهو يتحدث عن لفظ (تقنّى) - : " وكان الأصل : تقنّن ، فأبدلت النون الأخيرة ياءً؛ كراهة لاجتماع حرفين من جنس واحد " [2] ، ويقول ابن جنيّ ايضًا : " ... ومن ذلك استثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما " [3] .

ورجع المحدثون ظاهرة المخالفة إلى السبب الذي أشار إليه القدماء، ومنهم برجشتراسر، الذي أرجع علة المخالفة إلى الحاجة إلى تيسير الجهد العضلي المبذول في النطق ، وإن رأى ايضًا ان التخالف له علة نفسية ؛ لأن المتكلم يريد زيادة التأثير بزيادة حرف ، وذلك في حالة المخالفة التي تقع بين صوتين متصلين ، أما إن كان الصوتان المتماثلان منفصلين ؛ فإنه يرى أن العلة نفسية محضة بسبب الخطأ في النطق ، حين يسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة [4] .

---

(١) الكتاب ٢/٣٩٧ .

(٢) الأمثال لأبي عكرمة ٨٤ .

(٣) الخصائص ٢/٢٣١ .

(٤) انظر : التطور النحوي ٣٤-٣٥.

ولم يخالف اللغويون العرب من المعاصرين في أن سبب المخالفة تيسير الجهد العضلي [1] أيضا، وإن رأى بعضهم أن برجشتراسر يكاد ينفرد بمسألة العلة النفسية[2].

ولكن أحدا منهم لم يجب عن سؤال مُلحّ ، وهو : لماذا يخالف صوت ما في كلمة ما ، ولا يخالف في سائر الكلمات الأخرى؟ ، وبتعبير آخر : هل المخالفة ملزمة ؟ ولماذا ؟ .

أما الإجابة عن السؤال الأول ، فالحق أنه لم يغب عن إدراك هؤلاء العلماء أن المخالفة أمر ليس ملزمًا ، لورود ألفاظ اجتمعت فيها ثلاثة أمثال - وليس مثلان فقط - ومع ذلك لم يُبدل أحدها ، مثل (تعلّل) ، و(تصبّب)، و(تحدّد)، ولذا قال ابن جني : " لم يكن واجبا ... وإنما غُيّر استحسانا ... ولم يكن موجبا لتغيير كل ما اجتمعت فيه أمثال " [3] .

أما **السؤال الثاني فأمر معضل !** إذ لا أظن أن الإجابة المقتضبة بأن المخالفة الصوتية نوع من الاتجاهات أو الميول وليست قانونًا ، يمكن أن تفسر لنا شيئًا ، إذ تبقى اللغة في اختياراتها ومسالكها لغزًا يصعب حله.

أصوات المخالفة :

تعرض بعض المحدثين لرصد الأصوات المبدلة والمبدلة منها، ومنهم المستشرق (هرتز) الذي يرى أن الحروف المائعة تعد وسيلة مخالفة للتضعيف في الصيغ المضعفة القديمة [4] .

(١) انظر الأصوات اللغوية ٢١١،والتطور اللغوي لأستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ٤١ - ٤٧.

(٢) انظر دراسات لغوية في تراثنا القديم ٧٥ .

(٣) الخصائص ٢/٢٣٣ .

(٤) انظر دراسة الصوت اللغوي ٣٣٠ .

ويبدو انه بنى رايه على ما توصل إليه المحدثون من ان اللغات تستخدم السواكن الأنفية والترددية بشكل اكثر من غيرها ، لتحقيق عنصر المخالفة ، واقتران هذا عندهم بورود الفاظ تمت فيها ظاهرة التخالف بإحلال الأصوات المائعة (م ، ل ، ن ، ر) بدل احد الصوتين المتماثلين ، لكنه لم يتعرض بالذكر للصيغ التي استعمل فيها صوت الياء لتحقيق المخالفة ، مثل : (دنّار) و(دينار) ، و(تظننت) و(تظنيت) وهي تفوق في عددها الأضعاف من الصيغ التي استعملت فيها الأصوات المائعة [1] .

وهو ما عبر عنه الدكتور إبراهيم انيس بقوله : " إننا نلحظ ان كثيرًا من الكلمات التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة ، يتغير احد الصوتين إلى صوت لين طويل - و هو الغالب - او إلى احد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان " [2] .

وقد اشار الدكتور انيس ايضًا إلى استثناء نادر وهو : استخدام صوت (العين) لتحقيق عنصر المخالفة احيانًا [3] .

اما عن الأصوات التي يدخلها التخالف فقد تعرض لها الدكتور إبراهيم انيس ايضًا فقال : " إذا علمنا ... ان اشق الأصوات هي المطبقة ، والرخوة بوجه عام ، ادركنا ان المخالفة لا تكاد تتم إلا حين يتجاور صوتان

---

(١) انظر دراسات لغوية في تراثنا القديم ٧٦ .

(٢) الأصوات اللغوية ٢١٤ ، وهو ما ذهب إليه أوليري أيضًا في كتابه :

Comparative grammar of the Semitic languages, pp.81-87

ووافقه الدكتور أنيس والدكتور رمضان عبد التواب ، انظر الأصوات اللغوية ١٥٣ ، والتطور اللغوي ٣٧.

(٣) وضرب أمثلة لذلك بالفعل (كبّل) ، فقد استُخدم صوت العين لفكّ تضعيف (الباء) فيه، فتحول إلى (كعبل) في لهجتنا العامية ، انظر : في اللهجات العربية ٢٢٢ ، وظاهرة المخالفة الصوتية ٣١ .

مثلان من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة ، ولا تكون بين الأصوات الشديدة إلا نادرًا " [1].

ولعل الأمثلة التي جمعتها هنا - في هذه الدراسة - لا ينطبق عليها رأي الدكتور أنيس ، لأن أكثر الأصوات التي استبدلت ليست مطبقة ولا رخوة ، بل من الأصوات المتوسطة ، وتلتها في النسبة الأصوات الشديدة (الباء، والدال) ثم الرخوة ، فالمطبقة ، مع معرفتنا بأن الأصوات المتوسطة تتميز بالخفة في النطق ، لكن يبدو أن النطق العربي لا يميل إلى تضعيفها ميله إليها بصورة منفردة ([2]

ولذا يرى أكثر علماء اللغة المعاصرين أن جميع الأصوات تقبل التخالف[3] وإن كان بعضها تعلو نسبة قبوله لها عن غيره لاعتبارات تتعلق بـ"نظام اللغة الذي يسمح أولا يسمح بتتابعات صوتية معينة كثرة أو قلة" [4].

أما عن العلاقة بين الأصوات المخالف بها والأصوات المتخالفة ، فإن بلومفيلد [5] في دراسته عن اللغات الهندواوربية يرى أن الصوت المخالف به يكون في الغالب من داخل المجموعة الصوتية للأصوات مجال التخالف ، ولكن هل ينطبق ذلك على الساميات بصفة عامة والعربية بوجه خاص؟ الشواهد - عندي - تؤيد ذلك ، وإن كنت أرى أن الأمر لا يزال - إلى الآن - يحتاج لبحث ودراسة قبل الإجابة القاطعة عن هذا السؤال.

---

(١) انظر : الأصوات اللغوية ١٥٥.

(٢) وانظر أيضًا : دراسات لغوية في تراثنا القديم ٧٦ .

(٣) انظر : فقه اللغات السامية لبروكلمان ٧٤-٧٦. وكذلك رأي رودولف روتسكا في كتابه: Konsonantiche dissimilation in den semitischen sprachen,. p 268:

(٤) ظاهرة المخالفة الصوتية ٢٥.

(٥) في كتابه : Language , p.390

أمثلة المخالفة الصوتية في كتب معاني القرآن :

شُغل كثير من أهل المعاني بإبراز نماذج للمخالفة الصوتية في كتبهم ، وإن لم يستخدموا هذا المصطلح ، وهم معذورون في ذلك بطبيعة الحال ، وقد استخدم بعضهم مصطلح الإبدال للدلالة على هذه الظاهرة ، اقتفاءً لأثر سيبويه الذي عبر عنها بقوله (هذا باب ما شذّ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف ، وليس بمطّرد " [1]. وهو عنوان لا يشمل إلا صورة واحدة من صور المخالفة الصوتية. ذلك ان المتأمل في كتب المعاني يستطيع ان يحصر النماذج التي ذكروها تحت الصور التالية :

١- مخالفة بإبدال احد جزئي المضعف ياءً أو واواً (وهو ما ذكره سيبويه ، وإن لم يشر إلى الواو).

٢- مخالفة بالإبدال الموطئ للإدغام.

٣- المخالفة بإبدال الهمزة الثانية الفاً أو واواً أو ياءً.

٤- المخالفة بالحجز أو الفصل بين الهمزتين.

٥- المخالفة بالحذف ، وهي اقسام :

أ - حذف تاء تتفعل وتتفاعل.

ب - حذف العين في الفعل المضعف عند إسناده إلى تاء الفاعل.

ج - صور أخرى للحذف.

وسأقوم بإذن الله بعرض الأمثلة التي ذكرها أهل المعاني في إطار تلك الصور.

---

(١) الكتاب ٤/٤٢٤ ، وقد علق الدكتور صبحي عبد الحميد علي كلام سيبويه هذا بقوله : " نكاد نجزم بأن الشذوذ الذي أراده سيبويه شذوذ قياس ، وليس شذوذ استعمال ؛ لأن الدافع إليه كراهية اجتماع الأمثال " انظر اللهجات العربية في معاني الفراء ٩٤.

أولاً : المخالفة بإبدال أحد جزئي المضعف ياءً أو ألفًا أو واوًا :

وقد ذكر الفراء من ذلك احد عشر مثالاً ، جمعها في موضع واحد ، في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنهَا ﴾ (الشمس ٩١/ ١٠) حيث قال [١] :

".. ونرى – والله أعلم – ان دساها من : (دسست) بدلت بعض سيناتها ياء ، كما قالوا : تظنيت ، من : الظن ، وتقضيت يريدون : تقضضت ، من تقضض البازي ، وخرجت أتَلَعَّى : التمس اللعاع ارعاه [٢] ، والعرب تبدل في المشدد ، الحرف منه بالياء والواو ، من ذلك ما ذكرت لك ، وسمعت بعض بني عقيل ينشد : [الرجز]

يشبو بها نشجانه من النشج [٣]

هذا آخر بيت ، يريد : يشب : يظهر ، يقال : الخمار الأسود يشب لون البيضاء [٤] ، فجعلها واواً ، وقد سمعته في غير ذلك ، ويقال : دوية وداوية [٥] ، ويقال : اما فلان فصالح ، وأيما ، ومن ذلك قولهم : دينار ، اصله دّنار ، يدل على ذلك جمعهم إياه دنانير ، ولم يقولوا : ديانير ، وديوان كان اصله : دوان ،

---

(١) معاني الفراء ٣/٢٦٧.

(٢) اللعاع : أول النبت ، قال ابن منظور : " خرجنا نتلعّى ، أي نأكل اللعاع ، كان في الأصل: نتلعع مكرر العينات ، فقلبت إحداها ياء ، كما قالوا تظنيت من الظن " اللسان (لعع) ٨/٣٢٠ وانظر المقاييس (لع) ٥/٢٠٦.

(٣) البيت مجهول النسبة ، انظر شرح أبيات معاني الفراء ٧٧.

(٤) جاء في اللسان (شبب) : " شب لون المرأة خمار أسود لبسته ، أي زاد في بياضها ولونها ، فحسنها " ١/٤٨٢ دار صادر.

(٥) قال ابن الأنباري في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٤٤٢ : " دوية : منسوبة إلى الدو ، والدو : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف "

لجمعهم إياه : دواوين ، وديباج : ديابيج ، وقيراط : قراريط ، كأنه كان قرّاط ، ونري أن دساها : دسسها : لأن البخيل يخفي منزله وماله ... "

وهذا النص المفصل يتميز بإيراد أصل الكلمة ، ثم ما حدث لها من تطور صوتي عن طريق الإبدال وهذه هي الكلمات العشر وما أصابها من تطور ، بخلاف (دسست دسيت)

١ - تظنّنت	تظنيت	٢ - تقضّضت	تقضيت
٣ - اتلعع	اَتَلَعّى	٤ - يشبّ	يشبو
٥ - دوّية	داوية	٦ - أمّا	ايما
٧ - دنّار	دينار	٨ - دوّان	ديوان
٩ - دبّاج	ديباج	١٠ - قرّاط	
قيراط			

وقد ذكر الفراء أمثلة للإبدال بالواو (يشبو) ، وهو أمر لم يشر إليه من جاء بعده ، كما لم يشر إليه سيبويه كما مر بنا ، كما ذكر مثالاً شعرياً إلى جوار المثال القرآني ، وجاءت بقية أمثلته من كلام العرب.

ويعد الزجاج - مع قلة ما أورد من الأمثلة - واحداً من القلائل الذين احتفوا بمثل هذا النوع من المخالفة فقد ذكر القاعدة التي أرساها سيبويه ، ومثل لها ، واستشهد عليها ببيت شعري ، حيث يقول [1] في (دساها) : " والأصل : دسسها ، ولكن الحروف إذا اجتمعت من لفظ واحد أبدل من أحدها ياء، قال الشاعر : [الرجز]

تَقَضِّيَ الْبازي إذا الْبازي كَسرْ (٢)

(١) معاني الزجاج ٣٣٢/٥.

(٢) البيت للعجاج في ديوانه ق٧٥/١ ص ٨٣ وإبدال ابن السكيت ١٣٣ والمخصص ٢٨٩/١٣ والأمالي ١٩١/٢ ، والتهذيب (عقي) ٢٩/٣.

قالوا معناه : تقضّض ".

كما ذكر جامع العلوم النحوي مثالاً آخر إلى جوار (دساها) حيث يقول : " أي : دسسها بالفجور ، فأبدل من السين الأخيرة ياء، كما قالوا: تظنيت، والأصل تظننت " [١]

أما بيان الحق النيسابوري ، فقد اكتفى بذكر أصل (دسّاها) مع القاعدة ، فقال : "دسسها والعرب تقلب المضعف إلى الياء تحسيناً للفظ " [٢] .

ويلاحظ هنا أن الفراء انفرد من بين علماء المعاني بأمرين : الأول : جواز إبدال أحد حرفي المضعف بالواو بينما اقتصر الباقون علي الياء ، والثاني : نسبته هذه الظاهرة لبني عقيل.

وقد تحدث بعض علماء المعاني عن هذا النوع من المخالفة أيضاً عند تعرضهم لتفسير قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ (البقرة ٢/ ٢٥٩)، وعلى رأسهم الفراء ، الذي كان أكثرهم احتفاء بهذه الظاهرة كما أسلفت ، إذ يقول : " ... ومن قال في تصغير (السنة) سنينة – وإن كان ذلك قليلاً - جاز أن يكون تسنيت : تفعلت ، أبدلت النون بالياء ، لما كثرت النونات ، كما قالوا : تظنيت وأصله الظن ، وقد قالوا هو مأخوذ من قوله :﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (الحجر ١٥/ ٣٣) يريد متغير ، فإن يكن كذلك فهو أيضاً مما أبدلت نونه ياء " [٣].

وكما أكد الفراء كلامه السابق ، فقد صنع الزجاج الصنيع نفسه إذ يقول : " وقد قال بعض النحويين إنه جائز أن يكون من التصغير ، من قولك :

---

(١) الكشف ٢/٤١٨.

(٢) إيجاز البيان ٢/٨٨٠.

(٣) معاني الفراء ١/١٧٢ ، وانظر حديث الفراء عن هذه الظاهرة أيضاً في معانيه ١/٢١٧.

(من حما مسنون)، وكان الأصل عنده (لم يتسنن) ولكن ابدل من النون ياء كما قال : [الرجز]

تقضـــي البـــازي إذا البـــازي كســـر

يريد تقضض "[1]. وجاء في الكشف : " قيل اصله : لم يتسنن ، الفعل فيه تسننت ، من قوله : ﴿ مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (الحجر ١٥/ ٢٦) ؛ فأبدلت من النون الآخرة ياء ، فقيل: تسنيت ، كما تقول : تظنيت ، واصله : تظننت" [2]

وهكذا نجد أهل المعاني يرددون آراء سابقيهم في أكثر من موضع ، بما يعني إدراكهم لأهمية لفت الأنظار لتلك الظاهرة ، لأنها تفسر - أو تسهم في تفسير – ما يطرأ علي بعض الألفاظ من تطور صوتي ، وقد التفت ابن السكيت وابو الطيب اللغوي ، من أصحاب كتب الإبدال ، إلى هذه الظاهرة ، وعالجوها كل بطريقته ، فابن السكيت متأثر بسيبويه ، ولذا فقد عقد بابا اسماه (باب حروف المضاعف التي تقلب إلى ياء) [3] ، بينما تناول ابوالطيب القضية في اكثر من موضع ، ولم يجعلها تحت باب واحد، ففي ﴿ دَسَّنهَا ﴾ علي سبيل المثال، يقول [4]:" إنما هو من دسست ، كأنه أراد (من دسسها) فأبدل من إحدي السينات ياء " وشبيه بهذا ما فعله في باب (النون والياء)

---

(١) معاني الزجاج ٣٤٣/١.

(٢) الكشف ٢٩٨/١-٢٩٩.

(٣) إبدال ابن السكيت ١٣٣.

(٤) إبدال أبي الطيب ٢١٥/٢.

حيث يقول : تظننت وتظنيت من الظن " [1] وهكذا عند أصحاب المعاجم [2] وعلماء العربية [3] وقد ساد في اللهجة العامية المصرية هذا الإبدال[4].

ثانياً : المخالفة بقلب الهمزة الثانية ألفاً أو واواً أو ياء :

الهمزة صوت ثقيل ، ولذا فإن نطقه تعتريه أحوال كثيرة ، أسهب العلماء في الحديث عنها [5] ، وإذا اجتمعت همزتان فإن الصعوبة تزداد . لأن ذلك يتطلب جهداً عضلياً ، ولذلك لم يبق هذا الصوت علي حاله ، وكان الأخفش من أوائل من التفت لهذه الظاهرة ، فعالجها علاجاً مفصلاً طويلاً في كتابه ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ (البقرة ١٣/٢) إذ يقول : " قراهما قوم مهموزتين جميعاً ، وقالوا : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ (البقرة ٦/٢) ، ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ (فاطر ٤٣/٣٥) ، وقالوا ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ﴾ (الاسراء: ٤٩/١٧)) و﴿ أَءِنَّا ﴾

---

(١) إبدال أبي الطيب ٤٥٩/٢.

(٢) انظر علي سبيل المثال : تهذيب اللغة (عق) ٢٩/٣ والمقاييس (لع) ٢٠٦/٥ واللسان (لعع) ٣٢٠/٨ والمخصص لابن سيده ٢٨٨/١٣ (باب المحول من المضاعف) والصحاح (ظنن) ٢١٦٠/٦ .

(٣) انظر علي سبيل المثال : الأصمعي في شرحه لديوان العجاج ٨٣ ، وابن قتيبة في أدب الكاتب (الدالي) ٤٨٧ والقالي في الأمالي ١٩١/٢

(٤) إذ يقال في العامية المصرية : شبيت في محل شببت ، ومديت في محل مددت ، وقصيت في محل قصصت وهكذا، ويرى الدكتور السامرائي أن هذا الإبدال موجود في الفصحى المعاصرة ، أيضاً ولكن بقلة ، انظر التطور اللغوي التاريخي ٧٥.

(٥) انظر موقف العرب من نطق الهمزة في كتاب (مشكلة الهمزة العربية) ٢٤-٣٥ وكتاب (في اللهجات العربية) ٧٥-٨٠.

(المؤمنون٢٣/٨٢) : كل هذا يهمزون فيه بهمزتين ، وكل هذا ليس من كلام العرب إلا شاذا ، ولكن إذا اجتمعت همزتان من كلمتين شتّى ؛ ليس بينهما شيء ؛ فإن إحديهما تخفف في جميع كلام العرب.. وذلك أنه إذا اجتمعت همزتان في كلمة واحدة ابدلوا الأخرة منهما ابداً ؛ فجعلوها : إن كان ما قبلها مفتوحاً الفاً ساكنة ؛ نحو : آدم ، وآخر ، وآمن ، وإن كان ما قبلها مضموماً جعلت واواً ، نحو : أُوزُز ، إذا امرته ان يؤز ، وإن كان ما قبلها مكسوراً جعلت ياء ، نحو إيت ، وكذلك إن كانت الأخرة متحركة ؛ بأي حركة كانت ؛ والأولى مضمومة ، أو مكسورة ؛ فالأخرة تتبع الأولى[1]. وقد استرسل الأخفش في تفصيلاته الدقيقة ، مفرقاً بين احوال الهمزتين إذا كانتا في كلمة واحدة ، أو كانتا في كلمتين مختلفتين ، ومبينا إمكان تخفيف الهمزة الأولى في قوله : (كما آمن السفهاء الا) حيث يقول : " ومن خفف الأولى جعل (الألف) التي في السفهاء كالواو ، وهَمَز الف (الا) "[2].

ومعروف ان الألف في اصطلاح القدماء قد تعني الهمزة[3] .

وكلام الأخفش هذا يعني انه لا يشترط إبدال الهمزة الثانية أو تخفيفها ، فقد يقع ذلك في الهمزة الأولى ، إلا إذا كانت في بداية الكلام ، يقول الأخفش في هذا : " واما (ااندرتهم) فإن الأولى لا تخفف ؛ لأنها أول الكلام ، والهمزة إذا كانت أول الكلام لم تخفف ؛ لأن المخففة ضعفت حتىصارت كالساكن فلا يبتدأ بها "[4] .

---

(١) معاني القرآن للأخفش (د.هدى قراعة) ١/٤٤-٤٥ ، وتجدر الإشارة إلى أني اعتمدت هذه الطبعة في سائر دراستي ؛ لأنها ضبطت نص الأخفش ضبطًا دقيقًا في الغالب .

(٢) معاني القرآن للأخفش ١/٤٦ .

(٣) انظر الألفات لابن خالويه ٣٥ .

(٤) معاني الأخفش ١/٤٦ .

ولم يكن الأخفش وحده الذي التفت لضرورة التخلص من تماثل الهمزتين المتتاليتين عن طريق تخفيف إحداهما، أو تسهيلها ، أو قلبها ألفاً أو واواً أوياءً ؛ فإن الزجاج أيضاً قد فصل القول في هذا ــ تأثراً فيما يبدو بالأخفش ـ إذ ذكر في تفسيره للآية السابقة كثيراً من الآراء التي ذكرها الأخفش ، ولكنه خالفه في جواز قلب الهمزة الثانية ألفاً خالصة ، إذ يقول : " ... ومن جعلها ألفاً خالصة فقد أخطأ من جهتين : إحداهما أنه جمع بين ساكنين ، والأخرى أنه أبدل من همزة متحركة قبلها حركة ألفاً ، والحركة الفتح ، وإنما حق الهمزة إذا حركت وانفتح ما قبلها أن تجعل بين بين ، أعني بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها ، فتقول في (سال) : سال ، وفي (رءوف) : رووف ، وفي (بئس) : بيس ، بين بين ، وهذا في الحكم واحد ، وإنما تحكمه المشافهة " .[1]

وعبارة الزجاج الأخيرة تعني أن الخط والكتابة لا يفرقان بين نطق الهمزة بين بين، ونطقها ألفاً خالصة وأن ذلك لا يعرف إلا بالنطق.

وفي مسألة وقوع التخفيف على الأولي أو على الثانية ، يقول الزجاج [2] : " وزعم سيبويه أن جماعة من العرب يقراون : (فقد جا أشراطها[3]) ، يحققون الثانية ويخففون الأولي ، وهذا مذهب أبي عمرو بن العلاء ، وأما الخليل فيقول بتحقيق الأولي ، فيقول : فقد جاء أشراطها (قال الخليل : وإنما اخترت تخفيف الثانية لإجماع الناس علي بدل الثانية في قولك : آدم ، وآخر ؛

---

(١) معاني الزجاج ١/٧٨.

(٢) معاني الزجاج ١/٨١.

(٣) قراءة لقوله تعالى (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) (محمد ٤٧/١٨) انظر معجم القراءات ١٥/٨.

لأن الأصل في آدم : أأدم ، وفي آخر : أأخر ، وقول الخليل أقيس ، وقول أبي عمرو جيد أيضاً " .

غير أن الزجاج يرفض أن يكون تسهيل إحدى الهمزتين قانوناً مطرداً ، ويجعل لذلك أسباباً ، منها وضوح المعنى حيث يقول : " وقد ذكر أبو عبيد أن بعضهم روى عن أبي عمرو أنه كان إذا اجتمعت همزتان طُرحت إحداهما ، وهذا ليس بثبت لأن القياس لا يوجبه.. فإن كان هذا صحيحاً عنه ، فهو يجوزه في نحو ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ ﴾ (البقرة ٢/ ٦) ، وفي مثل قوله : ﴿ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ (الأنعام ٦ / ١٤٣) فيطرح همزة الاستفهام؛ لأن أم تدل عليها ، قال الشاعر[1] : [الطويل]

لعمرُك ما أدري وإن كنت داريا   شُعيثُ بنُ سهمٍ أم شعيث بن منقر(٢)

وهكذا يتضح وعي هذين العالمين الكبيرين بصعوبة الجمع بين الهمزتين ، وإن اختلفا في الطريقة التي يتخلص بها من هذه الصعوبة ، فعلى حين يجيز الأخفش تسهيل إحدي الهمزتين أو قلبها ألفاً خالصة ، لا يجيز الزجاج إلا التسهيل وجعل الهمزة بين بين.

على حين اختلف القُراء في ذلك ، كما ذكر الأزهري في قوله تعالى : ﴿ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ ﴾ حيث قال[3] : " الأصل فيه همزتان : إحداهما الألف ، والأخرى

---

(١) هو الأسود بن يعفر التميمي ، شاعر جاهلي من الفحول كان أعمي مغموراً ، انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ١٤٧/١.

(٢) البيت في ديوان الأعشى والأعشين الآخرين (صنعة جاير) في شعر الأسود بن يعفر (أعشى نهشل) ق٢٧/٢٩٩.

(٣) معاني القراءات ١٣٠/١.

الف الاستفهام ، واختلف القراء فيه ، فقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب (ااندرتهم) بهمزة مطولة ، وكذلك جميع ما اشبه هذا ... وقرا الباقون بهمزتين في كل هذا ، وكل ذلك عربي فصيح ، فمن همز همزة مطولة فر من الجمع بين الهمزتين ، ومن جمع بينهما فهو الأصل ، وكان ابو عمرو يخفف الهمزة الأولى ، ويحقق الثانية ، وكان الخليل يحقق الأولى ويخفف الثانية ، ونحويو البصرة مالوا إلى قول الخليل ، وكلهم اجاز ما اختاره ابو عمرو " .

التفسير الصوتي :

لو نظرنا إلى مخرج الهمزة وهو الحنجرة ، ومخرج كل من الياء والواو وهما: وسط الحنك مع الياء ، واقصاه مع الواو نجدهما متباعدين ، مما يحول دون التبادل بين الهمزة وإحداهما " [1]

وأما تفسير قلب الهمزة إلى هذين الصوتين ، فهو ميل العربية إلى التخلص من توالي الأمثال ، ولذا حذفت الهمزة الثانية وبقيت حركتها : فإن كانت كسرة ، اجتمعت حركتان حركة الهمزة الأولي وحركة الصوت المحذوف ، فتولد بينهما صوت يسمي (الانزلاقي) وهو الياء هنا ، وقد ضرب استاذنا الدكتور رمضان عبد التواب مثلاً لذلك بكلمة (ائمة) ، فقد" تطورت علي النحو التالي :

ائمة ← امة aimmah بسقوط الهمزة الثانية وبقاء حركتها، وهذه الحالة هي التي تعرف بهمزة (بين بين) او التخفيف ← ايمة ayimmah بحلول الصوت الانزلاقي الياء بدل كسرة الهمزة المحذوفة " [1]

---

(١) لغة تميم ٣/٥.

وكذلك إذا كانت الهمزة الثانية مفتوحة ، أو مضمومة ، وكانت الأولى السابقة لها مكسورة ، تتغلب الكسرة على الفتحة والضمة، ويحدث مثل ما حدث في (ائمة).

وأما إذا كانت حركة الهمزة الثانية ضمة كان ما قبلها ضمة أو فتحة ، فيحدث لها ما حدث مع الياء ؛ بيد أن الذي ينتج في هذه الحالة هو الصوت الانزلاقي الواو ، كما ينتج هذا الصوت أيضاً إذا كانت الهمزة الثانية مفتوحة والأولى مضمومة.[٢].

ثالثاً : المخالفة بالحجز بين الهمزتين :

ذكر الأخفش هذه الصورة من المخالفة ، في معرض حديثه عن الهمزة؛ فقال : " وقد قال بعض العرب : (آإذا) ، و(آأنذرتهم) و(آأنا قلت لك كذا وكذا؟) ؛ فجعل الف الاستفهام إذا ضمت إلى همزة يفصل بينها وبينها بألف؛ لئلا تجتمع الهمزتان ، كل ذا قد قيل ، وكل ذا قد قراه الناس " [٣]

وقد أضاف الفراء أن وضع الألف بين الهمزتين مطرد ، وأنه لغة بني تميم فقال[٤] : " وقوله : (اأمنتم) يجوز أن تجعل بين الألفين الفاً غير مهموزة ، كما يقال : آأنتم ، آإذا متنا ، كذلك فافعل بكل همزتين تحركتا فزد بينهما مدة ، وهي من لغة بني تميم " [٥]

---

(١) كان هذا في محادثة شخصية له رحمه الله مع الدكتور ضاحي ، راجعها في لغة تميم ٣١٦.

(٢) لغة تميم ٣١٦ بتصرف.

(٣) معاني الأخفش ٤٦/١ ، وانظر الخلاف في نطق الهمزة في هذه المواضع في البحر ٤٧/١ ، والإتحاف ١٢٨ ، والنشر ٣٦٣/١ ، ومعجم القراءات ٣٥/١ — ٣٧ .

(٤) معاني الفراء ١٧١/٣.

(٥) قال عنها النحاس في إعراب القرآن ٩٥/٢ : " وهذه لغة معروفة يجعل بين الهمزتين ألفًا

كما تحدث الأزهري عن هذا الفصل بين الهمزتين للمخالفة بينهما كراهة توالي الأمثال ، فقال : " ومن القراء القدماء من ادخل بين الهمزتين الفاً ساكنة فراراً من الجمع بينهما ، فقرا :(آأنذرتهم) و(آألد) قال ابو حاتم: اخبرني الأصمعي انه سمع نافعاً يقرا : (آئنكم لتشهدون) [1] (الأنعام ٦/ ١٩) ادخل بين الهمزتين الفاً ، قال الأصمعي: انشدني ابو عمرو ، لمزرد[2]: [الطويل]

تطالَلْتُ فاستشـرفْته فرأيتـه   فقلت له آأنـت زيـدُ الأرانـب [3]

ومثله قول ذي الرمة [4] : [الطويل]

فيا ظبيةَ الوعساءِ بين حلاحلٍ   وبين النقا آأنت أم أمّ سالم [5]

.... قال أبو حاتم : ونحن نكره الجمع بين الهمزتين ، قال : ومما يدلك على كراهية العرب اجتماع الهمزتين قول الله تبارك وتعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾

كراهة لالتقائهما " وانظر اللهجات العربية في التراث ١-٣٣٣-٣٣٥ ومعجم القراءات ٤٠٢/٢ ، ولغة تميم ١٦٧و ٣١٨.

(١) وقرأ بها – مع نافع – أبو عمرو ، برواية الأصمعي ، وأبو جعفر... وآخرون ، كما في النشر ٣٧٠/١ والبحر ٩٢/٤ وانظر معجم القراءات ٤٠٢/٢.

(٢) هو مزرد الغطفاني ، واسمه يزيد بن ضرار ، ولقب مزرداً ببيت قاله ، وهو أخو الشماخ ، وكان هجاء ، انظر ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني ٤٨٣و الشعر والشعراء ٣١٥/١.

(٣) البيت في زيادات شعر ذي الرمة في ديوانه (د. عبد القدوس) ق ١٦/ ١ ص ١٨٤٩ ، وهو له أيضاً في اللسان (حرف الهمزة) ١٨/١ دار صادر.

(٤) هو غيلان بن عقبة بن بهيش ، عد من فحول شعراء الإسلام، وكان من أعظمهم تشبيها عاش في زمن جرير والفرزدق، انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ٥٣٤/٢، و٥٤٩/٢

(٥) البيت في ديوان ذي الرمة ق ٤٤/٢٤ ص ٧٦٧ وله أيضا في الكتاب ١٦٨/٢.

(النساء٤/ ١٠٩) قال ابو حاتم : قال الأخفش : إنما هو (ءاانتم) ، ادخلوا بين الهمزتين الفاً استثقالاً لهما ، وابدلوا من الهمزة الأولى هاء ، كما قالوا : (هرقت الماء) و(ارقت) ، وقالوا : (هياك) بمعنى : إياك " [١]

وقد تحدث بعض القراء عن الف الحجز هذه في اثناء حديثهم عن انواع المدود ، ومنهم ابن مهران ، حيث يقول فيما يرويه عنه ابن الجزري : " .... إنما سمي مد الحجز؛ لأنه ادخل بين الهمزتين حاجزاً ؛ وذلك ان العرب تستثقل الجمع بين الهمزتين ، فتدخل بينهما مدة تكون حاجزة بينهما ، ومبعدة لإحداهما عن الأخرى ، قال : ومقداره الف تامة بالإجمال " [٢]

ولو نظرنا إلى هذا التغيير لوجدنا انه لا يكاد يختلف عن الأصل إلا في تحويل المقطع الأول ، من مقطع قصير مفتوح (ا) إلى مقطع طويل مفتوح (اا)[٣] ، وشكله كالتالي :

الأصل :	أ	ان	ذ ر	ت	هم	= ٥ مقاطع
بعد التغيير :	اا	ان	ذ ر	ت	هم	= ٥ مقاطع

رابعاً : المخالفة بالإبدال الموطئ للإدغام .

فرارا من المتماثلين فإن بعض العرب كان يسكن الثانى منهما فى صيغة (تتفعل) و(تتفاعل) ثم يدغمه فى الحرف الذى يليه ، وقد جاء من

(١) معانى القراءات ١/١٣٠-١٣١. وسيأتي الحديث عن الإبدال بين الهمزة والهاء في مبحث الإبدال بإذن الله.

(٢) النشر ١/٣٦٤ ، وانظر أيضا الكتاب ٢/١٦٨.

(٣) انظر : حذف تاء تتفعل وتتفاعل فى القران الكريم للدكتور أحمد هريدى ١٧ ، وتجـدر الإشارة إلى أنى استفدت من هذا الكتاب فى هذا المبحث كثيرًا.

ذلك قول الفراء [1] : " وقرا بعضهم : (تسّاءلون بـه) [2]يريد : تتساءلون بـه ، فأدغم التاء عند السين " .

وأشار الفراء إلى هذا النوع من التخالف مرة أخري ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ (الفرقان ٢٥/٢٥) حيث قال [3] : ويقرا: (تشقق بالتشديد [4] .. اراد تتشقق.. فادغم ، كما قال : ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (الصافات ٨/٣٧) ، ولم يكن الفراء رائداً في حديثه عن هذه الظاهرة ، بل كان مسبوقاً بالأخفش الذي تحدث عنها في مواضع متفرقة من كتابه ، منها قوله [5] : " وقال : ﴿ تَظَٰهَرُونَ ﴾ (البقرة ٨٥/٢) فجعلها من (تتظاهرون)، وادغم التاء في الظاء ، وبها نقرا [6] ": وقوله: "ومن انث البقر، فقال : (تشابه)؛ فادغم [7] .

---

(١) معاني الفراء ٢٥٣/١.

(٢) القراءة بتشديد السين قراءة سبعية، انظر السبعة ٢٢٦ وحجة القراءات لابن زنجلة ١٨٨.

(٣) معاني الفراء ٢٦٧/٢.

(٤) القراءة بتشديد الشين قرأ بها ابن كثير ونافع وابن عامر من السبعة كما في السبعة ٤٦٤ وحجة القراءات لابن زنجلة ٥١٠.

(٥) معاني الأخفش ١٣٥/١. وقد تعرض الزجاج أيضاً لهذه الآية بكلام قريب من هذا ، انظر معاني الزجاج ١٦٦/١.

(٦) قرأ بتخفيف الظاء عاصم وحمزة والكسائي ، وقرأ الباقون بتشديدها ، انظر السبعة ١٦٣ ومعجم القراءات ١٤٢/١.

(٧) هذه قراءة الأعرج والحسن ويحيى بن يعمر وابن مسعود وعباس عن أبي عمرو ، انظر البحر ٢٥٤ ومعجم القراءات ١٢٣/١ ، وهذا النص في معاني الأخفش ١٩٢/١.

وقد استوقفت هذه الظاهرة من جاء بعد الفراء ، كما استوقفت من كان قبله ، فها هو ذا الزجاج يقول[1] : " قليلاً (ما تذّكرون) بالتشديد في الذال والمعنى : قليلاً ما تتذكرون ، إلا أن التاء تدغم في الذال لقرب مكان هذه من مكان هذه " .

وقريب من هذا ما ذكره أبو منصور الأزهري في قوله تعالى : " قليلاً ما تذكرون) أيضاً حيث قال : " ... من قرأ (ما تذّكّرون) بتشديد الذال والكاف ، فالأصل : تتذكرون ، وادغمت التاء الثانية في الذال ، وشددت " [2].

وذكر الكرماني بعض الأمثلة ، منها قوله في ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ ﴾ (الفرقان ٢٥/٢٥): "وفي (تشقق) قراءتان : تشديد الشين وتخفيفها ، فمن شدد ادغم التاء في الشين ، والأصل تتشقق " [3].

وهذا النوع من التخالف في حقيقته تغيير في عدد المقاطع وكم المقطع الثاني من المثلين ولذا فإن هذه المخالفة تسمى المخالفة المقطعية أو الصوت مقطعية ، وكان شكل التغيير فيها في (تشقق) على النحو التالي :

تَشْ شَقْ قَ قُ = ٤ مقاطع

واصلها : تَ تَ شَقْ قَ قُ = ٥ مقاطع

وذلك بالخطوات الآتية [4] :

١ - حذفت حركة تاء المقطع الثاني من المثلين ، فسكنت : (تتشقق) واصبح المقطع الأول تت ، فنقص عدد المقاطع إلى أربعة مقاطع.

(١) معاني الزجاج ٢/٣١٦.

(٢) معاني القراءات ١/٤٠٠.

(٣) مفاتيح الأغاني ٣٠٤ ، وانظر القراءات في (تشقق) في معجم القراءات ٦/٣٤٠.

(٤) انظر : حذف تاء تفعل وتفاعل في القرآن الكريم ٢١.

٢ - حدث للتاء الساكنة إبدال ، فتحولت إلى شين وهو تأثر مدبر كلي في حالة اتصال لأنهما حرفان متقاربان : (تشقق).

٣ - تدغم الشين الساكنة في المتحركة التي تليها (تشقق).

تَتَشَقَّق ← تَتْشَقَّق ← تَشْشَقَّق ← تَشَّقَّق

وهكذا كان التخالف بإبدال التاء شيناً توطئة لإدغامها في الشين التي تليها.

خامساً : المخالفة بالإدغام :

قد يكون التخلص من المتحركين بتسكين احدهما وإدغامه في الآخر ، كما يري الأخفش في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ (النساء: ٣٢/٤) ، حيث يقول [1] : " إن شئت ادغمت التاء الأولى في الآخرة ، فإن قيل : كيف يجوز إدغامها وانت إذا ادغمتها سكنت وقبلها الألف الساكنة التي في لا فتجمع ما بين ساكنين؟ قلت : إن هذه الألف حرف لين ، وقد يدغم بعد مثلها في الاتصال ، وفي غيره ، نحو : يضر بانّي [2] و ﴿فلا تناجوا بالإثم والعدوان﴾ [3]

(١) معاني الأخفش ٢٤٥/١.

(٢) كتبت في نص الأخفش (د.هدي) : يضرباني ، بغير تشديد وهو خطأ لا يستقيم مع مراد الأخفش.

(٣) كتبت في نص معاني الأخفش بتاءين ، وعلقت الدكتورة هدى قراعة في الهامش بقولها : " بالأصل : (ولا تناجوا) سهو ناسخ " والحق أن ما رأته سهواً هو الصواب ، وأن صوابها هو السهو ، بدليل السياق قبله وبعده ، والعجيب أنها التفتت لمراد الأخفش في الآية التي تليها ، ولذا أثبتتها بنون واحدة (أتحاجونّا)!

(المجادلة ٥٨/ ٩)[1] وتدغم ايضاً ، ومثله : ﴿قل أتحاجونا في الله﴾ [2] (البقرة٢/١٣٩) ادغمت وقبلها واو ساكنة ، وإن شئت لم تدغم هذا كله " .

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ذكر الزجاج القراءات الواردة في الآية ، ومنها "... وبتاء واحدة مدغمة مشددة : ﴿فلا تّناجوا﴾ ، وإنما ادغمت التاءان لأنهما حرفان من مخرج واحد متحركان ، وقبلهما الف ، والألف قد يكون بعدها الدغم ، نحو : دابة ، ورادّ" [3]

وهذه القراءة قرا بها ابن محيصن [4] ، ويلزمه علي هذا المد قبل الإدغام ، كما قال ابن الجزري[5] : " وإذا وقع قبل التاء المشددة حرف مد ولين الف او واو نحو (ولا تيمموا) و(عنه تلهى) وشبههما ، اثبت في اللفظ ، لكون التشديد عارضاً ، فلم يعتد به في حذفه ، وزيد في تمكينه ليتميز بذلك الساكنان احدهما من الآخر ولا يلتقيا "

وهذا التخالف ايضاً يتم عن طريق التغيير في عدد المقاطع ، وكم المقطع الأول من المثلين ، وليس الثاني ، كالنوع السابق ، فإن شكل التغيير كالآتي :

	لاَتْ		تَ	نَا	جَوْا = ٤ مقطع
واصلها :	لاَ	تَ	تَ	نَا	جَوْا = ٥ مقاطع

---

(١) هي قراءة ابن محيصن كما في الإتحاف ٤١٢.

(٢) القراءة بتشديد النون قراءة زيد بن ثابت وابن محيصن والحسن والأعمش كما في البحر ٤١٢/١ وانظر مختصر ابن خالويه ١٠.

(٣) معاني الزجاج ١٣٨/٥.

(٤) انظر معجم القراءات ٣٧١/٩ ، وأشار ابن الجزري إلى أن البزي- راوي قراءة ابن كثير – كان يقرأ بها أيضاً ، انظر النشر ٢٣٢/٢.

(٥) النشر ٣٣٨/١.

وقد مرّ هذا التغيير بالمراحل التالية :

١ - حذف حركة التاء الأولى ، التي كانت تمثل مع التاء المقطع الثاني في (لا تتناجوا) ، فسكنت التاء الأولى .

٢ - ضم صوت التاء الساكنة إلى المقطع الذي يسبقها (لا) ، فتكون منها مقطع مخالف كمياً (لات) وهو مقطع مغلق مخرجه في الطول [١] ، ويتكون من (صامت + حركة طويلة + صامت) وهذا المقطع من النوع الرابع ، وقد ذكر أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب أن " المقطع الرابع لا يجوز في اللغة العربية الفصحي إلا في آخر الكلمة في حالة الوقف عليها أو وسطها " [٢] ، وأضاف الدكتور أحمد هريدي بعض المواقع الأخري فقال : "وقد يقع في أول الكلمة في الفعل الماضي الثلاثي واسم الفاعل منه من الثنائي المضعف في حال الإدغام ، كما في قولهم : (غارت السوق تغار غراراً : كسدت)... وقد يقع أيضاً في أول ما هو كالكلمة ، كما في قراءة من قرأ (ولا تيمموا) وأمثالها ، وكنطق بعض أبناء الكويت لعبارة : (لا تتأخر) ؛ فإنهم ينطقونها : لا تأخر " [٣] ويرى الدكتور سعد مصلوح أن العربية المعاصرة تتجه " إلى التقليل من استعمال هذا النوع من المقاطع ، وقد لاحظ علماء السلف : كالمبرد أن هذا الضرب لا يقع في عروض الشعر ، إلا ما كان من قول القائل : [المتقارب]

فذاك القصاص وكان التقاصُّ   فرضاً وحتماً على المسلمينا [٤]

---

(١) انظر : حذف تاء تفعل وتفاعل ١٩-٢٠ .

(٢) التطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ٩٦.

(٣) حذف تاء تفعل وتفاعل ٢٠ (هامش).

(٤) البيت بلا نسبة في اللسان (قصص) ٦٧/٧ ، وروايته : (فرمنا القصاص... حكماً وعدلاً) وانظر تخريجه كاملاً في هامش الكامل للمبرد (تحقيق د. محمد الدالى) ٣٩/١.

ويعلق المبرد بقوله [1] : ولو قال : وكان القصاص ، كان أجود وأحسن " [2]

وهكذا نجد أن التخالف في هذا النوع لجأ إلى مقطع صعب ، ولكنه – فيما يبدو – كان أيسر علي العربي من توالي الأمثال.

سادساً : المخالفة بالحذف

المخالفة بالحذف نوع من المخالفة المقطعية ، أو الصوت مقطعية، ذلك أن اللغة تميل إلى التخلص من توالي المقاطع المتماثلة، فتحذف واحداً منها ، وهو ما تنبه له اللغويون العرب ، وأطلقوا عليه : كراهة توالي الأمثال [3] ، ودرسه المحدثون أيضاً ، إذ يقول بروكلمان : " إذا توالي مقطعان ، أصواتهما الصامتة متماثلة ، أو متشابهة جداً والواحد بعد الآخر ، في أول الكلمة ؛ فإنه يكتفى بواحد منهما ، بسبب الارتباط الذهني بينهما " [4]

وتحدث برجشتراسر عن هذه الظاهرة في إطار حديثه عن الترخيم ، وراي أنها من أنواع المخالفة ، إذ يقول : " ومن الترخيم ما هو جنس من التخالف، وهو حذف أحد مقطعين متتالين، أولهما حرفان مثلان او شبهان" [5]

وهذا النوع من المخالفة يندرج تحته بعض الصور ، ومنها :

---

(١) الكامل (د. الدالي) ٣٩/١ بتصرف يسير.

(٢) دراسة السمع والكلام ٢٣٧.

(٣) يقول السيوطي في الأشباه والنظائر ١٨/١ : " اجتماع الأمثال مكروه ، ولذلك يفر منه إلى القلب أو الحذف أو الفصل " وللتوسع في بحث هذه الظاهرة ، انظر مبحث (كراهة توالي الأمثال في أبنية العربية) ضمن كتاب : بحوث ومقالات في اللغة ٢٧ وما بعدها.

(٤) فقه اللغات السامية ٧٩.

(٥) التطور النحوي ٧٠.

(أ) **حذف إحدى التاءين في صيغتي تتفعل وتتفاعل :**

وهو كثير جدًا في القرآن الكريم ، فقد " بلغ عدد الآيات التي وردت فيها كلمات من بناء تتفعل وتتفاعل تمت فيها المخالفة ٣٥ آية في إطار ٣٠ جذرًا لغوياً ، كان نصيب بناء تتفعل ٢٠ جذراً في ٢٢ آية ، وكان نصيب بناء تتفاعل ١٠ جذور في ١٢ آية " [١]

وبصرف النظر عن الخلاف حول أي التاءين هي المحذوفة ، فإن " المقطع المحذوف هنا هو مقطع مورفيمي تصريفي ، يتمثل في التاء المفتوحة ، سواء كان تاء المضارعة أم تاء المطاوعة في الماضي " [٢]

وقد أكثر أهل المعاني الحديث عن هذا النوع من المخالفة بالحذف ، وكان من أكثرهم في ذلك تفصيلاً الفراء ، غير أنه يجدرُ بي أن أذكر إشارة الأخفش لهذه الظاهرة أولاً لأن السابق ليس كاللاحق؛ يقول الأخفش في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ ﴾ (النساء ٤/١): خفيفة : لأنها من تساؤلهم؛ فإنهم يتساءلون؛ فحذف التاء الأخيرة ، وذلك كثير في كلام العرب ؛ نحو (تَكلَّمون) [٣] . ويلاحظ هنا أن الأخفش أشار إلى أن التاء المحذوفة من (تتساءلون) هي التاء الأخيرة ، وهو رأي أكثر البصريين ، بينما يرى الفراء أن الاحتمالين قائمان ، إذ يقول في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (النساء ٤/٩٧): إن شئت جعلت (توفاهم) في موضع نصب ولم تضمر تاء مع التاء ، فيكون مثل قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾

---

(١) حذف تاء تتفعل وتتفاعل في القرآن الكريم للدكتور أحمد هريدي ٢٦.

(٢) السابق ١٦.

(٣) معاني الأخفش ٢٤٣/١.

(البقرة: ٢/ ٧٠) وإن شئت جعلتها رفعاً: تريد إن الذين تتوفاهم الملائكة ، وكل موضع اجتمع فيه تاءان جاز فيه إضمار إحداهما ، مثل قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام ٦/ ١٥٢) ، ومثل قوله : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم ﴾ (هود ١١/ ٥٧)[1]

ومعنى قول الفراء : (في موضع نصب) : اي مبنياً علي الفتح لأنه سيكون فعلاً ماضياً ، وقوله : (جعلتها رفعاً) اي جعلته فعلاً مضارعاً مرفوعاً بضمة مقدرة. وقول الفراء : جاز إضمار إحداهما ، معناه انه يجيز احتمال ان تكون المحذوفة الأولي ، وهو راي الكوفيين ، حيث نُسب إليهم إجازة الوجهين وإن وافق بعضهم البصريين [2].

وقد تحدث عن هذه الظاهرة مرة اخري عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ (الليل٩٢/ ١٤) حيث قال[3] : معناه : تتلظي؛ فهي في موضع رفع ، ولو كانت علي معني فعل ماض لكانت : فأنذرتكم ناراً تلظت... حدثني سفيان... قال : فاتت عبيد بن عمير ركعة من المغرب ، فقام يقضيها ،

---

(١) معاني الفراء ١/ ٢٨٤.

(٢) انظر الخلاف في هذه المسألة ، ووجه كل فريق من الفريقين عند الأنباريين : أبي بكر ابن الأنباري في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ١٤٢-١٤٢ ، وأبي البركات ابن الأنباري في الإنصاف (د. جودة) فقد خصص لها المسأله السادسة والتسعين ص ٨١٥ وما بعدها ، وانظر أيضاً : حذف تاء تتفعل وتتفاعل ٦-٨.

(٣) معاني الفراء ٣/ ٢٧١-٢٧٢.

فسمعته يقرا : (فأنذرتكم نارا تتلظى) ... ورايتها في مصحف عبد الله : (تتلظى) بتاءين " [1]

وقال الزجاج في ﴿ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم ﴾ (البقرة ٢/ ٨٥) : " ومن قرا بالتخفيف ، فالأصل فيه ايضاً تتظاهرون ، فحذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين " [2]. وعاد الزجاج ليفصل رايه في حذف التاء الثانية عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف ٧/ ٣) حيث يقول [3] : " ... ومن قرا (تذكرون)[4] فالأصل ايضاً تتذكرون ، إلا انه حذف إحدي التاءين ، وهي التاء الثانية ؛ لأنهما زائدتان ، إلا ان الأولي تدل علي معني الاستقبال فلا يجوز حذفها... فإنما المحذوف من (تتفعلون) الثانية ، لأن الباقي في الكلمة من تشديد العين من (تفعل) يدل علي معني الكلمة ولو حذفت تاء (استقبال) لبطل معني الاستقبال " .

وهكذا نري الزجاج مهموماً بالقضية ، يبحث لها عن ادلة منطقية مقنعة ، وكذلك كان الأزهري عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ايضاً حيث قال : " ... والتاء المحذوفة هي الثانية ؛ لأنهما زائدتان ، إلا ان الأولي تدل علي معني الاستقبال ، فلا يجوز حذفها ، والثانية إنما دخلت علي

---

(١) القراءة بتاءين (تتلظى) قرأ بها ابن الزبير وزيد بن علي وطلحة إلى جوار ابن مسعود وعبيد بن عمير ، انظر البحر ٤٨٣/٨ وإعراب ثلاثين سورة ١١٢.

(٢) معاني الزجاج ١٦٦/١.

(٣) معاني الزجاج ٣١٦/٢.

(٤) هي قراءة حفص عن عاصم وحمزة والكسائي كما في السبعة ٢٧٨ وحجة القرءات لابن زنجلة ٢٧٩.

معني فعل الشيء علي مهل ، نحو قولك : تفهمت وتعلمت . أي: اخذت الشيء علي مهل" [1]

وقد اشار الكرماني لهذه الظاهرة بايجاز فقال في ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ (عبس٦/٨٠):"وفيه قراءتان،التشديد علي الإدغام، والتخفيف علي الحذف" [2]

ومن خلال هذه الأمثلة يتضح شيوع الظاهرة عند علماء المعاني من ناحية ، والتفاتهم إلى ان هذا الحذف هدفه تسهيل النطق وتيسيره من ناحية اخري[3].

ولو نظرنا إلى كلمة (تتذكرون)لوجدنا انها مكونة من المقاطع التالية :

تَ تَ ذَكْ كَ رو نَ = ٦ مقاطع

وتصير بعد حذف المقطع تَ ذَكْ كَ رو نَ = ٥ مقاطع

وهذا إذن من قبيل الاختصار ، كما يقول برتيل : " ولو حدث – في السلسلة المتكلمة - ان اكتفى المتكلم بنطق مجموعة الوحدات الأصواتية المكررة مرة واحدة ، وقد كان لازماً أن ينطقها مرتين متواليتين ، فهذه ظاهرة الاختصار او الترخيم " [4]

ولكن الملاحظ ان هناك كلمات من هذا البناء لم تتم فيها المخالفة بحذف التاء (مثل : تتفكرون) ، وان هناك كلمات تمت فيها هذه المخالفة في بعض السياقات دون بعض ، مثل : تذكرون ، فقد جاءت كلتا الصيغتين : تذكرون ، وتتذكرون في القرآن الكريم.

---

(١) معاني القراءات ١/٤٠٠.

(٢) مفاتيح الأغاني ٤٢٧.

(٣) وهو ما يطلق عليه المعاصرون أيضاً (الحذف التسهيلي) أو (الاختزالي)

(٤) علم الأصوات ١٥٢.

وهذا يوحي بأن توالي التاءين ليس وحده مسوّغًا للحذف ؛ وإلاّ لحذفت إحدى التاءين في كل صيغة ، وفي كل سياق ، وفي كل كلمة ، وهو ما لم يحدث !

ولذا فقد قام الدكتور أحمد هريدي – في محاولة لتفسير سبب حدوث الحذف في بعض الكلمات دون بعض – ببحث الظاهرة في ضوء فحص علاقات الأصوات المحيطة بالكلمة في إطار الجملة أو العبارة ، ومخارج تلك الأصوات في السلسلة الكلامية ، وقد اتضح له أن حذف التاء قد تم – في الأغلب – بتأثير عدد من الأصوات التي يشارك اللسان في إصدارها بصورة أساسية ومنها التاء ، والتي تُسمى (الأصوات اللسانية)[1] وهي أقسام ثلاثة: الأصوات الأسنانية اللثوية، والأصوات اللثوية، والأصوات الأسنانية .

وهذه الأصوات المؤثرة قد تكون تالية للتاءين في داخل الكلمة فتكون المخالفة راجعة (أو مدبرة) وقد تكون سابقة للكلمة فتكون المخالفة مقدمة أو مقبلة، وقد تكون الأصوات سابقة وتالية أيضا للكلمة فتكون المخالفة مزدوجة.

وفي المخالفة الراجعة قد يكون الصوت المؤثر في تحقيق التخالف متصلاً أي تاليًا للتاءين ، فتكون المخالفة راجعة متصلة ، وقد يكون مفصولاً عن التاءين بمقطع صوتي واحد ؛ فتكون المخالفة راجعة منفصلة [2] ، ويمكن أن أضرب لذلك أمثلة مما ذكره علماء المعاني فيما يلي :

---

(١) لأنه نادرًا ما تقابل اللغات بين صامت ينتج بطرف اللسان وآخر ينتج بنصله ، وإنما تعدّهما مغايرين لوحدة صوتية واحدة ، انظر دراسات صوتية للدكتورة تغريد عنبر ٣١٣ .

(٢) انظر حذف تاء تتفعل وتتفاعل في القرآن الكريم ٤٦ – ٤٩ .

أولاً : المخالفة المدبرة

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾(النساء:٤/١) وهو المثال الذي ذكره الأخفش [١] كما مرّ بنا .

ونلاحظ في هذا المثال وجود صوت واحد من اصوات طرف اللسان (الأسنان اللثوية) تال للتاء مباشرة دون فاصل وهو صوت السين ، ولذلك فالمخالفة هنا مدبرة متصلة .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ (عبس ٨٠/ ٦) ، وهو المثال الذي ذكره الكرماني [٢] كما مرّ .

ونلاحظ في هذا المثال وجود صوت الصاد وهو (اسناني لثوي) تالٍ للتاء مباشرة فالمخالفة مدبرة متصلة كسابقتها . ويمكن ان نكرر القول ذاته في : ﴿ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم ﴾ (البقرة ٢/٨٥) وهو المثال الذي ذكره الزجاج كما مرّ.

واما المخالفة المدبرة المنفصلة ؛ فنستطيع ان نضرب مثلاً لها بقوله تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ (الليل ٩٢/ ١٤)وهو المثال الذي ذكره الفراء[٣] حيث تم حذف التاء في حال وجود صوتين مثلين مكررين في الكلمة من أصوات طرف اللسان (الظاء المشددة) وقد فصل بينهما وبين التاء فاصل، وهو اللام.

ثانيًا : المخالفة المقبلة

وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (آل عمران ٣/١٠٣) والذي يقول عنه الزجاج : " واصل تفرقوا : تتفرقوا ، إلاّ ان

---

(١) معاني الأخفش ١ / ٢٤٣ .

(٢) مفاتيح الأغاني ٤٢٧ .

(٣) معاني الفراء ٣ / ٢٧١ – ٢٧٢ .

التاء حذفت لاجتماع حرفين من جنسٍ واحد في كلمة ... "[1] ، ونلاحظ في هذا المثال ان كلمة ﴿ تَفَرَّقُوا ﴾ قد سبقت في الجملة بالأصوات التالية :

١ – (ت) و(ص) وهما اسنان لثويان .

٢ – (٣ ل) وهي لثوية من مخرج الراء المكررة (عين الكلمة)

٣ – (٢ ب) ، و(٢ و) ، و(٢ م) وهي شفوية ، تجاور مخرج فاء الكلمة (وهو صوت الفاء) الشفوي الأسناني .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف ٧/ ٣) ، وهو المثال الذي ذكره الزجاج والأزهري فيما مضى.

ونلاحظ ان التجمع التكراري هنا ليس للأصوات فقط ، بل في صورة كلمات كذلك ، فقد تكررت كلمة (اتبعوا) و(تتبعوا) / كما تكررت (ما) مرتين ، وتكرر الضمير (كم) مرتين ، فضلاً عن تكرار الأصوات التالية :

١ – (٥ ت) و(٢ ك) – فضلاً عن كاف الكلمة ذاتها – و(٢ ع) ، و(٥ ء) .

٢ – (٦ ل) ، و(٥ ن) ، و(٦ م) ، و(٤ ب) .

ثالثًا : المخالفة المزدوجة

ومن امثلتها ما ذكره الفراء – وقد مر – من قوله تعالى :

﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٥٦) فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ (٥٧) ﴾ (هود ١١/ ٥٦ ، ٥٧)

---

(١) معاني الزجاج ١ / ٤٥٠ .

وقد ذكرت الآيتين كاملتين لنتمكن من النظر في سياق ما قبل الكلمة التي تم فيها المخالفة (تولوا) وسياق ما بعدها . وسنجد تكرار الجذر (ربّ) خمس مرات ، و(إن ربي) مرتين ، و(وربي) مرتين ، وكذلك تكرر (إنّ) ثلاث مرات ، فضلاً عن وجود (فإن) سابقة للكلمة (تولوا) ، وكان مجموع التكررات الصوتية على النحو التالي :

١ – اللام: ١٦مرة (٦ + ٢ + ٨) ، والنون: ١١ (٨ + ٠ + ٣) ، والراء: ١٠ (٤+٠+ ٦) .

٢ – التاء : ٩(٥ + ٠ + ٤)، والصاد : ٢ (٢ + ٠ + ٠) ، والسين: ٣ (١ + ٠ + ٢) .

٣ – الواو : ٨ (٣ + ١ + ٤) ، والباء : ١٥ (٩ + ٠ + ٦) ، والميم: ١٠ (٥ + ٠ + ٥) والفاء : ٤ (١ + ٠ + ٣)

٤ – الكاف : ٧ (٣ + ٠ + ٤) ، والقاف : ٣ (١ + ٠ + ٢)

مع ملاحظة أن العدد الذي في منتصف الأعداد بين القوسين يمثل الأصوات في الكلمة التي حدثت المخالفة بها .

(ب) حذف أحد صوتي المضعف عند إسناده لتاء الفاعل :

وهذا كثير عند العرب ، وقد أورد الأخفش منه بعض الأمثلة ، ومنها : " ما احَسْت منهم احداً ، فألقوا إحدى السنين استثقالاً ... وأما قوله ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ (الواقعة ٥٦/ ٦٥) فإنها إنما كُسر اوّلها ؛ لأنه يقول (ظَلِلْتُ) ، فلما ذهب احد الحرفين استثقالاً ؛ حُوّلت حركته على

الظاء ، قال أوس بن مغراء [(1)] [البسيط]

مِسْنا السماء فَنِلْناها وَطَاءَ لَهُم   حتى رأوا أُحُدًا يهوي وثهلانا [(2)]

لأنها من (مسست) ، وقال بعضهم : (فَظَلْتُمْ) ؛ ترك الظاء على فتحها ، وحذف إحدى اللامين ، ومن قال هذا ؛ قال : مَسْنا السماء ، وهذا الحرف ليس بمطّرد ، إنما حُذف من هذه الحروف التي ذكرت لك خاصة ، ولا يُحذف إلاّ في موضع لا تُحرّك فيه لام الفعل ، فأما الموضع الذي تُحرَّك فيه لام الفعل فلا حذف فيه " [(3)]

وعلى الرغم من ان الأخفش يتحدث عن (حذف إحدى اللامين) من ظللت ؛ فإنه أشار إشارة واضحة إلى ان اللام المحذوفة هي الأولى ، حين قال : " فلما ذهب أحد الحرفين .... حوّلت حركته على الظاء " فمعنى ذلك ان اللام الأولى هي التي حذفت وحُوّلت حركتها على الظاء ، لأنها اقرب لها من الأخرى ، وهو ما صرّح به الفرّاء ، ولم يتركنا للحدس والتخمين حيث قال [(4)] : " والعرب تقول : من أين حَسَيْت هذا الخبر ؟ يريدون من أين تخبّرته ؟ وربما

---

(1) هو أوس بن مَغْراء، من قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد ، عدّه ابن سلاّم الجُمحي من الطبقة الثالثة من فحول الشعراء الإسلاميين، انظر ترجمته في الطبقات ٢/٥٧١ – ٥٧٢ .

(2) البيت في اللسان (مسس) ٦ / ٢١٧ دار صادر ، منسوبًا لابن مغراء .

(3) معاني الأخفش ١ / ٢٥٥ – ٢٥٦ ؛ وكلام الأخفش هنا يرد على من ذهب أن (عين) الكلمة هي المحذوفة ومنهم الدكتور أحمد عفيفي في كتابه : ظاهرة التخفيف في النحو العربي ٢٢٣ .

(4) معاني الفراء ١ / ٢١٧ وقد صرح الفارسي أيضًا بأن المحذوف الحرف الأول واستدلّ على ذلك بكلامٍ يشبه كلام الأخفش السابق ، انظر الإغفال ١ / ٦٦ .

قالوا : حَسيت بالخبر وأَحْسيت به ، يبدلون من السين ياء ، كقول أبي زبيد [1] : [الوافر]

.... حَسِيْنَ به فهُنّ إليه شوسُ [2]

وقد تقول العرب : ما احست بهم احدًا ، فيحذفون السين الأولى ، وكذلك في وددت ، ومسست ، وهممت ، قال : انشدني بعضهم : [الرجز]

هل يَنْفَعَنْكَ اليوم إنْ هَمَّت بهَمْ

كثرةُ ما تأتي وتعقادُ الرتَمْ (٣)

وتحدث بيان الحق النيسابوري عن هذه الظاهرة ايضًا ، في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ (طه ٢٠/ ٩٧) حيث قال [4]: " ظَلْتَ ، فخفّف ، كقولهم : مسْتَ في مَسَسْتُ ، واحَسْتُ في احسست ، قال الراجز :

ظلوا يحجّون وظَلْنا نحُجُبُه

---

(١) هو حرملة بن المنذر بن حرملة بن معد يكرب الطائي ، شاعر مشهور أدرك الإسلام ، واختلف في إسلامه، له ترجمة في الإصابة ٤ / ٨٠ .

(٢) هذا عجز بيت لأبي زبيد الطائي في ديوانه ٩٦ (برواية حَسْن) المحتسب ١٢٣/١ وأمالي ابن الشجري(د. الطناحي) ٢ / ١٧٢ والقرطبي ١١ / ٢٤٢ ومجاز القرآن ١/ ٨ ومجالس ثعلب٢ / ٤١٨ برواية (حسين) وصدره : خلا أن العتاق من المطايا .

(٣) البيتان بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ١ / ١٢٥ واللسان (رتم) ١٢ / ٢٢٥ ، وروايتهما : همّت بهمْ ، بتشديد الميمين ، وشرح شواهد الشافية ٤ / ٤٦١ ، وروايته همتبهمْ . والرتم أصله من الرتيمة ، وهو خيط يشد في الإصبع لتتذكر به الحاجة ، وكان الرجل إذا أراد سفرًا عمد إلى شجرة فشدّ غصنين منها ، فإن رجع ووجدهما على حالهما قال : إن أهله لم تخنه ، وإلاّ فقد خانته . انظر الموضع السابق .

(٤) باهر البرهان ٢ / ٩١٦ – ٩١٧ .

وظــــــلّ يُرمــــــى بالحصــــــى مُبوّبـــــــه (١)

وواضح أن هذا التغيير – بصرف النظر عن الحرف المحذوف – من قبيل المخالفة المقطعية ايضًا لأنه يتم عن طريق حذف مقطع وإحداث تغيير في كم المقطع الأول ، فالكلمة قبل التغيير :

اصلها : م سَ سْ تُ = ٣ مقاطع

وبعد التغيير : مَ سْ تُ = مقطعان

وهكذا اصبح المقطع الأول طويلاً مغلقًا (صامت + حركة قصيرة + صامت) بعد ان كان قصيرًا مفتوحًا : صامت + حركة قصيرة .

(جـ) حذف نون الأفعال الخمسة ونون النسوة :

وغالبًا ما يكون ذلك بالحذف عند إسناد الفعل إلى (نا) المتكلمين او ياء المتكلم ، أو ياء المخاطبة حيث تجتمع نونان ، فاستثقلت العربية اجتماعهما ، فحذفت إحداهما – على خلاف لا يؤثر – تخلّصًا من توالي الأمثال (نون الفعل ونون الوقاية) .

وقد ذكر علماء المعاني بعض الأمثلة لهذا النوع من المخالفة بالحذف ، ومنهم الأخفش حيث يقول (٢) : " وقد قرا بعض القُرّاء : ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾

---

(١) البيتان في اللسان (حجج) ٢ / ٢٢٧ برواية (ظلّ يُحَجّ وظللنا) وعلى هذا فلا شاهد فيهما ، وهما لدكين فيه ، وقد عرف من الرُجّاز اثنان بهذا الاسم ، فلا أدري أيهما المقصود ، انظر ترجمتهما في معجم الأدباء ١٩٨/٤ – ٢٠٠ ، وتعليق أحمد شاكر على خلط ابن قتيبة بينهما في الشعر والشعراء ٢ / ٦١٠.

(٢) معاني الأخفش ١ / ٢٥٤ – ٢٥٥ .

(الحجر ١٥/٥٤) [1] اراد تبشروننى : فاذهب إحدى النونين استثقالاً لاجتماعهما ، كما قال : ما أحَسْتُ ... فهذا أجدر أن يستثقل ؛ لأنهما جميعًا متحركتان ، قال الشاعر : [الوافر]

تراه كالثغام يُعَلّ مِسكًا   يَسُوءُ الغاليات إذا فَلَيْني [2]

فحذف النون الأخيرة ؛ لأنها النون التي تزاد ليُترك ما قبلها على حاله ، وليست باسمٍ ؛ فأما الأولى فلا يجوز طرحُها ؛ فإنها الاسم المضمر .

وقال ابو حية النُّميري [3]: [الوافر]

أبالموت الذي لابد أنّي   مُلاقٍ لا أباك تخوّفيني [4]

فحذف النون " .

وقد تحدث الفراء أيضًا عن هذه القراءة، وقدّم لها تفسيرًا من وجهة نظره، حيث يقول[5]: " وقد كسرَ أهل المدينة ، يريدون أن يجعلوا النون مفعولاً بها ، وكأنهم شدّدوا النون فقالوا : (فبم تبشرونِّ قالوا) ثم خففوها ، والنية على

---

(١) هي قراءة نافع وشيبة، فهي قراءة سبعية، انظر السبعة ٣٦٨ وحجة القراءات لابن زنجلة ٣٨٣، والنشر ٢/٣٠٢ .

(٢) سيأتي تخريجه مع بيت يليه قريبًا .

(٣) هو الهيثم بن الربيع ، وكان يروي عن الفرزدق ، وهو شاعر محسن على لُوثة كانت فيه، انظر أخباره في الشعر والشعراء ٧٧٤ – ٧٧٥ وسمط اللآلى ١ / ٢٤٤ .

(٤) البيت في ديوانه ق ٦٧ / ١ ص ١٧٧ ، وهو من شواهد النحو المعروفة ، انظره في المقتضب ٤ / ٣٧٥ والأصول ١ / ٣٩٠ والخصائص ١ / ٣٤٦ والكامل للمبرد (د، الدالي) ٢ / ٦٧٠ .

(٥) معاني الفراء ٢ / ٩٠ .

تثقيلها ، كقول عمرو بن معد يكرب [1] : [الوافر]

رأتْـهُ كالثُّغَـام يُعَـلُّ مِسْـكًا يَسُـوءُ الغاليـاتِ إذا فَلَيْنـي

فأقسم لو جعلت عليَّ نَـذْرًا بطعنةِ فارسٍ لَقَضَيْتُ دَيْنـي "[2]

وفصّل الزجـاجُ القولَ في بعض امثلة هذه الظاهرة ومنها قراءة : (أتُحاجّونا) [3] ، حيث قال [4] : " وإن شئت حذفت إحدى النونين ، فقلت : (اتحاجّونا) فحذف لاجتماع النونين ، قال الشاعر : [الوافر]

تـراه كالثغـام يعـل مسـكًا يسـوء الغانيـات إذا فلَينـي

يريد فلَيْنني ، ورايت مذهب المازني وغيره ردّ هذه القراءة ، وكذلك ردوا قراءة (فبم تبشرون) ... والإقدام على رد هذه القراءة غلط ، لأن نافعًا رضي الله عنه قرا بها [5]... وله وجهٌ في العربية ؛ فلا ينبغي أن يرد "

---

(١) هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فارسٌ من فرسان العرب المشهورين ، أدرك الإسلام فأسلم، ثم ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه ، وقُتل في فتح نهاوند ، له ترجمة في معجم الشعراء للمرزباني ١٥ – ١٧ ، ومن اسمه عمرو من الشعراء ١٤٠ والشعر والشعراء ٣٧٢ وما بعدها .

(٢) البيتان في ديوانه ق ٦٦ / ٢ و٥ ص ١٨٠ ، ورواية الديوان : (رأته كالثغام ... إذا ما قلت إن عليّ نذرًا) والأوّل في الكتاب ٣ / ٥٢٠ ، وابن يعيش ٣ / ٩١ والهمع١ / ٩٥ والخزانة ٢ / ٤٤٥ ، وهو من الشواهد المعروفة أيضًا .

(٣) لم يصرح أبو حيان في البحر المحيط ١ / ٤١٢ أنها قراءة ، وإنما قال : " ويجوز حذف النون (أتحاجونا) وكذلك في إعراب النحاس ١ / ٢٦٧، وانظر معجم القراءات ٢٠٣/١ .

(٤) معاني الزجاج ١ / ٢١٦ .

(٥) يقصد آية (فبم تبشرون) كما مر .

وقد ذكر الأزهري القراءات الواردة في قوله تعالى : (فبم تبشرون) وذكر قراءة التخفيف على حذف النون ، واستشهد ببيت عمرو بن معْد يكرب السابق [1].

واشار ابو العلاء الكرماني أيضًا إلى هذه الظاهرة بإيجاز ؛ فقال : " ... وقرأ نافع : (فبم تبشرونِ) بكسر النون ، أراد : تبشرونني ، فحذف النون الثانية ، وابقى الكسرة التي تدل على الياء "[2]

ولو نظرنا في هذه الأمثلة لوجدنا ان الذي حذف مقطع واحد ، قصير، او طويل ، فمثلاً كلمة :

تبشرونِ : اصلها :ت بَش شِ رو نَ ني = ٦ مقاطع

صارت بعد الحذف : تُ بَشْ شِ رو نِ = ٥ مقاطع

وأُلقيت كسرة النون المحذوفة على النون التي قبلها ، فصارت هذه النون المتبقية مكسورة .

وعلى هذا فقد تم حذف مقطع طويل مفتوح (ني) صامت + حركة طويلة .

واما كلمة (اتحاجونا)، فأصلها: أ تُ حاجْ جو ن نا = ٦ مقاطع

وصارت بعد الحذف : أ تُ حاجْ جو نا = ٥ مقاطع

وهذا يعني ان الحذف شمل مقطعًا واحدًا قصيرًا (نَ) ، ولم يحدث تغييرات اخرى في الكلمة .

---

(١) انظر معاني القراءات ٢ / ٧٠ .

(٢) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ٢٣٥ .

ولو نظرنا إلى الأمثلة غير القرآنية ، التي ذكرها علماء المعاني ؛ لوجدنا كلمتين وردتا في الشعر :

الأولى : (تخوفيني) ، وأصلها :

تُ خَوْ وِ في نَ ني = ٦ مقاطع

وصارت بعد الحذف : تُ خَوْ وِ في ني = ٥ مقاطع

اي : حُذف مقطع واحد قصير (نَ) بلا تغييرات اخرى .

والثانية : كلمة (فَلَيني) ، وأصلها :

ف لي ن ني = ٤ مقاطع

وصارت بعد الحذف : ف لي ني = ٣ مقاطع

(د) حذف تاء (الاستفعال) من الفعل (استطاع) ومضارعه :

وقد تحدث الأخفش عن هذا في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ ﴾ (الكهف ٩٧/١٨) ، فقال [1]: " لأن لغة للعرب تقول : (اسطاع يسطيع) ، يريدون به : (استطاع يستطيع) ولكن حذفوا التاء إذا جامعت الطاء : لأن مخرجهما واحد ، وقال بعضهم : (استاع) فحذف الطاء لذلك ، وقال بعضهم : (أسطاع يُسطيع) فجعلها من القَطْع " .

وكذلك فعل الزجاج في تفسير هذه الآية ، حيث قال [2]: " وقوله : ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ ﴾ بغير تاء ، أصلها استطاعوا ، بالتاء ، ولكن التاء والطاء من مخرج واحد ، فحذفت التاء لاجتماعهما ، وليخف [3] اللفظ ، ومن العرب من

(١) معاني الأخفش ٢ / ٤٣٣ - ٤٣٤ .

(٢) معاني الزجاج ٣ / ٣١٢ .

(٣) في الأصل يخف ، بلا لام ، والتصحيح من معاني القراءات للأزهري ٢ / ١٢٦ .

يقول : فما استاعوا بغير طاء ، ولا تجوز القراءة بها ، ومنهم من يقول : فما أسطاعوا ، بقطع الألف "

وقد تحدث الأزهري ايضًا عن هذا الحذف ، ولكنّه نقل كلام الزجاج كاملاً ، ولم يضف عليه شيئًا [1].

اما ابو علي الفارسيّ فقد راى ايضًا ان هذا " الحذف من اللفظ للتخفيف لاجتماع الأمثال ، وتقدير الثبات في اللفظ ، نحو ... (يسطيع) وما اشبه ذلك " [2]

وذكر هذا الحذف ايضًا في اثناء حديثه عن حذف الحرف الزائد ، فقال: " فالحذف في هذا الحرف الزائد ، كالحذف في الحروف الأصلية .. وكحذفهم التاء من (استطاع) "[3] .

واما سبب هذه المخالفة فكما ذكر هؤلاء العلماء ، فالتاء والطاء من مخرج واحد ، والمخالفة كما تكون بين المتماثلين فإنها تكون بين المتجانسين والمتقاربين ، وها هو برجشتراسر في حديثه الذي نقلته عن الترخيم سابقًا يقول : " ومن الترخيم ما هو جنسٌ من التخالف ، وهو حذف أحد مقطعين متتالين ، أولهما حرفان مثلان ، أو شبهان ... وامثال ذلك في القرآن عديدة ... و(اسطاع) بدل : (استطاع) ... "[4]

---

(١) انظر معاني القراءات ٢ / ١٢٦ .

(٢) الإغفال ١ / ٦٠ .

(٣) الإغفال ١ / ٦٥ .

(٤) التطور النحوي للغة العربية ٧٠ .

كما أن الفارسيّ ضرب مثلاً على جواز التخفيف لاجتماع الأمثال بالفعل (يسطيع) ، وكأنه يرى أن التاء والطاء المتقاربين ، كالأمثال [1]، فهما في هذا الحكم سواء .

وهو ما فعله أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ، في بحثه عن كراهة توالي الأمثال ، حيث ذكر في أمثلته (المثال الثامن) : (الفعل استطاع ومضارعه) [2] ولو نظرنا في صور الحذف لهذا الفعل في ماضيه ومضارعه لوجدنا أن لدينا في الماضي :

اسطاع المتطورة عن استطاع

واستاع المتطورة أيضًا عن استطاع

فيكون الحذف مقطعيًا في الصورتين ، ففي الأولى :

الأصل :	اس	تَ	طا	عَ	= ٤ مقاطع
وبعد الحذف :	اس		طا	عَ	= ٣ مقاطع

أي حذف مقطع قصير مفتوح (تَ)

وكذلك كلمة (استاع)

فالأصل :	اس	ت	طا	ع	= ٤ مقاطع
وبعد الحذف :	اس		تا	ع	= ٣ مقاطع

لكن الواضح هنا أنه إلى جوار حذف المقطع (ت) حدث تأثر جزئي / من قبل الطاء المفخمة بالسين المرققة السابقة عليها ، فتحولت إلى نظيرها المرقق وهو التاء . أي أن هذه الكلمة حدث بها مخالفة ثم مماثلة .

---

(١) حيث إنه لا يفرّقُ بين التاء والطاء إلاّ التفخيم والترقيق فقط ، كما في (اللغة العربية معناها ومبناها) للدكتور تمام حسان ٥٦ .

(٢) بحوث ومقالات في اللغة العربية ٤٧ .

وكذلك الحال في صورتي المضارع ، ففي (يسطيع)

الأصل : يَسْ تَ طي عُ = ٤ مقاطع

وبعد الحذف : يَسْ طي عُ = ٣ مقاطع

وفي كلمة (يستيع)

الأصل : يَسْ تَ طي عُ = ٤ مقاطع

وبعد الحذف : يَسْ تي عُ = ٣ مقاطع

وظاهر ان ما حدث فيهما هو ما حدث في صيغتي الماضي سواء بسواء .

(هـ) **حذف تاء : (وعبد الطاغوت)** :

ذكر المفسرون وجوهًا عديدة لتفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (المائدة ٥/٦٠) ومنها القول بأن الأصل (عبدة) على اعتبار انها جمع عبد ، وقد تحدث بعض اهل المعاني عن هذا واولهم الفراء حيث قال[1] : "وكان اصحاب عبد الله يقراون :(وعبدَ الطاغوتِ) [2] على فعل ، ويضيفونها إلى الطاغوت ، ويفسّرونها : (خدمة الطاغوت) ... ولو قرا قارئ (وعبدَ الطاغوتِ) كان صوابًا جيدًا ، يريد عبدة الطاغوت ، فيحذف الهاء لمكان الإضافة " .

" والحقيقة أن التاء لم تحذف للإضافة ، وإنما حذفت لكراهة توالي المقاطع المتقاربة في المخارج والصفات " [3]، ومع ذلك ، فقد ردد نفر من العلماء ممن جاءوا بعد الفراء مقولته هذه ، ومنهم النحاس حيث يقول : "

---

(١) معاني الفراء ١ / ٣١٤ .

(٢) انظر هذه ا لقراءة في المحتسب ١ / ٢١٤ ومعجم القراءات ٢ / ٣١٠ .

(٣) بحوث ومقالات في اللغة ٥٤ بتصرف .

وأجاز بعض العلماء : (وعبدَ الطاغوتِ) بالخفض على معنى: عبدة ، مثل : كاتب وكتبة والهاء تحذف من مثل هذا في الإضافة "[1].

ولعل النحاس يقصد الفراء بقوله : (وأجاز بعض العلماء) .

وأوجز بيان الحق النيسابوري في المسألة ، فقال : " و(عَبَدَ الطاغوتِ) أي : عبدة ، فحذف التاء "[2]. ولم يبين سبب الحذف !

وقد سبق أن ذكرت أن التاء والطاء شبه مثلين ، فالتخلص من توالي شبه الأمثال مسلك معروف من مسالك اللغة وقد كان ذلك – في هذا الموضع – بالحذف ، فحُذف جزء من مقطع وهو التاء مع حركتها ، ولعلّ ما ساعد على وقوع هذه المخالفة وجود صوت الدال قبل التاء المحذوفة مباشرة ، ومجيء صوت التاء في آخر الكلمة (الطاغوت) .

فالمخالفة هنا إذن مزدوجة لأنها تمت بتأثير أصوات قبل الصوت المحذوف وبعده ، وهذه الأصوات من مخرج التاء نفسه (أسنانية لثوية) .

وعلى ذلك فإن الكلمتين قبل الحذف ، كانتا تحتويان على خمسة أصوات من مخرج واحد : ع ب د ت ط طا غ و ت

وصارت بعد الحذف : ع ب دط طا غ و ت

أي إنه حذف جزء من المقطع (ت ط) ، وضم ما بقي منه إلى المقطع السابق عليه .

---

(1) معاني القرآن الكريم ٢ / ٣٣٢ .

(2) باهر البرهان ١ / ٤٢٦ .

(و) **حذف إحدى نوني بعض الحروف مثل (إنّ وأنّ وكأنّ) :**

وغالبًا ما يكون ذلك مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو ضمير المتكلم المنصوب [1]، ولا يمنع أن تحذف النون في غير هذه المواضع ، يقول الفراء [2]: " وقد خففت العرب النون من أنّ الناصبة ، ثم انفذوا لها نصبها ...

قال الشاعر : [الطويل]

فلو أنكِ في يوم الرَّخاء سألتِني ... فِراقَكِ لم أبخلْ وأنتِ صديقُ

فما رُدّ تزويجٌ عليه شهادةٌ ... وما رُدّ من بعد الحَرار عتيقُ [3]

وقال آخر : [المتقارب]

لقد علم الضيف والمرملونَ (م) ... إذا اغْبَرَّ أُفقٌ وهبّت شمالاً

بأنْكَ الربيعُ وغيثٌ مَريعٌ ... وقد ما هناك تكون الثِّمالا [4]

وكان الأخفش قد سبق إلى تقرير هذه الظاهرة ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ ﴾ (الأعراف ٧/٤٣) حيث قال[1]:" و﴿ أَن لَّعۡنَةُ

---

(١) انظر بحوث ومقالات في اللغة ٣٦ .

(٢) معاني الفراء ٢ / ٩٠ .

(٣) البيتان بلا نسبة في اللسان (حرر) دار صادر ٤ / ١٨١ – ١٨٢ ، والخزانة ٥ / ٤٢٧ والأول – وهو موطن الشاهد– في الإنصاف (د.جودة) ١٦٩ ، و(محيى الدين) ٢٠٥/١ ، والخزانة ٤٢٦/٥ و٣٨١/١٠.

(٤) البيتان لجنوب بنت عجلان في الخزانة ١٠ / ٣٨٤ وقد ذكر للبيت الثاني روايتين ، وذكر الخلاف في نسبة البيتين وانظر البيت الثاني في ابن يعيش ٨ / ٧٥ ، والبيتان بلا نسبة في الإنصاف (د. جودة) ١٦٩ ، و(محيى الدين) ١ / ٢٠٦ ولكعب بن زهير في الأزهية ٦٢ ، وليسا في ديوانه .

ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف ٧/٤٤)، وقال في موضع آخر : ﴿ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ (يونس ١٠/١٠) ، ﴿ أن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ﴾ (الأعراف ٧/٤٤) ، فهذه انَّ الثقيلة خففت ؛ واضمر فيها ، ولا يستقيم ان تجعلها الخفيفة ؛ لأنَّ بعدها اسمًا ، والخفيفة لا تليها الأسماء ، وقال الشاعر : [البسيط]

في فتيةٍ كسيوفِ الهندِ قدْ عَلِموا   أَنْ هَالِكٌ كلُّ من يَحْفَى ويَنتَعِلُ [٢]

وقال الشاعر : [الوافر]

أُكاشِرُه وأَعْلَمُ أَنْ كِلانا   عَلى ماسَاءَ صاحِبَه حريصُ [٣]

فمعناه : انه كلانا "

---

(١) معاني الأخفش ١ / ٣٢٥ – ٣٢٦ .

(٢) البيت للأعشى بهذه الرواية في ذيل شرح المعلقات السبع للتبريزي ١٨٢ وشرح المعلقات العشر للشنقيطي ١٣٣ ، ويرى بعض النحويين أن العجُز في هذه الرواية مصنوع ، ليكون شاهدًا على ما ذكره الأخفش هنا ، وهو بهذه الرواية أيضًا في الكتاب ٢ / ١٣٧ ، أما الرواية في ديوان الأعشى ، فالعجز فيها : أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيلُ ، انظر : الصبح المنير في شعر أبي بصير ق ٦ / ٣٨ ص ٤٥ والبيت في أكثر كتب النحو بالرواية الأولى ، انظر على سبيل المثال ابن يعيش ٨ / ٧١ والخزانة ٥ / ٤٢٦.

(٣) البيت لعدي بن زيد العبادي التميمي في كتاب سيبويه ٣ / ٧٣ ، وليس في ديوانه ولا ملحقاته ، والبيت منسوب لعمرو بن جابر الحنفي في حماسة البحتري ١٨ ، ودلّنا عليه العلامة الطناحي محقق أمالي ابن الشجري ١ / ٢٩١ ، والدكتور كاظم بحر المرجان محقق المقتصد في شرح الإيضاح ١ / ١٠٤ . وأكاشره : أضاحكه .

وقد أشار الفارسي لهذا النوع من الحذف أيضًا في بعض المواضع من الإغفال ، ومنها : " ... وكذلك حذفت النون التي تكون مع علامة المتكلم المنصوب من (كأنّي) لما وقعت بعد النون الثقيلة " [1]

وقوله في موطن آخر : " وقد حذف الحرف الزائد كما حذف الأصل ، نحو : إنّي ولعلّي " [2]

وفصل الفارسيّ القول في موطنٍ آخر ، فقال : " وأما ما ذكروه من قولهم: (كأنّي) فقد حذف غير الآخر من الأمثال إذا اجتمعت ... الا ترى انّ النون الثانية قد حذفت من (انّ) في نحو ﴿ عَلِمَ أن سَيَكُونُ ﴾ (المزمل ٢٠/٧٣) ... وعملت المخففة في المضمر على حدّ ما عملت في المظهر ، في نحو : إنْ زيدًا منطلقٌ ولمنطلقٌ ، وقد أجازه سيبويه ، وزعم انها قراءة [3]، وقد يجيء على قياس ما أجازه في الظاهر هذا البيت الذي أنشده البغداديون : [الطويل]

فلو أنْكِ في يوم الرَّخاء سَألْتِني ... فِراقَك لم أَبخلْ وأنتِ صديقُ

... ويذهب سيبويه إلى انّ (انّ) المفتوحة إذا خففت اضمر معها القصة والحديث ، ولم يظهر في موضعٍ ... "

والمتأمل في هذه الأمثلة التي تم فيها هذا الحذف يجد أن المحذوف مقطع واحد ، ففي (إنّ) مثلاً :

---

(١) الإغفال ١ / ٦٢ .

(٢) الإغفال ١ / ٦٥.

(٣) الذي في كتاب سيبويه ٣ / ١٦٦ : " وزعموا أنها في مصحف أبيّ : (ألّهم لا يقدرون)" وذلك في قوله تعالى : (أن لا يقدرون) وقد ضبطت أنهم بتشديد النون في الكتاب ، وهو خطأ ، انظر معجم القراءات ٩/٣٥٥ .

نجد أصلها : إ نْ نَ = مقطعان ، وبعد الحذف : إن = مقطع واحد .

وكذلك : كأنني ، الأصل : كَ أنْ نَ ني = ٤ مقاطع

وبعد الحـــذف : ك أنْ ني = ٣ مقاطع ... وهكذا .

ولعلّ سبب حذف هذا المقطع من هذه الحروف ما ذكره الجوهري ، حيث يقول [١] : " وإني وإنني بمعنى ، وكذلك : كأني وكأنني ، ولكني ولكنني ؛ لأنه كثر استعمالهم لهذه الحروف ، وهم يستثقلون التضعيف ، فحذفوا النون التي تلي الياء ، وكذلك لعلّي ولعلني ؛ لأن اللام قريبة من النون " .

مخالفة الحركات بالإسكان :

تكره العربية توالي الحركات (الصوائت) كما تكره توالي الأمثال من الصوامت ؛ لأن الحركة – بصرف النظر عن نوعها – هي نقيض الساكن ، فتوالي عدد من المتحركات صعبٌ في النطق ، ولذا كان " من النظام المقطعي في العربية : الابتعاد عن توالي أربعة مقاطع من النوع الأول ، وهذا هو السر في تغيير نظام المقاطع في الفعل الماضي الثلاثي المتصل بضمير الرفع المتحرك ، إلى مقطعين من النوع الأول في : (ضَرَبْتُ) " [٢].

وقد التفت علماء معاني القرآن إلى هذا الذي أشار إليه المحدثون ، يقول الأخفش [٣]: "وقال بعضهم ﴿ أَحَدَ عَشَرَ ﴾ (يوسف ٤/١٢) ، وأسكن العين ، وكذلك : ﴿ تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (المدثر ٣٠/٧٤) ، إلى العشرين ، لما طال الاسم ،

---

(١) الصحاح (أنن) ٥ / ٢٠٧٣ .

(٢) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٩٥ – ٩٦ .

(٣) معاني الأخفش ١ ٣٩٤ .

وكثرت متحركاته اسكنوا ، ولم يسكنوا في قولهم : ﴿ أَثْنَىٰ عَشَرَ ﴾ (المائدة ٥/١٢) و﴿ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ ﴾ (البقرة ٢/٦٠) للحرف الساكن الذي قبل العين، وحركة العين في هذا كله هو الأصل "

وقد تحدث الفراء أيضًا عن هذه الظاهرة في عدة مواطن من كتابه ، منها قوله [1]: " وقال بعض الشعراء : [الوافر]

فأبلُوني بليّتكُم لَعلّي أُصالحُكم وأَسْتدرجْ نَوَيّا [2]

فجزم (واستدرجْ) ، فإن شئت رددته إلى موضع الفاء المضمرة في لعلّي ، وإن شئت جعلته في موضع رفع ، فسكنت الجيم لكثرة توالي الحركات ، وقد قرا بعض القراء : (لاَيَحْزُنْهم الفزع الأكبر) بالجزم ، وهم ينوون الرفع ، وقراوا : (أَنُلزِمْكُموها وأنتم لها كارهون) ، والرفع احبّ إلى من الجزم "

وعاد الفراء إلى هذه الظاهرة في حديثه (احد عشر) فقال : " ومن القراء من يسكّن العين من (عشر) [3] في هذا النوع كله ، إلا اثنا عشر ، وذلك انهم استثقلوا كثرة الحركات ... "[4]

---

(١) معاني الفراء ١ / ١٧٦ ، ورواية البيت فيه : أصلكم : وهو تحريف ، صوابه ما أثبته من الخصائص وسر الصناعة ، وحجة ابن خالويه في المواضع الآتية .

(٢) البيت الأول لداود الإيادي في الخصائص ١ / ١٧٧ ، وانظر قصته فيه أيضًا ، وسر الصناعة ٢ / ٧٠١ ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٣٤٦ .

(٣) هي قراءة الحسن وأبي جعفر وطلحة بن سليمان وابن عباس ونافع – بخلاف عنه – وعباس عن أبي عمرو وهبيرة عن حفص من طريق فارس بن أحمد ، وشيبة ، والحلواني عن طلحة ، انظر البحر ٥ / ٢٧٩ ، والإتحاف ٢٤٢ و٢٦٢ ، ومعجم القراءات ٤/ ١٧٧ .

(٤) معاني الفراء ٢ / ٣٤ .

وكلام الزجاج في هذا الموضع لا يكاد يخرج عما قاله الأخفش والفراء ، إذ يقول [1]: " القراءة بفتح العين ، وفتح جميع الحروف في (احد عشر) ، وقد روي بتسكين العين ... وهي غير منكرة ما كان قبل العين حرف متحرك لكثرة الحركات في قوله (احد عشر) ، فأما (اثنا عشر) مثلاً ، قد جاءت في السياق التالي : ﴿ أَحَدَ عَشَرَ ﴾ (يوسف ٤/١٢)

وهذا معناه أن هذه العبارة تحتوي على ثمانية مقاطع متوالية لها سمتٌ واحد ، هي :

تُ أَ حَ دَ عَ شَ رَ كو= ٨ مقاطع

منها ستة مقاطع متماثلة تمامًا (صامت + حركة الفتح القصيرة) ، أي إن هذا التسكين تم كوسيلة للمخالفة الصوتية بين هذه المقاطع المتماثلة ، التي يصعب على المرء النطق بها غالبًا ، ويتحول أمر هذه المقاطع بعد هذه المخالفة إلى:

تُ أَ حَ دَعْ شَ رَ كَوْ =٧ مقاطع

ليجيء السكون كاستراحة صوتية بين ثلاثة مقاطع سابقة عليه وتالية له.

---

(١) معاني الزجاج ٣ / ٩٠ .

الإبدال

تعريف الإبدال Substitution : **لغة واصطلاحًا** :

الإبدال لغة :

قال ابن فارس : " الباء واللام أصل واحد ، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب " [1] وجاء في اللسان : " ... والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله ، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر. كإبدالك من الواو تاء في تالله " [2]

الإبدال اصطلاحًا :

هو إقامة حرف مكان حرف في كلمة واحدة ، والمعنى واحد .[3]

وقد زاد بعض اللغويين المعاصرين في التعريف قليلا ، فقال : " جعل حرف مكان حرف ، أو حركة مكان أخرى " [4]

أي إنه وسع الإبدال ليشمل الصوائت (الحركات) إلى جوار الصوامت (الحروف).

وواضح أن العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي هي علاقة العام بالخاص.

---

(١) مقاييس اللغة (بدل) ٢١٠/١

(٢) اللسان (بدل) ٤٨/١١ دار صادر .

(٣) انظر : الإبدال لابن السكيت ٤٨.

(٤) اللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجا ٧١.

الخلاف حول اشتراط وجود علاقة صوتية بين المبدل والمبدل منه :

اختلف العلماء ـ قديمًا وحديثًا ـ في ضرورة وجود علاقة بين المبدل والمبدل منه ، فمنهم من يرى ضرورة وجود علاقة مخرجية أو وصفية بين المبدل والمبدل منه ، وعلى رأسهم الفراء في معانيه [1] وأبو علي الفارسي [2] وتلميذه ابن جني[3] وكذلك ابن فارس في كتابه الصاحبي [4] ومعهم كثير من اللغويين المحدثين ، كالدكتور أنيس[5] والدكتور عبد الصبور شاهين [6] ، والدكتور صبحي الصالح الذي اشترط التقارب في المخرج لا في الصفة حيث يقول: " فالمعول في باب الإبدال على المخرج لا على الصفة ، ولو تقيد اللغويون بهذا الشرط الهام لجاءت شواهدهم على الإبدال اللغوي قليلة في العدد ثقيلة في الميزان " [7]

علي حين يرى فريق من اللغويين القدامى عدم وجود ضرورة لمثل هذه العلاقة الصوتية بين المبدل والمبدل منه ، ومن هؤلاء ابن السكيت [8] وأبو الطيب اللغوي [9] ، وهما ممن ألف في الإبدال ، حيث ذكرا في كتابيهما

(١) انظر معاني القرآن ٣/٢٤١.

(٢) انظر : سر صناعة الإعراب ١/١٩٧.

(٣) انظر الخصائص ٢/٨٢.

(٤) انظر : ص ٣٣٣.

(٥) انظر : من أسرار اللغة ٧٥.

(٦) انظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٦٩-٢٧١.

(٧) دراسات في فقه اللغة ٢٣٥.

(٨) انظر مثلاً الصفحات ٩٧-١٣٦ من كتابه

(٩) انظر : الإبدال لأبي الطيب ١/١٧-١٨ و٣١٠ حيث عد التعاقب بين الحروف المتباعدة من الإبدال (تحقيق التنوخي).

كثيرًا من الأمثلة التي تدل علي ذلك ، وتابعهما بعض المعاصرين كالدكتور عبد الله امين ، الذي عد التباعد بين الحرفين من مسوغات الإبدال ، كالتجانس والتقارب على حد سواء [1] واتى بأمثلة كثيرة تقوي مذهبه.

الخلاف في منشأ الإبدال :

اختلف علماء اللغة في منشأ الإبدال ، فمنهم من ذهب إلى انه ينشأ من اختلاف اللهجات ، ومنهم من فصّل في ذلك.

فأما الراي الأول ، فيمثله ابن السكيت وابو الطيب اللغوي وابن خالويه ، فقد نقل السيوطي عن ابن السكيت قوله : حضرني أعرابيان من بني كلاب ، فقال أحدهما : إنفحة ، وقال الأخر : منفحة ، ثم افترقا على ان يسألا جماعة من أشياخ بني كلاب ، فاتفق جماعة علي قول ذا ، وجماعة علي قول ذا ، وهما لغتان " [2] فهذا القول الذي نسبه السيوطي لابن السكيت يدل على انه كان يرى ان منشأ الإبدال اختلاف اللهجات ، وليس كما ظن احد الباحثين انه " يذهب إلى القول بوقوع الإبدال في اللهجة الواحدة " [3]. فابن السكيت لا يعدو أن يكون واصفاً للاستخدام اللغوي في زمانه ، بعد ان شاعت الكلمتان ، لكنه رد ذلك الاستخدام في نهاية كلامه إلى أصله ، وهو اختلاف اللهجات حين قال : " وهما لغتان " . وكذلك نقل السيوطي عن ابي الطيب اللغوي انه قال في كتابه عن الإبدال : " ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى

---

(١) انظر : الاشتقاق ٣٦٧-٣٧٠

(٢) المزهر ٤٧٥/١.

(٣) الظواهر اللغوية في كتاب (معاني القرآن) للأخفش ٣٤.

واحد ، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد ، قال : والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورًا مهموزة ، وطورًا غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميمًا ، والهمزة المصدرة عينًا ، كقولهم في نحو (أن) : عن ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون " [١]

كما نقل السيوطي عن ابن خالويه قوله : " أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في الصقر ، فقال أحدهما بالسين ، وقال الآخر بالصاد ، فتحاكما إلى أعرابي ثالث ، فقال : أما أنا فأقول الزقر بالزاي : قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات " [٢]

وفي المقابل فإن هناك بعض العلماء يجيز الوجهين ، فقد يقع الإبدال – عندهم - في اللهجة الواحدة ، كما يقع بين اللهجات المختلفة ، إذ يرى ابن جني وابن سيدة وابن يعيش أن الكلمتين المتحدتين في الحروف إلا في حرف واحد ، تارة يكون هذا الخلاف في ذلك الحرف من قبيل الإبدال عندهم ، وذلك إذا أمكن الحكم بأصالة إحدي الكلمتين وفرعية الأخرى ، وهذا يستدعي أن تكون الأصلية أعم تصرفًا ، أو أدور استعمالا ليتسنى الحكم بالأصالة والفرعية لهذه الميزة ، وحينئذ يكون الإبدال عند قبيلة واحدة ، أو عند العرب جميعًا . وآنا يكون هذا الخلاف من قبيل اختلاف اللغات ، وذلك إذا لم يتسن الحكم ... " [٣].

---

(١) المزهر ٤٦٠/١ . ولم أجد هذا النص المنسوب لأبي الطيب في كتابه (الإبدال) الذي طبع بتحقيق الأستاذ الكبير عز الدين التنوخي ، ويبدو أنه مما فقد من الكتاب!

(٢) المزهر ٤٧٥/١.

(٣) اللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجا ٧٣.

الإبدال عند أصحاب معاني القرآن :

التفت أهل المعاني إلى كثرة صور الإبدال في القرآن الكريم ، فحاولوا معالجة هذه الظاهرة بكثير من الأمثلة التي فسروها ، وفق رؤيتهم ، وإدراكهم لطبيعة العلاقة الصوتية بين الحروف ، وسوف أقوم بتتبع الأمثلة التي ذكروها - ما استطعت - وبيان موقف العلماء القدامى والمحدثين منها، مرتبًا ذلك على حروف المعجم في الصوامت، ثم أثني بالإبدال بين الحركات.

أولاً : الإبدال بين الصوامت : (*Consonants*)

بين الهمزة والهاء :

ذكر الأخفش : وهو أول من وصل إلينا كتبهم في المعاني - صورًا كثيرة للإبدال بين الهمزة والهاء ، منها قوله[1] : " ومن العرب من يقول : (هيّاك) بالهاء ، يجعل الألف من (إياك) هاءً ، فيقول : (هيّاك نعبد) [2] ؛ كما تقول : (إيه) و(هيه) ، وكما تقول : (هرقت) و (ارقت) " وهكذا يسوق الأخفش بعض الأمثلة غير القرآنية ، وهو أمر يكاد يكون مشتركًا عند أكثر أهل المعاني إذ هم عادة ينطلقون من النص القرآني ، ثم يتوسعون بعد ذلك بذكر أمثلة لغوية عامة.

ولم يكتف الأخفش بما ذكره من أمثلة سابقة ؛ بل عقد بابًا في كتابه – كعادته - أسماه (باب أهل وآل) [3] جاء فيه : " وأمّا (آل) فإنها تَحْسُن إذا أضيفت إلى اسم خاص نحو : (أتيت آل زيد) ، (أهل مكة) ، (وآل مكة) ، (آل

---

(١) معاني الأخفش ١/١٨.

(٢) هي قراءة شاذة ، قرأ بها أبو السوار الغنوي ، كما في البحر ١-٢٣ والقرطبي ١-١٤٦ وقال : " هي لغة " وانظر مختصر ابن خالويه ٩.

(٣) معاني الأخفش ١-٩٨.

المدينة) ، (واهل المدينة) ، ولو قلت : اتيت آل الرجل ، وآل المراة ، لم يحسن.. وليس (آل) بالكثير في اسماء الأرضين ، وقد سمعنا من يقول ذلك ، وإنما هي (همزة) ابدلت مكان (الهاء) ؛ مثل : (هيهات) ، و(ايهات) " [1]

وهكذا يقرر الأخفش جواز الإبدال بين الهمزة والهاء ، والهاء والهمزة ، وهو ما فعله الفراء [2] - دون أن يذكر الإبدال – حيث استشهد ببيت جرير : [الطويل]

فَأَيْهَاتَ أَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِـهِ   وَأَيْهَاتَ وَصلٌ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُه [3]

بما يعني عنده ان (ايهات) لغة في (هيهات).

واما الزجّاج فقد اكثر من ذكر امثلة الإبدال بين الهمزة والهاء في مواضع مختلفة من كتابه ، ومن هذه الأمثلة ما هو مسبوق فيها بالأخفش والفراء [4] ، ومنها ما انفرد بذكره ، كقوله [5] : " قال أهل اللغة : أصل كلمة (ماء) ماه ، إلا ان الهمزة ابدلت من الهاء لخفة الهاء، والدليل علي ذلك قولهم : أمواه في جمعه ، ومياه ، ويصغر : مويه ، قال الشاعر : [الطويل]

سَقَى اللّهُ أَمْوَاهًا عَرَفْتُ مَكَانَهَا   جِرَابًا وَمَلْكُومًا وَبَـذَّرَ وَالْغَمْـرَا [6]

---

(١) قراءة الجمهور (هيهات) ، وقرئ – شاذًا – (أيهات)– كما في التبيان للعكبري ٢/٩٥٥ والدر المصون ٣٣٨/٨ وهي من لغات العرب كما في مختصر ابن خالويه ١٠٠.

(٢) معاني الفراء ٢–٢٣٥.

(٣) ديوان جرير ق ٣٨–٢٢ ص ٩٦٥ وروايته : تواصله.

(٤) انظر علي سبيل المثال : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/١٨٠.

(٥) معاني الزجاج ٢/٢٧٥.

(٦) البيت لكثير عزة ، كما في الخزانة ٢/٣٥٥ ، وفيها : فالغمرا.

وذكر هذا النوع من الإبدال أيضًا بيان الحق النيسابوري ، وهو من أهل المعاني ، عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة ٥/ ٤٨) فقال: " ... مفيعل من (الأمان)... فانقلبت الهمزة هاءً " [١]

مسوغ الإبدال :

الهمزة صوت شديد مهموس مرقق عند المحدثين ، ينطق بإغلاق الأوتار الصوتية إغلاقًا تامًّا ، ثم فتحهما فجأة ، لينطلق الهواء[٢] ، ولكنه عند القدماء صوت مجهور[٣] ، ولا يمكن أن يكون كذلك واقعيًّا إلا إذا كان مسهّلاً[٤] ، وقد عدّه جماعة من اللغويين المحدثين صوتًا لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور[٥] ، ولكن أكثر المحدثين يردّون هذا الرأي ؛ لأن : " الأوتار الصوتية إما أن تتذبذب فيحدث الجهر ، أولا تتذبذب فيحدث الهمس ، ولا ثالث لهاتين الإمكانيتين " [٦].

---

(١) إيجاز البيان عن معاني القرآن ١/٢٧٧.

(٢) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٥٦ ودراسات صوتية للدكتورة تغريد عنبر ٧٨ ودراسة الصوت اللغوي ٣١٩.

(٣) انظر : الكتاب ٤/٤٣٤ وشرح المفصل ١٠-١٢٩.

(٤) وتكون حينئذ أشبه بحروف اللين التي هي أصوات مجهورة، انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٢٤٢.

(٥) وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللغوية) ٩٠، ووافقه الدكتور كمال بشر في كتابه علم الأصوات ١٧٥، والدكتور صلاح الدين حسنين في كتابه: المدخل إلى علم الأصوات ١٥٣ (مع أنه ذكر من وصف الهمزة في العبرية بالمهموسة ، ثم خطّأه) ، وعلم اللغة للدكتور محمود السعران ١٥٧.

(٦) أصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب ١٨٣(هامش). وانظر أيضًا رفض الدكتور رمضان لرأي الدكتور أنيس في المدخل إلى علم اللغة٥٧.

وأما مخرج الهمزة، فمن الحنجرة، والهاء تشترك معها في ذلك. عند المحدثين، أما القدماء فيرون أن الهمزة والهاء يخرجان من أقصى الحلق .

الهمزة والهاء إذن متحدتان في المخرج، ومتفقتان في صفتي الهمس [٢] والترقيق، ولا يختلفان إلا في الشدة والرخاوة، ولذلك جاز أن تبدل كل منهما بالأخرى؛ لأن الهاء هي النظير الانفجاري للهمزة.

وكتب اللغة تغص بأمثلة هذا الإبدال بدءًا من سيبويه [٣]، ومرورًا بابن جني[٤] وابن يعيش [٥] وابن السكّيت [٦] وأبي الطيب اللغوي والزجاجي[٧]. وابن منظور [٨]، وانتهاءً بعلماء اللغة المعاصرين، ومنهم أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب، الذي كان يرى أن نطق الهمزة هاءً - وبخاصة عند قبيلة طيء - هو حال من أحوال تحقيق الهمزة في العربية، في مقابل أحوال تسهيلها عند أكثر الحجازيين [٩].

---

(١) انظر العين (تحقيق د.درويش) ٥٨ والكتاب ٤-٤٣٣ وإن كان الدكتور حلمي خليل يرى أن الخليل كان يقصد بأقصي الحلق : الحنجرة، انظر التفكير الصوتي عند الخليل ٢١.

(٢) يرى الدكتور تمام حسان أن الهاء صوت مجهور، ويرى الدكتور أنيس أن الهاء عادة صوت مهموس يجهر به في بعض الظروف اللغوية الخاصة "، انظر مناهج البحث في اللغة ١٠٣، والأصوات اللغوية ٨٨-٨٩.

(٣) انظر الكتاب ٢٣٨/٤.

(٤) انظر سر صناعة الإعراب ١*١٠٠.

(٥) انظر شرح المفصل ٤٢/١٠-٤٣.

(٦) انظر إبدال ابن السكيت ٨٨.

(٧) انظر الإبدال لأبي الطيب ٥٦٩/٥ وما بعدها. والإبدال والمعاقبة والمخالفة للزجاجي (د. يوسف الهابط) ٦٠.

(٨) انظر اللسان (أنى) ٣٦/١٣ دار صادر.

(٩) انظر كتابه الرائد (مشكلة الهمزة العربية) ٤٦-٥٠.

والدكتور عبد الصبور شاهين الذي قال عن هذا الإبدال : " أما قلب الهمزة هاء ، فهو كما ذكر الكرماني [1] (لغةٌ لبعض العرب) ولعله مشروط بموقع معين " [2] والأمثلة التي ذكرها أصحاب المعاني وغيرهم من أهل اللغة قديمًا وحديثًا تثبت ان هذا الإبدال بين الهمزة والهاء ليس مشروطًا بموقع معين كما يري الدكتور عبد الصبور.

بل إن إبدال الهمزة هاءً وقع في اللغات السامية الأخري ، ففي الحبشية مثلاً تحولت همزة (إيّل) بمعني الكبش ، وكتابتها الصوتية >iyyal. كما هو في العربية ، إلى heyal [3].

كما وقع الإبدال بين الهاء والهمزة في كلمة (أَفَكَ) afaka > في العربية ، لأن الكلمة في أكثر اللغات السامية الأخري بالهاء ، ففي العبرية : Hafak ، وفي الآرامية Hafak ، وفي السريانية Hpak [4] واداة الشرط العربية (إن) يقابلها في الآرامية (Hen) [5] ، وفي العبرية Hinne [6]...إلخ .

وهذا كله يلقي بظلال من الشك علي ما يراه الدكتور ضاحي من أن تحول الهاء إلى همزة في (هيهات) قد " تم بطريق التغاير ، فبعد ان كانت الكلمة تشتمل علي صوتين من جنس واحد وهما الهاء والهاء ، قلب أولهما إلى

---

(١) انظر التبيان ١/٢٢.
(٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٩٥.
(٣) انظر ظاهرة الإبدال في المشترك السامي ٢٦.
(٤) السابق ١١٩.
(٥) التطور النحوي ٥٠.
(٦) بحوث ومقالات في اللغة ٢٣٢ وقارن ذلك بموقف قبيلة طيء التي أثر عنها ذلك الإبدال.

صوت آخر ، وهو الهمزة " [1]. ذلك أننا رأينا كثيراً من الأمثلة حدث فيها الإبدال بين الهاء والهمزة دون أن يكون للمخالفة الصوتية (أو التغاير) أي دور ، لمجيء الصوت - همزة كان أو هاء - منفردًا ، فلا حاجة للتخلص من توالى الأمثال ، لأنه ليس فيها أمثال أصلاً!

بين الباء والميم :

ذكر الفراء هذا النوع من الإبدال بقوله [2] : " والعرب تقول : ليس هذا بضربة لازب ولازم ، يبدلون الباء ميمًا ، لتقارب المخرج " . وعبارة (لتقارب المخرج) ليست دقيقة من الفراء ، وكان يجب ان يقول : (لاتحاد المخرج). ولم يفت الزجاج – وكتابه جامع محيط بالظواهر اللغوية – ان يتحدث عن هذا الإبدال بين الباء والميم أيضًا عند تفسيره لقوله تعالى : " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة " : حيث قال [3] : " فأما (مكة) بالميم ، فتصلح ان يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة ، والميم تبدل من الباء ، يقال : ضربة لازب ولازم ، ويصلح ان يكون الاشتقاق من قولهم : (امْتَكَّ الفَصِيلُ مَا فِي ضِرْعِ النَّاقَةِ) إذا مصّ مصًا شديدًا ، حتي لا يُبقي فيه شيئًا . فتكون سميت بذلك لشدة الازدحام فيها ، والقول الأول ، اعني البدل ، احسن " . وذكر الزجاج امثلة اخري في مواضع اخري من كتابه.[4] وقد سار النحاس سيرة شيخه الزجاج ، فرجّح الإبدال هنا ، وقال [5] : " والذي عليه اكثر اهل اللغة ان (بكة) و(مكة)

---

(١) لغة تميم ١٦٥.

(٢) معاني الفراء ٢/٣٨٤.

(٣) معاني الزجاج ١/٤٤٥.

(٤) انظر مثلاً : معاني الزجاج ٤/٢٩٩ و٢/٩٩.

(٥) معاني القرآن للنحاس ١*٤٤٣. وانظر مثالاً آخر نقله النحاس عن الفـراء في معانيـه ٦/١٥.

واحد ، وانه يجوز أن تكون الميم مبدلة من الباء ، يقال : لازب ولازم ، وسبد شعره وسمده إذا استأصله "

وقد ساق بيان الحق النيسابوري [1] بيتًا للنابغة كشاهد على أن اللازب هو اللازم ، وهو قوله : [الطويل]

وَلاَ يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لاَ شَرَّ بَعْدَهُ وَلاَ يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لاَزِبِ [2]

بما يعني أنه يري الإبدال بين الباء والميم.

العلاقة الصوتية :

الباء والميم من حروف الذلاقة (فرمن لب[3]) ، وهي حروف خفيفة في النطق[4] ، يكثر وجودها في أبنية العربية ، ولا خلاف بين القدماء والمحدثين على أن الباء والميم صوتان شفويان ، فهما متحدان مخرجًا ، ومتفقان في صفة الجهر - حيث تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بهما - وفي كونهما مرققين ، ويكمن الخلاف بينهما في صفة الشدة ، حيث نجد الباء صوتًا شديدًا ، يتم نطقه بضم الشفتين ، ورفع الطبق ، ليغلق ما بين الحلق والتجويف الأنفي بينما يصنف صوت الميم على أنه من الأصوات اللينة

---

(١) انظر : باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ٢/١١٩٧ - ١١٩٨ ، وانظر أيضًا له : إيجاز البيان عن معاني القرآن ٢/٦٩٧.

(٢) ديوانه ق ٣/٢٨ ص ٤٨.

(٣) انظر ما كتبه الخليل بن أحمد عنها في كتابه (العين) ١/٥٨ (تحقيق درويش)

(٤) انظر الوقفة الدقيقة للدكتور كمال بشر حول التصور الصحيح لهذه الحروف في: علم الصوتيات ٣٦٢-٣٦٧ .

(المتوسطة [1]) ، إذ ينطق بأن تنطبق الشفتان تمامًا ، فيحبس خلفهما الهواء ، ويخفض الطبق ، ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف ، ولذا يوصف صوت الميم بأنه(انفي [2]).

وبسبب هذه العلاقة ساغ الإبدال بين الميم والباء عند كثير من القبائل العربية ، وإن كان أشهرها مازن ربيعة[3] ، كما ذكر ابن جني في سر الصناعة كثيرًا من أمثلة هذا الإبدال [4] ، وكذلك فعل أبو الطيب اللغوي [5] وابن السكّيت [6] في كتابيهما عن الإبدال ، وابن منظور في اللسان [7] ، وأبو حيان في البحر والنهر [8] ، ولذلك فلست مع الدكتور أنيس في قوله: " وهذه الظاهرة ليست إلا نتيجة أخطاء الأطفال في البيئة المنعزلة التي لا يجد الطفل فيها فرصة كافية لإصلاح أخطائه " [9]

---

(١) وإن كان الدكتور كمال بشر له تصور خاص يكاد ينفرد به حول هذا المصطلح ، راجعه في علم الصوتيات ٣٥٠-٣٦٠ ، وانظر مناقشة الدكتور غانم قدوري لــه في: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٢٦١-٢٦٣.

(٢) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٤٢-٤٣ ، ودراسات في علم الأصوات ٦٠-٦١.

(٣) انظر : محاورة أبي عثمان المازني مع الخليفة الواثق- فإنها أبرز مثال تراثي على هذه الظاهرة — في طبقات النحويين واللغويين ٩١-٩٢. واللهجات العربية في التراث ٤١١/١.

(٤) انظر : سر صناعة الإعراب ٤٢٣/١ — ٤٢٥.

(٥) انظر : الإبدال له ٣٨/١ و٧٦ و٣٢٥.

(٦) انظر : الإبدال لابن السكيت ٧٠-٧٣.

(٧) انظر اللسان (طبن) ٢٦٤/١٣ ، و(طمن) ٢٦٨/١٣.

(٨) انظر البحر المحيط (وبهامشه النهر الماد من البحر) ٥/٣-٦.

(٩) في اللهجات العربية ١١٩.

إذ قد وجدت الظاهرة في اللغة المشتركة ، ثم نزل القرآن بها ، كما رأينا في (بكة) و(لازب) فلم يعد لمثل هذا القول – في رأيي – مساغ وبخاصة أن إبدال الباء ميمًا وقع في بعض اللغات السامية الأخرى [1] .

بين التاء والدال :

يحدث الإبدال - أحيانًا - بين التاء والدال ، كمقدمة للإدغام في صيغة الافتعال ، وقد جاء ذلك عند الأخفش في حديثه عن قوله تعالى : ﴿ وَٱدَّكَرَ ﴾ (يوسف١٢ / ٤٥) ، حيث قال [2] : " وإنما هي افتعل ، من (ذكرت) ، فأصلها اذتكر [3] ، ولكن اجتمعا في كلمة واحدة ، ومخرجاهما متقاربان ، وأرادوا أن يدغموا ، والأول حرف مجهور؛ وإنما يدخل الأول في الآخر ، والآخر مهموس ، فكرهوا أن يذهب منه الجهر ، فجعلوا في موضع التاء حرفًا من موضعها مجهورًا ، وهو الدال ؛ لأن الحرف الذي قبلها مجهور " . وهذا الكلام وإن كان قد أشار إليه سيبويه في كتابه [4] إلا أن نصّ الأخفش هذا نفيس ، إذ يعبر عن وعيٍ كبير - مبكر - بتأثير الأصوات بعضها في بعض ، وقريب منه قول الفراء [5] في : ﴿ وَٱزْدُجِرَ ﴾ (القمر ٩/٥٤): "وازدجر : افتعل من زجرت ، وإذا كان الحرف أوله زاي صارت تاء الافتعال فيه دالاً ؛ من ذلك : زجر ، وازدجر ، ومزدجر ، ومن ذلك : المزدلف ، ويزداد هي من الفعل يفتعل ، فقس

(١) انظر في هذا : ظاهرة الإبدال في المشترك السامي ٢٨-٣٠.

(٢) معاني الأخفش ٣٩٨/١.

(٣) انظر مختصر شواذ ابن خالويه ١٤٨-١٤٩،والبحر المحيط ١٧٨/٨ففيهما قراءة (مذكر).

(٤) انظر الكتاب ٤٦٧/٤-٤٦٨.

(٥) معاني الفراء ١٠٦/٣.

عليه ما ورد". ويبدو ان القدماء قد امتثلوا امر الفراء في قوله (فقس عليه ما ورد) ، وجعلوه في كتبهم من (الإبدال القياسي) او (القلب المطرد) [1] ، ولعل أسرعهم في ذلك الزجاج - وكتابه في المعاني تالٍ لكتاب الفراء ، إذ لم يصل إلينا فيما بين الكتابين غيره - حيث يقول في تقرير هذه القاعدة ، بعد ان ذكر بعض الأمثلة التي لم يذكرها الفراء : " وكذلك : مزتجر ، وإنما ابدلت دالاً لأن التاء حرف مهموس ، والزاي حرف مجهور ، فأبدل من التاء من مكانها حرف مجهور ، وهو الدال ، فهذا لا يفهمه إلا من احكم كل العربية... والذي ينبغي أن يقال للمتعلم : إذا بنيت افتعل ، أو مفتعل ، مما أوله زاي ، فاقلب التاء دالاً ، نحو : ازدجر ، ومزدجر"[2].

وقد صدق ابن يعيش حين قال : " وقد حملهم علي طلب التجانس ، وتقريب الصوت بعضه من بعض علي ان ابدلوا من التاء دالاً في غير (افتعل) [3]. ومن امثلة ذلك الإبدال ايضًا ما جاء عن الفراء [4] - ونقله الزجاج بلا إشارة [5] ، وقد كان به بعض الصد عنه ، مع انتفاعه بعلمه! - " الفندق مثل الخان.... وسمعت اعرابياً من قضاعة يقول : فنتق " .

---

(١) انظر علي سبيل المثال : المقتضب ٢١٣/١ ، والأصول لابن السراج ٢٧٠/٣ والمنصف ٣٣٠/٢ ، والمخصص ٢٦٨/١٣ وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٣١٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه له ٨٥/٥.

(٣) شرح المفصل ١٥/٥.

(٤) معاني الفراء ٢٤٩/٢.

(٥) انظر معاني الزجاج ٣٩/٤.

مسوغ الإبدال :

التاء هو النظير المهموس لصوت الدال ، فكلا الحرفين صوت أسناني لثوي ، انفجاري ، مرقق ولا يختلفان إلا في الجهر والهمس [1] ، ولذلك جاز التبادل بينهما [2] ، بحسب الحاجة إلى الانسجام أو المماثلة الصوتية في بنية الكلمة ، كما حدث لكلمة (فندق) ، فقد تحولت الدال فيها إلى تاء تأثرًا بالهمس الذي في القاف التي بعدها .

بين التاء والطاء :

اشار الأخفش إلى ذلك النوع من الإبدال عند تعرّضه لقوله تعالى : ﴿ أن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ (النساء ١٢٨/٤) فقال [3] : " وقال بعضهم : (يصطلحا)[4] ، وهي الجيدة ، لمّا لم يقدر علي إدغام الصاد في التاء حُوِّل في موضع التاء حرف مُطبق " .

وقد أرساها الفراء قاعدة - كعادته – فقال [5] : " وتاء الافتعال تصير مع الصاد والضاد طاءً ، كذلك الفصيح من الكلام ... " غير أن القدماء وسّعوها بأن جعلوا التاء تقلب طاء إذا جاورت حرفًا من احرف الإطباق الأربعة [6] . وقد ذكر الزجاج نماذج أخرى لهذا الإبدال عند تفسيره لقوله

---

(١) انظر : دراسات في علم الأصوات ٦٥-٦٦.

(٢) ولذلك أورد كثير من أصحاب كتب الإبدال أمثلة لهذا الإبدال ، مثل ابن السكيت في إبداله ١٠٢ ، = = والزجاجي في إبداله ٦٨ ، وأبي الطيب اللغوي ١٠٢/١.

(٣) معاني الأخفش ٣٩٨/١.

(٤) وهي قراءة شاذة ، كما في البيان ٣٩٥/١.

(٥) معاني الفراء ٢١٦/١.

(٦) انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني ٣٣١/٤.

تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة ٢/٢٤٧) حيث قال: [١] : " فقال: (اصطفاه) معناه اختاره ، وهو افتعل من الصفوة ، والأصل : اصتفاه ، فالتاء إذا وقعت بعد الصاد ابدلت طاءً ، لأن التاء من مخرج الطاء ، والطاء مطبقة؛ فأبدلوا الطاء من التاء ، ليسهل النطق بما بعد الصاد ، وكذلك افتعل من الضرب : اضطرب ، ومن الظلم : اظطلم ".

العلاقة الصوتية :

الطاء هي النظير المفخم لصوت التاء ، فالتاء – كما مرّ – صوت اسناني لثوي انفجاري مهموس مرقق ، والطاء صوت اسناني لثوي انفجاري مهموس مفخم [٢] (مطبق) – وإن كان القدماء يصفونها بالجهر – " ويرى بعضهم انه في حالة النطق بالطاء يكون اللسان مقعرًا ، اي يرتفع اقصاه وطرفه مع تقعير وسطه ، وهذا هو المقصود بالإطباق " [٣] وبسبب هذا الاتحاد في المخرج ، والاتفاق في اكثر الصفات ساغ الإبدال بين الصوتين ، كما راينا في (يصطلحا) حيث تأثرت التاء بالصاد المطبقة فتحولت إلى نظيرها المطبق وهو الطاء ،

يقول الدكتور سلمان العاني : " عندما يوجد صوت مفخم ساكن في مقطع ما ؛ فإن جميع المقطع يصبح مفخمًا ... كذلك فإن ظاهرة التفخيم ليست محصورة في حدود المقاطع ولكنها قد تؤثر او لا تؤثر في المقطع المجاور " [٤] . وهذا هو التفسير الذي يتفق عليه اللغويون بدءًا من سيبويه الذي يقول : " فأبدلوا مكانها [التاء] أشبه الحروف بالصاد ، وهي الطاء ،

---

(١) معاني الزجاج ٣٢٨/١.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٤٦– وانظر الأصوات اللغوية للدكتور أنيس ٦١.

(٣) علم الأصوات للدكتور كمال بشر ٢٥٠.

(٤) التشكيل الصوتي في اللغة العربية ١٨٢ .

ليستعملوا السنتهم في ضرب واحد من الحروف "[1] وانتهاءً بالمحدثين الذين يقول أحدهم عن هذا الإبدال : " والعلة ، في ذلك هي تلاقي صوتين أحدهما مطبق ، والآخر منفتح ، فيبدأ السياق النطقي بإيجاد التشاكل والتناسب بينهما لجعلهما من صفة واحدة ، وهي الإطباق ليسهل النطق بها "[2] .

غير أن السيرافي يروي عن الفراء تعليلا آخر شذَّ فيه عن اللغوين جميعًا ، إذ يرى الفراء " أن تاء (افتعل) إذا كان فاء الفعل من حروف الإطباق ، إنما قلبت طاءً ؛ لأن التاء حرف اخرس ؛ لا يخرج له صوت ، إذا بلوت ذلك وجدته ؛ فكرهوا إدغام حرف مصوّت في حرف اخرس ؛ فلما فاتهم الإدغام وجدوا الطاء معتدلة في المخرج بين التاء والصاد ؛ لتكون غير ذاهبة بواحد من الحرفين "[3].

فالفراء إذا لا يعتد بصفة الإطباق أو الانفتاح التي لاحظها العلماء قديمًا وحديثًا ، وعدوهما علة هذا الإبدال ، بل يرى أن هذا الإبدال حدث كراهة إدغام حرف مصوّت (رخو) في حرف أخرس (شديد) ، فجاءوا بالطاء لمناسبتها للحرفين جميعًا : التاء والطاء .

وقد كفانا السيرافي نفسه مؤنة تفنيد هذا الراي ، فرد على الفراء من وجهتين :

١ - أن الحرفين المبدل والمبدل منه (التاء والطاء) متفقان في صفة الخرس (الشدة) .

---

(١) الكتاب ٤/٤٦٧ .

(٢) التفكير اللغوي عند العرب في العراق ١٨٢ .

(٣) ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافي ٦٣ .

٢ - أن الطاء ليست معتدلة المخرج بين التاء والصاد ، حتى يوفق بها بينهما ، بل إنهما من مخرج التاء نفسه [١].

وهو كلام - لشدة دقته - لا يحتاج لمزيد تعليق .

وكذلك في جميع الأمثلة التي ذكرها أهل المعاني في هذا الباب ، وإن وجد عند غيرهم أمثلة عدّ فيها الإبدال قبيحًا [٢] وقد جاء هذا الإبدال عند سيبويه في كتابه في مواضع متفرقة [٣] ، وذكره كثير من القدماء [٤] ، ووافقهم المحدثون [٥] ، ونسبوا قلب التاء طاءً إلى تميم ، ومنهم الدكتور ضاحي حيث يقول : " واظن اننا لا نكون بعيدين عن الصواب بعد هذا ، إذا قلنا إنه إذا وردت صيغتان لكلمة واحدة ، إحداهما بالتاء والأخرى بالطاء أن نرجح نسبة الطائية إلى تميم ... " [٦]

بين التاء والسين

ذكر بعض علماء المعاني هذا الإبدال عند تعرضهم لتفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (مريم ٨/١٩) وفي مقدمة أولئك المصنفين

---

(١) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ٦٣ .

(٢) انظر اللهجات العربية في التراث ٤٢١/٢ .

(٣) انظر مثلا : الكتاب ٣١٤/٢ .

(٤) انظر على سبيل المثال : المزهر ٢٢٤/١ وإبدال ابن السكيت ١٢٩ وإبدال أبي الطيب ١٢٦/١ ، وإبدال الزجاجي ٧٠ .

(٥) انظر على سبيل المثال د.أحمد علم الدين الجندي في اللهجات العربية في التراث ٤٢١/٢-٤٢٤ ولغة تميم ١١٩ .

(٦) لغة تميم ١١٩ .

الفراء الذي قال [1] : " وقرأ ابن عباس (عُسِيًّا) [2] ، وانت قائل للشيخ ، إذا كبر : قد عتا وعسا ، كما يقال للعود إذا يبس " .

وقد أقر الزجاج هذا الإبدال - وإن نهى عن القراءة به - في قوله : " وقد رويت (عسيًّا) بالسين ولكن لا يجوز في القراءة لأنه بخلاف المصحف ، وكل شيء انتهي ، فقد عتا يعتو عتيًا وعتوًّا ، وعسوًّا ، وعسيًّا " [3]

وجاء بيان الحق النيسابوري - المتوفى ٥٥٣هـ - بعد أكثر من قرنين على كلام الزجاج هذا ، فردد كلامه وكلام الفراء قبله ، بكلام موجز ، فقال: " والعاتي والعاسي : الذي أيبسه الكبر وأعجفه السن " [4].

العلاقة الصوتية :

لا يصعب تفسير هذا الإبدال بين الصوتين ، فهما من مخرج واحد ، فكلاهما أسناني لثوي ، مهموس ، مرقق ، ولا يختلفان إلا في الشدة والرخاوة ، فالتاء حرف شديد (انفجاري) بينما السين حرف رخو [5] ، وقد يكون هذا القرب في الصفات بينهما السبب في وجود ظاهرة من الظواهر اللهجية

---

(١) معاني الفراء ١٦٢/٢.

(٢) هي قراءة حكاها الداني عن ابن عباس كما في البحر ١٧٥/٦ ، وحكيت عن غيره أيضًا ، انظر معجم القراءات ٣٤٣/٥.

(٣) معاني الزجاج ٣٢٠/٣.

(٤) باهر البرهان ٨٨٢/٢.

(٥) انظر المدخل إلى علم اللغة ٤٦/٤٧.

المنسوبة الملقبة المعروفة (بالوتم) [1] وهو إبدال السين تاء ، ومثلوا لها بقول علباء بن أرقم [2] في لغة أهل اليمن [الرجز] :

يَا قَبَّحَ اللهُ بَنِي السِّعْلاَتِ

عَمْرَو بْنَ يَرْبُوعٍ شِرَارَ النَّاتِ

غَيْرَ أَعِفَّاءٍ وَلاَ

أَكْيَاتِ [3]

وإن كان أبو زيد يصف هذا الإبدال بأنه " من قبيح الضرورة " [4] ولكني لا أراه كذلك لأن العلاقة الصوتية التي ذكرناها تسوغه بلا كراهة [5] ولذلك أورد ابن السكيت وغيره ممن

ألفوا في الإبدال بعض الأمثلة له [6] ، وأشارت إليه كتب اللغة [7] .

---

(١) انظر في التعريف بهذه الظاهرة اللهجية وتفسيرها الصوتي : اللهجات العربية في التراث ٣٨٤/١-٣٨٥وفصول في فقه العربية ١٥١-١٥٢.

(٢) شاعر جاهلي له قصة مع النعمان بن المنذر ، كما في معجم الشعراء للمرزباني ١٦٩ وخزانة الأدب ٣٦٤/٤-٣٦٧.

(٣) انظر الأبيات الثلاثة- بهذه النسبة – في الأمالي ٧٨/٢ ، ونوادر أبي زيد ٣٤٤ واللسان (نوت) ١٠١/٢ ، وبلا نسبة في إبدال ابن السكيت ١٠٤ ومختصر ابن خالويه ١٨٣ وإبدال الزجاجي ٧٥ ، وهناك خلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٤) نوادر أبي زيد ٣٤٥.

(٥) انظر مثالاً آخر للإبدال بين التاء والسين المشددة في اللهجات العربية في التراث ٤٥٢/٢.

(٦) انظر إبدال ابن السكيت ١٠٤ ، وإبدال أبي الطيب ١١٨/١ ، وإبدال الزجاجي ٧٤.

(٧) انظر على سبيل المثال : اللسان (نوت) ١٠١/٢ ، والمخصص ٢٨٣/١٣.

بين الثاء والفاء :

ورد الإبدال بين الثاء والفاء في قوله تعالى: ﴿ وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ (البقرة ٦١/٢) في بعض كتب المعاني ، ومنها الفراء حيث يقول [١] : " وهي في قراءة عبد الله : (وثومها) [٢]

بالثاء ، فكأنه أشبه المعنيين بالصواب؛ لأنه مع ما يشاكله : من العدس والبصل وشبهه ، والعرب تبدل الفاء بالثاء ، فيقولون : جدث وجدف ، ووقعوا في عاثور شر وعافور شر ، والأثاثيّ والأثافي ، وسمعت كثيرًا من بني أسد يسمّي المغافير : المغاثير " وقد رفض الزجاج كلام الفراء هذا بقوله[٣] : " وهذا ما لا يعرف : أن الفوم الثوم ، وها هنا ما يقطع هذا " ومع هذا فقد ذكر الزجاج مثالاً آخر لهذا الإبدال عند تعرضه لتفسير قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ (المعارج ٤٣/٧٠) فقال : " والأجداث القبور ، واحدها جدث ، ويقال : أيضًا جدف في هذا المعنى " [٤].

وقد ذكر بيان الحق النيسابوري في (إيجاز البيان) كلامًا قريبًا من كلام الفراء السابق إذ يقول : " والفوم : الحنطة... وقيل : الثوم ، كالجدف والجدث " [٥]

العلاقة الصوتية :

---

(١) معاني الفراء ٤١/١.

(٢) قرأ ابن مسعود وابن عباس وأبيّ : (وثومها) بالثاء ، وقراءة الجمهور بالفاء كما في معجم القراءات ١١٢/١.

(٣) معاني الزجاج ١٤٣/١.

(٤) معاني الزجاج ٢٢٤/٥.

(٥) إيجاز البيان عن معاني القرآن ١٠٠/١-١٠١.

الثاء والفاء صوتان متقاربان مخرجًا ، متحدان صفة : فكلاهما مهموس مرقق رخو ، إلا أن الثاء صوت أسناني عند سيبويه [1] وجميع المحدثين [2] . على خلاف الخليل وابن يعيش اللذين رأيا أن الثاء صوت يخرج ما بين أطراف اللسان وأصول الثنايا ، فالثاء صوت لثويٌّ عندهما : " لأن مبدأها من اللثة " [3]. أما الفاء فصوت شفويٌّ أسنانيٌّ ، يُنطق بأن تتصل الشفة السفلى بالأسنان العليا ، اتصالاً يسمح للهواء أن يمرّ بينهما فيحتك بهما [4] ، أي إن للأسنان دورًا بارزًا في إنتاجه ، ومن هنا يأتي تقاربه في المخرج مع الثاء وهي صوت أسناني - كما أسلفت – هذا التقارب الذي سوغ الإبدال بينهما في الأمثلة السابقة ، ففي كلمة (ثومها) التي رأى الفراء أنها (أشبه المعنيين بالصواب) ، يميل كثير من القدماء والمحدثون إلى أن الثاء هي الأصل ، بدليل قوله تعالى في قراءة ابن مسعود (وثومها) من ناحية ، والدراسة المتأنية للكلمة في اللغات السامية من ناحية أخرى [5] ، وما ذكره الفراء عن بني أسد ، من أنهم يقولون : مغافير في مغاثير ، له ما يبرره ، على أساس أن بني أسد ، ومعها القبائل التي آثرت الثاء ، كطيء ، بدوية ، والثاء أليق بمثل هذه القبائل لأنها تختلف عن الفاء في نسبة الوضوح [6] ، ولذا آثرت الفاء عن بني

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) انظر علي سبيل المثال : المدخل إلى علم اللغة ٤٤ ، وعلم الأصوات للدكتور كمال بشر ٢٩٨ ، ودراسات في علم الأصوات ٦٣.

(٣) العين (ت.د.درويش) ١/٦٥ ، المفصل لابن يعيش ١٠/١٢٥.

(٤) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٤٣ وعلم الأصوات للدكتور بشر ٢٩٧.

(٥) انظر التطور النحوي لبرجشتراسر ٣٧ ، حيث أورد أمثلة للإبدال بين الثاء والفاء ، ورجح أن يكون الأصل الثاء مقارنة باللغات السامية التي ورد فيها كثير من الأمثلة علي ذلك.

(٦) لا شك أن الثاء أوضح في السمع من الفاء ، على الرغم من كونهما مهموسين ، انظر في اللهجات العربية ١١٥ ، واللهجات العربية في التراث ٢/٤١٩.

سليم المتحضرة التي كانت تعيش في منطقة تهيمن على طرق التجارة، ولها صلات وثيقة بقريش [1]، ولذا يرى الدكتور ليتمان Enno littmann ان هذا الإبدال بين الثاء والفاء قديم عند العرب، بدليل وجوده في جنوب بلاد العرب، وفي لهجات المغرب الآن[2].

بين الجيم والشين :

وقد اشار الفراء إلى هذا الإبدال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ (مريم ٢٣/١٩) حيث قال[3] : " ولغة اخرى لا تصلح في الكتاب، وهي تميمية : فأشاءها المخاض، ومن امثال العرب : شر ما الجاك إلى مخة عرقوب[4]، واهل الحجاز واهل العالية يقولون : شر ما أجاءك إلى مخة عرقوب، والمعنى واحد، وتميم تقول : شر ما أشاءك إلى مخة عرقوب " .

وجاء عند الزجاج في الموضع نفسه : " معناه الجأها [illegible] من جئت، واجائني غيري، وفي معناه : اشاءني غيري، وفي امثال العرب : شر ما اجاءك إلى مخه عرقوب، وبعضهم يقول : أشاءك " [5].

العلاقة الصوتية :

---

(١) انظر اللهجات العربية في التراث ٤١٩/٢.

(٢) انظر مقالته بعنوان (بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي) المنشورة بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة = مجلد ١٠ جـ ١ ص ١٦.

(٣) معاني الفراء ١٦٤/٢.

(٤) هذا مثل من أمثال العرب وانظر : جمهرة الأمثال ٥٤٩/١ ،وفصل المقال للبكري ٤٣٤ ، ومجمع الأمثال ١٥١/٢ ، والمستقصي ١٣١ ، وهو يُضرب للمضطر جداً ، ذلك أن العرقوب لا مخ [illegible]

(٥) معاني الزجاج ٣٢٤/٣.

الجيم والشين صوتان متحدان مخرجًا ، فهما عند المحدثين من الأصوات الغارية [1] ، والغار هو الجزء الصلب من سقف الحنك ، وهما عند القدماء من الأصوات الشجرية؛ لأن مبدأهما من شجر الفم ، أي مفترقه [2]، ولذا يقول ابن يعيش: " الجيم أخت الشين في المخرج " [3].

على أية حال؛ فالثابت أن القدماء والمحدثين متفقون على أن الجيم والشين من مخرج واحد ، وعلى أنهما صوتان مرققان ، وعلى أن السين مهموسة، والجيم مجهورة ، وعلى أن السين صوت احتكاكي.

لكن الخلاف الحقيقي بين القدماء والمحدثين يكمن في وصف الجيم بأنه صوت شديد من قبل القدماء جميعًا ، ويرى المحدثون أن الجيم صوت من الأصوات المزدوجة أو المركبة ، وهي ذلك النوع من الأصوات الذي يتكون في الحقيقة من صوتين ممزوجين معًا ، ومن نظائره في الإنجليزية ch. وفي الألمانية Z (تس) [4]... الخ.

ويصفها فندريس بقوله [5]: " وتوجد سلسلة من الأصوات المتوسطة بين الانفجارية والاحتكاكية ، وهي ما تسمى (شبه الانفجارية) أو بعبارة أوضح (الانفجارية الاحتكاكية) ، وتتميز بالإغلاق الذي لا يستمر إحكامه ، وفيها

---

(١) انظر المدخل إلى علم اللغة ٥٠ ، ويلاحظ أن الدكتور كمال بشر يسميها الأصوات اللثوية الحنكية ، ولا خلاف لأن الغار هو الجزء الصلب من سقف الحنك ، انظر علم الأصوات له ٣١١ ودراسات في علم الأسلوب ٧٢.

(٢) انظر العين ٦٥/١.

(٣) شرح المفصل ١٣٨/١٠.

(٤) انظر : أسس علم اللغة لماريوباي ٨٤.

(٥) اللغة ٥٠.

كما في الانفجارية حبس ، ولكن هذا الحبس تتبعه حركة خفيفة من الفتح ، بحال يجعل الانفجاري ينتهي بالاحتكاكي ، فالانفجاري الاحتكاكي هو انفجاري فاشل " وعلي ذلك فالجيم في الحقيقة صوت دال مغوّر ، يعقبه صوت شبه مجهور (dj) ويري الدكتور كمال بشر ان القدماء وصفوا بداية نطق الجيم لا نهايته ، " وهو الانتقال من الانحباس إلى الاحتكاك " [1] وهو تفسير يبدو منطقيًا مقبولاً ، يوفق بين وصف القدماء والمحدثين.

وهذا كله – بالطبع – وصف للجيم الفصيحة ، التي نسمعها من قرّاء القرآن الكريم في مصر ، لكن هناك انواعًا اخري لنطق الجيم ، منها النطق القاهري (g) علي نحو (go) في الإنجليزية ، ومنها نطق اهل الشام الذي جعل بعضهم يطلق عليها (الجيم الشامية) ورمزها (j) ، وغير ذلك من انواع النطق التي ذكر الدكتور كمال بشر انها ستة [2] .

ويري الدكتور بشر[3] ، ومعه الدكتور رمضان عبد التواب [4] ان الجيم المزدوجة الفصيحة متطورة عن الجيم القاهرية ، تأثرًا – فيما يبدو – بكلام للمستشرق إنو ليتمان يقول فيه : " نعرف ان نطق هذا الحرف الأصلي ، كان كما هو الآن في مصر ، وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية ، مثلاً : كلمة : (جمل) في العبرية : Gamal ، وفي السريانية : gamla ، والحبشية : gamal " [5]. وللدكتور ضاحي عبد الباقي ايضًا كلام قريب من هذا [1].

---

(١) علم الأصوات ٣١٤.

(٢) انظر علم الأصوات ٣١٧-٣٤٢.

(٣) انظر علم الأصوات ٣٢٠-٣٢٦ ، حيث يؤيد رأيه أيضًا بوقوع هذا النطق القاهري في جهات متعددة بالعالم العربي مما يعد أثراً من آثار نطق قديم.

(٤) انظر المدخل إلى علم اللغة ٥٢.

(٥) بقايا اللهجات العربية ١-٢.

ومهما يكن من أمر فإن العلاقة الصوتية التي تربط ما بين الجيم والشين من اتحادهما في المخرج ، واتفاقهما في صفة الترقيق كانت كافية لتفسير التعاقب بين هذين الصوتين ولإساغة أن تميل بعض القبائل إلى إبدال الجيم شينًا ، ومنها تميم كما ذكر الفراء ، في كلمة (أجاءها) كالتي نجد لها امتدادًا في العامية المصرية ، حيث يطلق على (الوجه) : (الوش) ، وكما رأينا في كثير من كتب اللغة عند المتقدمين [2] والمتأخرين [3] ، ولكن تفسيرهم لهذا الإبدال مختلف ، إذ يري القدماء أن الجيم تغيرت صفتها من جهر وشدة إلى همس ورخاوة ، علي حين يري المحدثون أن صوت الجيم انحلّ عند تميم إلى أحد مكونين ، وهو الشين التي همست بعد أن كانت مجهورة [4]. وإن كان الدكتور أحمد علم الدين الجندي يري أن الشين التي تحولت إليها الجيم بقيت مجهورة تأثُرًا بحركة المدّ بعدها [5].

بين السين والصاد

جاء هذا الإبدال بين السين والصاد في كتب المعاني كثيرًا ، نتيجة

---

(١) حيث يقول : " وتطور الكاف (وهي الجيم القاهرية) إلى جيم إذا وليه صوت لين أمامي (الكسرة القصيرة والطويلة) – يتفق وقانون الصوت الحنكي Palatal law " (لغة تميم ١٠٨).

(٢) انظر علي سبيل المثال : الصحاح (شيأ ١/٥٩ ، واللسان (جيأ) ١/٤٥ ، والجيم لأبي عمرو ١/٧٠ ، والإبدال لأبي الطيب ١/٢٢٦-٢٢٨ ولحن العوام للزبيدي ٣٠٣ وسر الصناعة ١/٢٠٥.

(٣) انظر علي سبيل المثال: اللهجات العربية في التراث ٢/٤٥٧- ٤٥٨، ولغة تميم ١٠٨-١٠٩.

(٤) تنظر لغة تميم ١٠٩ .

(٥) انظر اللهجات العربية في التراث ٢/٤٥٨.

للقراءات القرآنية الواردة في بعض الآيات ، ومنها قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة ٦/١) حيث يقول الأخفش : " والصراط " فيه لغتان : السين والصاد [١]؛ إلا أنّا نختار الصاد ، لأن كتابها علي ذلك في جميع القرآن " [٢].

وفي قوله تعالى ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ (العاديات ١٠٠/ ٥) يقول الأخفش: "فوصطن به"[٣] وقال بعضهم : فوسطن " [٤]وذكر الفراء أمثلة اخرى في كتابه ، منها ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ (الأحزاب ١٩/٣٣) إذ يقول : " والعرب تقول : صلقوكم [٥]، ولا يجوز في القراءة لمخالفتها إياه : انشدني بعضهم : [الرجز]

أصلق ناباه صياح العصفور

إن زل فوه عن جواد مئشير [٦]

---

(١) قراءة الجمهور بالصاد ، وقرأ ابن كثير وغيره (السراط) ، انظر السبعة ١٠٥ ، والإتحاف ١٢٣ ، ومعجم القراءات ١٧/١ .

(٢) معاني الأخفش ١٧/١ .

(٣) هذه قراءة في : (فوسطن) لم يذكرها أحد سوى الأخفش هنا ! انظر معجم القراءات ٥٤٢/١٠ .

(٤) معاني الأخفش ٥٨٣/٢ .

(٥) قرأ بها أبي بن كعب وابن أبي عبلة وأبو الجوزاء وأبو عمران الجوني ، وقرأ الباقون بالسين ، كما في معجم القراءات ٢٦٥/٧ .

(٦) البيتان من قصيدة لمنظور بن مرثد الأسدي تحوي ثلاثة عشر بيتا ، والبيتان بينهما تقديم وتأخير فيها ، وهما في نوادر أبي زيد ٥٧١ وأراجيز العرب للبكري ١٥٥ ، والمقصود بالجواد هنا : الحمار ، وانظر شرح البيتين ومفرداتهما في المرجعين السابقين .

وذلك إذا ضرب الناب الناب فسمعت صوته "

ومن مواضع الإبدال بين السين والصاد ما جاء عند الفراء أيضًا : " وقوله عز وجل :﴿ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [1] (الطور٥٢/ ٣٧) و﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية ٨٨/٢٢) [2] : كتابتها بالصاد ، والقراءة بالسين والصاد ، وقرا الكسائي، بالسين [3] ، ومثله : (بصطة) و(بسطة) كتب بعضها بالصاد ، وبعضها بالسين ، والقراءة بالسين في بسطة ، ويبسط ، وكل ذلك — أحسبه قال - صواب " . [4]

وسار الزجاج علي الدرب ذاته ، فأورد بعض الأمثلة لهذا الإبدال ، ومنها قوله : " يقال : قد سيطر علينا وتسيطر ، وتسيطر : بالسين والصاد ، والأصل السين ، وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صادًا ، تقول : سيطر وصيطر ، وسطًا وصطًا " [5] ويقول أيضًا في موضع آخر : " والرسغ : المفصل بين الكف والساعد ، ويقال : رسغ ورصغ ، والسين أجود " [6]

وقد ذكر الأزهري في (معاني القراءات) ما ورد من قراءات في ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ ثم قال : [7] " من قرأ بالسين فهو الأصل؛ لأن العرب تقول سرطت

---

(١) اختلف السبعة فيها بين القراءة بالسين والصاد ، انظر السبعة ٦١٣والنشر ٣٧٨/٢.

(٢) اختلف في قراءتها أيضًا بين السين والصاد ، انظر معجم القراءات ٤٠٦/١٠.

(٣) جاءت القراءة في (بصطة) عن الكسائي بالصاد والسين كما في معجم القراءات ٣٥٠/١.

(٤) معاني الفراء ٩٣/٣.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٦٦/٥.

(٦) السابق ١٧٤/٢.

(٧) معاني القراءات ١١١/١.

اللقمة سرطاً... ومن قرأ بالصاد فلأنه مخرج السين والصاد من طرف اللسان فيما بينه وبين الثنايا ، والسين والصاد يتعاقبان في كل حرف فيه غين أو قاف أو طاء أو خاء... روي ذلك الثقات عن العرب ، والسين حرف مهموس ، والصاد حرف مجهور..[1] "

وقريب من هذا قول جامع العلوم النحوي في الكشف[2] : "ومن قرأ السراط بالسين ، فلأنه الأصل في الكلمة... ومن قرأ بالصاد أبدل الصاد من السين ، ليوافق لفظه الطاء في الإطباق " وقول بيان الحق النيسابوري في (باهر البرهان) : " وإنما تقلب صادًا لأجل الطاء ، طلبًا لمجانسة الإطباق "[3].

العلاقة الصوتية :

السين والصاد صوتان متحدان في المخرج؛ فكلاهما أسناني لثوي ، وهما مشتركان أيضًا في صفتي الهمس والرخاوة ، ولا يختلفان إلا في التفخيم والترقيق ، فالصاد هي النظير المفخم للسين ، إذ هو ينطق كما ينطق السين ، مع فارق واحد ، هو أن مؤخرة اللسان ترتفع معه ناحية الطبق.[4]

ولهذا ساغ الإبدال بين هذين الصوتين ، سواء في اللهجات العربية -

---

(١) هذا النص غريب ، إذ لم ينقل هذا عن القدماء ، فهم متفقون على أن الصاد مهموسة ، كما أن الأزهري نفسه في (تهذيب اللغة ٣٣٠/١٢) لم يذكر هذا ، ومثله لا يصدر عنه هذا ، فإما أن يكون الخطأ من الناسخ أو من سقط في المخطوطة ، أو سهو من المحقق!

(٢) الكشف في نكت المعاني ١٦٨/١.

(٣) باهر البرهان ١٣٨٨/٣.

(٤) انظر المدخل إلى علم اللغة ٤٧ ، ودراسات في علم الأصوات ٦٨-٦٩.

فقد روي ذلك الإبدال عن بعض القبائل ، كبلعنبر [1] مثلاً الذين شاع فيهم إيثار الصاد على السين إذا كان بعدها حرف مفخم - أو في القراءات القرآنية الكثيرة التي أوردها أصحاب المعاني في كتبهم.

ويهمنا هنا الإشارة إلى أن التفسير الصوتي الذي قدمه أصحاب المعاني لهذا الإبدال صحيح في الجملة ، ومثاله قول الزجاج المتقدم : " والأصل السين ، وكل سين بعدها طاء يجوز ان تقلب صادًا " وقول الأزهري : " والسين والصاد يتعاقبان في كل حرف فيه غين أو قاف او طاء أو خاء " بل إن بعضهم تعمق أكثر من غيره ، فذكر علة الإبدال بقوله : " طلبًا لمجانسة الإطباق " وهو تفسير لا يكاد يختلف في مبناه ومعناه عما ذكره العلماء قديمًا [2] وحديثًا [3] في حديثهم عن هذه الظاهرة.

بين الصاد والطاء

وقع الإبدال بين هذين الصوتين فى قراءة شاذة لقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ (الانبياء ٢١/ ٩٨) حيث قرئت: (حطب) بالطاء، يقول الفراء: [4] " ذكر ان الحصب فى لغة اهل اليمن

(١) انظر التهذيب (سرط) ٣٣٠/١٢.

(٢) انظر علي سبيل المثال : سر الصناعة ٢١١/١-٢١٢ ، ودرة الغواص للحريري ١٩- وشرح المفصل ٥١/١٠-٥٢.

(٣) انظر على سبيل المثال اللهجات العربية في التراث ٤٤٥/٢-٤٥١ ، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٤٠١ ، ولغة تميم ٢١٣٧

(٤) معانى الفراء ٢١٢/٢.

الحطب... عن محمد بن الحكم الكاهلى عن رجل سمع عليًا يقرأ (حطب) بالطاء ... عن أبى الحويرث رفعه إلى عائشة أنها قرأت (حطب) كذلك "[1]

وجاء الزجاج فذكر فى معانيه كلامًا قريبًا من هذا فقال [2] : " قرئت على ثلاثـــة أوجه: حصب جهنم ، وحطب جهنم وحضب جهنم [3]– بالضاد معجمة – فمن قرأ حصب ، فمعناها كل ما يرمى به فى جهنم ، ومن قال حطب ، فمعناها ما توقد به جهنم ؛ كما قال عز وجل(وقودها الناس والحجارة) ، ومن قال حضب ... فمعناها ما تهيج به النار وتذكى به ، والحضب : الحية)

ونقل بيان الحق النيسابورى فى كتابيه معًا ما يفيد أنه يرى الإبدال أيضًا بين هذين الصوتين إذ يقول : " حصب جهنم " : حطبها " [4]

العلاقة الصوتية :

الصاد – كما ذكرت من قبل – صوت أسنانى لثوى رخو مهموس مفخم ، والطاء عند المحدثين من المخرج نفسه [5] : أى إنه صوت أسنانىٌّ لثوىٌّ

---

(١) القراءة بالطاء منسوبة لعلى وعائشة وأبى وابن الزبير وزيد بن على وعكرمة وأبو العالية وعمر بن عبد العزيز كما فى البحر ٣٤٠/٦ ومختصر ابن خالويه ٩٣ ومعجم القـــراءات ٦١/٦ .

(٢) معانى الزجاج ٤٠٦/٣ .

(٣) القراءة بفتح الضاد قرأ بها ابن العباس وعائشة واليمانى كما فى البحر ٣٤٠/٦ وشـــواذ ابن خالويه ٩٥ والمحتسب ٦٦/٢

(٤) باهر البرهان ٩٣٦/٢ وإيجاز البيان ٥٦٥/٢ .

(٥) وإن كان هناك فرق ضئيل – داخل المخرج الواحد –فى النقطة المكانية التى يخرج منـــها كلا الصوتين ، فمخرج الطاء مما بين مقدمة اللسان واللثة والأسنان العليا ، والصاد تخرج

أيضًا ، وهو مهموس مفخم كالصاد تمامًا عند المحدثين ، وإن كان القدماء وصفوه خطأ بالجهر [١] ، ولا يختلف عن الصاد سوى انه انفجارى (شديد) بينما صوت الصاد (احتكاكيٌّ) او رخو : [٢] ، ويبقى بعد ذلك احتمال ان تكون كل من الكلمتين أصل مستقل ، وإن كان ضعيفا ، والأقوى ان الطاء هو الصوت الأصلى ، وان الصاد تطور عنه ، وذلك لأمور منها :

١ - ان كلمة (حطب) بالطاء جاءت فى القرآن فى موضعين [٣] ، بينما جاءت (حصب) بالصاد فى موضع واحد ، وقد راينا أن هذا الموضع ايضًا قرئ فيه بالطاء .

٢ - ان الانتقال من الصوت الشديد (الطاء) إلى الصوت الاحتكاكى (الرخو) شئ له ما يبرره صوتيًا بأنه ميل إلى السهولة والتيسير ، اما العكس فيصعب تفسيره .

٣ - وجود بعض الأمثلة من المشترك السامى للإبدال بين الصوتين ، تحولت فيها الطاء إلى صاد مثل كلمة (طفا) العربية ، تحولت في العبرية إلى (صفا) ، وكذلك كلمة (قطع) تحولت فى العبرية إلى

بوضع طرف اللسان فى اتجاه الأسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا ، انظر دراسات فى علم الأصوات ٦٦ ، ٦٨ .

(١) انظر على سبيل المثال : كتاب سيبويه٤/ ٤٣٤ ، وتعليل الدكتور تمام فى مناهج البحث فى اللغة ١٢٢ ود: بشر فى علم الأصوات .

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٤٦-٤٧ .

(٣) هما قوله تعالى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) (الجن ١٥/٧٢) وقوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) (المسد ٤/١١١)

(قصع) [1] " ولذلك أورد ابن السكيت أمثلة للإبدال بين هذين الصوتين فى كتابه ، وإن لم يبين الأصل فيها [2] بينما ذكر بعض المعاصرين أن الطاء هى الأصل [3]

بين القاف والكاف :

جاء فى معانى الفراء [4] عند تفسيره لقوله : ﴿ كُشِطَتْ ﴾ (التكوير ١١/٨١) : " وفى قراءة عبدالله : (قشطت) [5] بالقاف وهما لغتان ، والعرب تقول : القافور والكافور ، والقف والكف – إذا تقارب الحرفان فى المخرج تعاقبا فى اللغات ".

وجاء عند الفراء [6] أيضًا فى تفسير : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ (الضحى ٩/٩٣) : وهى فى مصحف عبدالله : (فلا تكهر) [7] وسمعتها من أعرابى من بنى أسد قرأها علىّ "

---

(١) انظر : ظاهرة الإبدال في المشترك السامي للدكتور حازم كمال الدين ٨٣-٨٤ ، وانظر أيضًا لغة تميم ١١.

(٢) انظر إبدال ابن السكيت ١٢٠.

(٣) انظر مثلاً : لغة تميم ١١١.

(٤) معاني الفراء ٢٤١/٣.

(٥) قرأ ابن مسعود وعامر بن شراحيل الشعبى وإبراهيم بن يزيد النخعي (قشطت) والجمهور بالكاف كما فى البحر ٤٣٤/٨ ومختصر ابن خالويه ١٦٩ ، ١٧٥.

(٦) معاني الفراء ٢٧٤/٣.

(٧) وهي قراءة إبراهيم التيمي والنخعى والشعبى والأشهب العقيلى أيضا كما فى معجم القراءات ٤٨٤/١٠.

ولم يفت الزجاج الحديث عن هذا الإبدال أيضًا فقال [1]: " يقال كشطت السقف وقشطت السقف بمعنى واحد ، والقاف والكاف تبدل إحداهما من الأخرى كثيرًا ، ومثل ذلك لبكت الشئ : ولبقته ، إذا خلطته " .

العلاقة الصوتية :

القاف والكاف متجاوران مخرجًا : فالقاف صوت لهوىٌّ انفجارىٌّ مهموس مستعلٍ ، والكاف صوت طبقىٌّ انفجارىٌّ مهموس مرقق ، ولا فرق بين القاف والكاف سوى أن القاف أعمق قليلاً فى مخرجها [2] ولذا ساغ التبادل بينهما ، فآثرت القبائل البدوية النطق بالقاف ، كقيس وتميم وأسد [3]، بينما آثرت قريش والقبائل المتحضرة الأخرى صوت الكاف لسهولته نسبيًا [4] وإن كان بعض بطون أسد ينطق بالكاف لمجاورته للحجاز [5] . وقد ذكرت كتب اللغة أمثلة لهذا الإبدال أكثرها مأخوذ مما ذكره الفراء والزجاج [6] ، كما أورد ابن السكيت بعض الأمثلة الأخرى مثل : احتك واحتق ، وقاتعه الله ، وكاتعه وعربىٌّ كُحٌّ وقُحٌّ . وقط وكط ، والأقهب والأكهب: لون إلى الغبرة[7].

---

(١) معانى الزجاج ٢٩١/٥

(٢) انظر المدخل إلى علم اللغة ٥٣-٥٥ ودراسات فى علم الأصوات ٧٥-٧٧ وانظر فى التفرقة بين استعلاء القاف والحروف المطبقة : مناهج البحث فى اللغة ١٢٤-١٢٥ .

(٣) انظر الإبدال لابن السكيت ١١٤ .

(٤) انظر الأمالى للقالى ٥٦/٢ إلى جوار المصدر السابق

(٥) كقبيلة غطفان ، انظر اللهجات العربية فى التراث ٤٦٣/٢ . وهو يحل الإشكال الناشئ عن نسبة الكاف لأسد فى التاج ٢٠٧/٥ (قشط)

(٦) انظر التهذيب (كشط) ٦/١٠-٨.

(٧) انظر الإبدال ١١٣-١١٤ والأمالى٥٦/٢ .

وقد نسب إلى تميم نطقٌ للقاف سمى بالقاف المعقودة ، وهى صوت بين القاف والكاف ، ومخرجها إلى الأمام قليلاً من الفصيحة ويرمز لها ب " كَ " ، ذكرها ابن دريد بقوله [1] : فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف باللهاة [2] فتغلظ جداً فيقولون للقوم : الكوم ، فتكون القاف بين الكاف والقاف وهذه لغة معروفة فى بنى تميم ، قال الشاعر : [البسيط]

وَلاَ أَكُولُ لِكِدْرِ الْكَوْمِ قَدْ نَضَجَتْ   وَلاَ أَكُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَكْفُـولُ " [3]

ويرى الدكتور أحمد علم الدين الجندى أن هذه القاف التميمية هى اشبه بالحروف القاهرية ، [4] وعلى هذا فإن الإبدال بين القاف الفصيحة وهذا الصوت يسهل تفسيره بأنه اقتصاد للجهد العضلى ، وبإخراج الصوت من نقطة مكانية اسبق من مخرج القاف ، وهو مفهوم قول المبرد : يلحقون القاف بالكاف)

بين العين والحاء :

اشار الفراء لذلك الإبدال عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ (العاديات: ٩/١٠٠) حيث قال [5] : " رايتها فى مصحف عبد

(١) الجمهرة ٤٢/١ من المقدمة الصاحبي ٢٥ .

(٢) هكذا فى المطبوعة (اللهاة) ، وهو خطأ ظاهر ، فإن القاف لهوية أصلا ، والصواب : الكاف ، والعجيب أن المحقق الفاضل أشار إلى أنها فى إحدى المخطوطات (الكاف) ثم لم يثبتها فى النص مع أنها الصواب!

(٣) البيت فى ديوان أبى الأسود الدؤلى ٣٥٣ ، وانظر تخريجه فى هامش الموضع السابق من الجمهرة .

(٤) انظر اللهجات العربية فى التراث ٤٦٣/٢ .

(٥) معانى الفراء ٢٨٦/٣ .

الله : " إذا بحثر ما فى القبور" [1] وسمعت بعض أعراب بنى أسد ، وقرأها . فقال : (بحثر) [2] وهما لغتان : بحثر وبعثر "

وقال الزجاج فى هذا الموضوع : [3] " بعثر وبحثر بمعنى واحد ، والمعنى : افلا يعلم إذا بعث الموتى ؟ "

العلاقة الصوتية :

العين والحاء صوتان متحدان مخرجًا ، فهما من اصوات الحلق عند القدماء [4] والمحدثين على السواء ، وكلاهما صوت احتكاكى مرقق عند المحدثين ، غير أن القدماء يرون أن العين من الأصوات المتوسطة [5] (التى يخرج هواؤها حرا بصورة أو بأخرى) ، لكن المعامل الصوتية الحديثة اثبتت وجود تضييق كبير للحلق عند النطق بالعين ، واتضح هذا بصورة الأشعة جليًا ، مما حدا بالمحدثين إلى اعتبار صوت العين رخوا (احتكاكيًا) [6] وعلى هذا فلا فرق بين الحاء والعين سوى أن الحاء مهموسة والعين مجهورة ، فالحاء إذن هى النظير المهموس للعين ، ولذلك ساغ إبدال العين المجهورة حاءً مهموسة تأثرًا بالثاء التى بعدها فى (بعثر) .

---

(١) قرأ ابن مسعود (بحثر) كما فى إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه والمحرر الوجيزه ٥٥٠/١٥ ومعجم القراءات ٥٤٤/١٠ فلا داعى لنفى ذلك كما فعل ناشر كتاب ابن خالويه السابق ، وصاحب (المباحث اللغوية فى معانى الفراء)

(٢) وهى قراءة نسبت لابن مسعود أيضا ، كما فى البحر ٥٠٥/٨ ، ومختصر شواذ ابن خالويه ١٧٨.

(٣) معانى الزجاج ٥/ ٣٥٤.

(٤) انظر : العين للخليل ٦٥/١ ، والكتاب لسيبويه ٤٣٣/٤ .

(٥) انظر الكتاب ٤٣٥/٤ .

(٦) انظر المدخل إلى علم اللغة ٨٢ ، ومناهج البحث فى اللغة ١٣٠ وعلم الأصوات ٣٠٤ .

وأورد ابن السكيت ورفيقه أبو الطيب بعض الأمثلة على هذا الإبدال [١]، وكذلك ابن جنى الذى يقول : " ولولا بُحَّةٌ فى الحاء لكانت عينًا ... " ثم يفسرهذا الإبدال صوتيًا تفسيرًا صحيحًا فيقول " ..وذلك لأن الحاء مهموسة ومضارعة بالحلقية والهمس للهاء الخفية ، وليست فيها نصاعة العين ولا جهرها " [٢]

لأجل هذه العلاقة بين العين والحاء نسب القدماء إلى هذيل إحدى الظواهر اللهجية وهى قلب الحاء عينًا وتدعى : **الفحفحة** ، وإن كان الدكتور أنيس يقول : " فنحن بين أمرين: إما أن نفسر الفحفحة على أنها قلب العين إلى الحاء أو نغير نسبتها لهذيل ، وننسبها لقبيلة أخرى بدوية مثل تميم " [٣] وتلك قضية لا مجال للاستطراد فى تحقيقها الآن .

والذى يعنينا أن التقارب الصوتى بين الحاء والعين التفت له القدماء والمحدثون ، ولذلك أساغوا الإبدال بين الصوتين .

❁❁❁❁

ثانيًا : الإبدال بين الحركات (*Vowels*)

جرت سنة العلماء على تقسيم الأصوات اللغوية إلى صوامت ، وحركات (صوائت) ، فهما قسيمان متلازمان . والحركة كما عرّفها دانيال جونز هى : " صوت مهتز (مجهور) ، يخرج الهواء عند النطق به ، على شكل

(١) انظر الإبدال ٨٦٩-٨٧ ، ولأبى الطيب ١/٢٩٢ .

(٢) سر الصناعة ٢/ ٢٤١-٢٤٤ .

(٣) فى اللهجات العربية ١٠٩ .

مستمر من البلعوم والفم دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية ، تدخلا يمنع خروجه ؛ أو يسبب فيه احتكاكًا مسموعًا " (١)

وأصوات الحركات التى ينطبق عليها هذا التعريف يختلف عددها باختلاف اللغات ، وفيما يخص لغتنا العربية الفصحى ، فإن عدد الحركات ست ، ثلاثٌ منها طويلة ، وهى التى نسميها حروف المد " وهى الألف والواو والياء " ، وثلاثٌ قصيرة ، وهى الفتحة والضمة والكسرة. وقد تنبه العلماء العرب فى وقت مبكر إلى العلاقة ، بين الحركات القصيرة والطويلة ومن هؤلاء ابن جنى العلامة ، عبقرى العربية ، إذ يقول فى سر الصناعة : " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهى الألف والواو والياء ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث ، وهى الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة " (٢)

ويؤكد ابن جنى فكرته الرائدة آنذاك بقوله : " ويدلك على أن الحركات أبعاضٌ لهذه الحروف ، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه ، وذلك نحو فتحة عين (عَمَرَ) فإنك إن أشبعتها نشأت بعدها ألف ، فقلت : عامر ... ؛ (٣)

---

(١) انظر : An outline of English phonetics p. 97

(٢) سر صناعة الإعراب ١/١٧.

(٣) السابق ١/١٨.

وهكذا يتفق ابن جنى مع الدراسات الصوتية الحديثة التى ترى ان الحركات الطويلة والقصيرة متماثلان فى الكيف ، مختلفان فى الكمية فقط ، اى فى زمن النطق بكل منهما .

وقد شعر العلماء بهذه العلاقة منذ زمن بعيد [1] ، ولذا رمزوا للفتحة بهذه العلامة (ـَ) إشارة إلى نصف الألف ، وكذلك الضمة (و) إشارة لنصف الواو وكذلك الكسرة تحت الحرف (ـِ) إشارة لنصف الياء ، من ناحية زمن النطق ، ولكنهم – للأسف - لم يضعوها فى صلب الكلمة ، مما ادى لصعوبات جمة فى النطق " فبقيت الكتابة العربية ، كأنها ضرب من الاختزال ، يجب فهمه أولا كى تتسنّى قراءته ، وذلك عيب من أكبر عيوب الخط العربى " [2].

طريقة إنتاج الحركات القصيرة :

تتفق الحركات الثلاث فى أنها أصوات مجهورة - كما مر من تعريف دانيال جونز – اى إن الأوتار الصوتية تهتز عند النطق بها . كما يجمعها ايضا عدم حدوث احتكاك فى اثناء مرور الهواء عند النطق بها [3] ، ومع ذلك ، فشكل اللسان ، والشفتين يختلف – قليلاً أو كثيرًا - فى اثناء النطق ببعضها عنه عند نطق بعضها الأخر ، ففى اثناء النطق بالفتحة (a) يكون

---

(١) ومنهم الخليل بن أحمد الذى وضع رموز الحركات القصيرة ، انظر المحكم فى نقط المصاحف للدانى ٧.

(٢) دروس فى علم أصوات العربية ١٧٣ ، وانظر فى الحديث عن هذه المشكلة : فصول فى فقه العربية ٣٩٦-٤١٢ حيث عقد الدكتور رمضان عبد التواب –رحمه الله – فصلاً مهمًا بعنوان (مشكلة الخط العربي وأوهام اللغويين) وكذلك الدكتور كمال بشرفى علم الأصوات ٤٢٦-٤٣٠.

(٣) انظر المدخل إلى علم اللغة ٩١-٩٣ .

اللسان مستويا فى قاع الفم ، مع انحراف قليل فى اقصاه نحو اقصى الحنك ، على حين نجد الشفتين فى وضع جامع بين الاستدارة والانفراج ، ومن ثم تنشأ بينهما فتحة واسعة إلى حد ما ، لو قيست بغيرها من الحركات ، ويتم التضييق بين اللسان وما يقابله فى نهاية الحلق الفمى وفوق لسان المزمار بقليل ويكون التضييق مع الضمة (u) خلفى ايضا فيما بين مؤخر اللسان وما يقابله من سقف الحنك الطرى ، وتستدير الشفتان وتتقلصان مع إحداث بروز إلى الأمام ، فتتكون – بناءً على ذلك –فتحة دائرية اضيق ما تكون مع جميع الحركات.

اما مع الكسرة (i) فإن التضييق يكون اماميًا فيما بين مقدم اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى وفتحته الخلفية اضيق ، كما أن هذا التضييق يشبه القناة العريضة المسطحة ، وتنفرج الشفتان فتنشأ بسبب ذلك فتحة شبه بيضاوية .[1]

ولعل هذه الأشكال الثلاثة توضح كيفية إنتاج هذه الحركات ودور اللسان والشفتين فى ذلك . ويطلق العلماء على صوت الفتحة اسم : (صوت العلة المتسع). بينما يطلقون على صوتي الضمة والكسرة اسم : (اصوات العلة الضيقة)،وذلك لأن الضمة والكسرة تتفقان فى خاصية الضيق بالنسبة لمقدمة اللسان ومؤخرته عند الضمة [2] وتبدو اهمية هذا التقسيم فى إظهار ما يصيب هذه الأصوات كلها من تطور أو تغيير ، إذ إن من الملاحظ ان ما يصيب الضمة يجرى مثله فى الغالب على صوت الكسرة . لأن كلا منهما من اصوات العلة الضيقة ، وعلى ذلك ليست الضمة عدوّة للكسرة ، كما يتردد فى بعض

(١) علم الصوتيات (د. عبد الله ربيع) ١٨٦ بتصرف .

(٢) انظر دراسات فى علم الأصوات ١٢٥ الأصوات اللغوية ٤١ وعلم الأصوات ٢٣٢.

كتب العربية ، بل هما من فصيلة واحدة . وذلك على العكس من صوت الفتحة الذى يعدّ قسيمًا للضمه والكسرة ، له ظواهره وأحكامه الخاصة "[1]

وفى ضوء هذا يمكن فهم كلام الفراء فى معانيه : " إنما يستثقلون كسرة بعدها ضمة ، أو ضمة بعدها كسرة ، أو كسرتين متواليتين .... فإنما يستثقل الضم والكسر لأن لمخرجيهما مئونة على اللسان والشفتين ، تنضم الرَفعة بهما فيثقل الضمة ، ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة فترى ذلك ثقيلا ، والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة "[2] .

إذ يُبرز كلام الفراء وعيه بأن التقارب الذى يجمع بين الضمة والكسرة يجعل اجتماعهما مستثقلاً وكأنه من قبيل (كراهة توالى الأمثال) أو ما يشبه الأمثال ، ويؤيد ذلك انه قال فى السياق نفسه : " أو كسرتين متواليتين أو ضمتين متواليتين " اي إنه سوى بين مجيء الضمة بعد الكسرة والعكس - ومجيء كسرتين أو ضمتين متواليتين فى الثقل كما أن إشارته إلى خفة حركة الفتحة إشارة ذات دلالة — لا تخفى - على أن مخرجها مختلف عن مخرج الضمة والكسرة ، وسهولة نطقها ، وهو ما أكده المحدثون حين وصفوا الفتحة بأنها صوت العلة المتسع .

وبسبب علاقة القربى بين الضمة والكسرة ، قال ابو زيد : " طُفتُ فى عُليا قيس وتميم مدة طويلة ، اسأل عن هذا الباب ، صغيرهم وكبيرهم ، لأعرف ما كان منه بالضم أولى ، وما كان منه بالكسر أولى فلم أعرف

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ٩٤ ، وانظر الأصوات اللغوية ٤١-٤٢

(٢) معانى الفراء ٢/ ١٢-١٣ .

لذلك قياسا ، وإنما يتكلم به كل امرئٍ منهم على ما يستحسن ويستخف ، لا على غير ذلك " [١]

ويقول ابن دُرُستويه : " كل ما كان ماضيه من الأفعال الثلاثية على فَعَلت ، بفتح العين ، ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ، ولا حروف الحلق ، فإنه يجوز فى مستقبله يفعُل ، بضم العين ويفعِل بكسرها ، كقولنا : ضَرَب يضرِب ، وشَكَر يشكُر ، وليس أحدهما أولى به من الآخر ، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف ، فمما جاء وقد استعمل فيه الوجهان قولهم : ينفِر وينفُر ، ويشتِم ويشتُم ، فهذا يدلكم على جواز الوجهين فيه وانهما شيء واحد ، لأن الضمة أخت الكسرة فى الثقل " [٢]

وهكذا نرى أن إبدال الكسرة من الضمة والعكس أمر مستساغ ، وتبرره القوانين الصوتية ولا خلاف حول ذلك [٣] ، إذ يرى برجشتراسر أن الضمة والكسرة كانتا فى الأصل حركة واحدة [٤]

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب : " وهكذا نرى القرابة بين الضمة والكسرة ، هى السبب فى جواز وقوع إحداهما مكان الأخرى فى عين المضارع ، ولذلك كانت القبائل العربية القديمة لا تثبت على حال واحدة ، فى ضبط عين المضارع بواحدة منهما " [٥]

---

(١) تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه (تحقيق د. المختون) ٣٦ .

(٢) تصحيح الفصيح (المختون) ٣٣.

(٣) ظاهرة الإبدال فى العربية ١٢٧.

(٤) التطور النحوى ٥٤

(٥) المدخل إلى علم اللغة ٩٥

ويشير أيضا إلى ما يؤكد كلام برجشتراسر فيقول : " ولهذه العلاقة القوية بين هاتين الحركتين : الضمة والكسرة تطورت كل واحدة منهما فى الجعزية - وهى الحبشية القديمة – إلى الكسرة المحالة (e) ، مما يدل على انهما كانتا فى أذن الحبشي شيئًا واحدًا ، أو كالشيء الواحد " [1]

ولذا فسوف أقوم إن شاء الله - بجمع ما أورده أصحاب المعانى من ذلك الإبدال بين الضمة والكسرة أو العكس ، غير ملتفت إلى ما صنعه بعض الباحثين المعاصرين [2] من جمعهم بعض الكلمات التى رويت بالفتحة مرة وبالكسرة أو الضمة مرة أخرى تحت باب الإبدال إذ أرى انه لا علاقة صوتية تبرر ما فعلوه ، إذ لا يمكن ان تتحول الفتحة إلى الكسرة أو إلى الضمة مباشرة ، بل لابد من وجود مراحل وسطى بين هذه الأنواع من الإبدال ، ولا سبيل لنا إلى تتبع تلك المراحل فى كتب المعانى ، وعلى ذلك أرى أن ما جمعوه من هذا الصدد يدخل فى باب الترادف لا الإبدال ، إذ كل كلمة - آنئذ – أصل مستقل بذاته .

---

(١) السابق ٩٦

(٢) ومنهم الدكتور صبرى القلش فى رسالته : (الظواهر اللغوية فى معانى القرآن للأخفش) ٢١٠ – ٢٣٥.

نماذج الإبدال بين الضمة والكسرة

فى كتب المعاني

أولا: الأسماء:

١ - الحمدُ – الحمدِ

تناول كثير من أهل المعانى هذه الكلمة وذكروا ما فيها من قراءات ولغات وأشار بعضهم إلى السبب فى إبدال الضمة كسرة ، ومن أوائل من تناولها الأخفش حيث يقول [١] : " وقد قال بعض العرب : " الحمدِ لله " فكسره ، وذلك أنه جعله بمنزلة الأسماء التى ليست بمتمكنة ، وذلك أن الأسماء التى ليست بمتمكنة تحرك أواخرها حركة واحدة " وهذا التفسير قريب مما ذكره الفراء حيث يقول [٢] " وأما من خفض الدال من(الحمدِ) فإن قال هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد ، فثقل عليهم أن يجتمع فى اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة ، ووجد الكسرتين قد تجتمعان فى الاسم الواحد مثل (إبِل) فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم " وقد رفض الزجاج هذا كله وقال [٣] : وهذه لغة من لا يلتفت إليه ولا يتشاغل بالرواية عنه ، وإنما تشاغلنا نحن برواية هذا الحرف ؛ لنحذر الناس من أن يستعملوه ، أو يظن جاهل أنه أن يجوز فى كتاب الله عز وجل ، أو في كلام ، ولم يأت لهذا نظير في كلام العرب ، ولا وجه له " .

---

(١) معاني الأخفش ٩/١.

(٢) معاني الفراء ٣/١.

(٣) معاني الزجاج ٤٦،٤٥/١.

وقد رد الفارسي في الإغفال على أستاذه الزجاج ، وبرر هذه اللغة بتفسير صوتي صحيح فقال[1] : " .... وذلك ان الذي يكسر الدال من (الحمدِ لله) إنما يكسره من أجل ما بعدها من الكسرة "

٢ - عليهِم - عليهُم

اشار كثير من أهل المعاني إلى هذا الإبدال بين كسرة الهاء وضمتها في قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة ٦/١) وعلي راسهم الفراء الذي عقد مبحثًا صوتيًا عميقًا في هذه المسالة ، جاء فيه [2] : " .... وهما لغتان؛ لكل لغة مذهب في العربية ، فأما من رفع الهاء فإنه يقول : أصلها رفع في نصبها وخفضها ورفعها؛ فأما الرفع فقولهم : (هم قالوا ذاك) في الابتداء ، ...... والنصب في قولك : (ضربَهُم)... فتُركت في (عليهُم) علي جهتها الأولي ، وأما من قال : (عليهِم) فإنه استثقل الضمة في الهاء وقبلها ياء ساكنة؛ فقال (عليهِم) لكثرة دور المكنيّ في الكلام ، وكذلك يفعلون بها إذا اتصلت بحرف مكسور مثل (بهِم) و(بهُم) يجوز فيه الوجهان مع الكسرة والياء الساكنة... ؛ فإذا انفتح ما قبل الياء فصارت الفًا في اللفظ لم يجز في (هُم) إلا الرفع؛ مثل قوله تعالى : ﴿ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ (يونس ٣٠/١٠) " .

وقد تحدث الزجاج أيضًا عن هذا الإبدال فقال[3] " ..... وعلي هاتين اللغتين معظم القراء... فأما قولهم : (عليهُم) فأصل الهاء فيما وضعنا أن تكون معها ضمة ، إلا انّ الواو قد سقطت ، وإنما تكسر الهاء للياء التي قبلها ،

---

(١) الإغفال ١٩١/١.

(٢) معاني الفراء ٥/١.

(٣) معاني الزجاج ٥٠/١.

وإنما يكون ما قبل ميم الإضمار مضمومًا ، فإنما أتت هذه الضمة لميم الإضمار ، وقلبت كسرة للياء " .

وهكذا نري أن الفراء فسّر ضم الهاء في (عليهُم) بأنها مضمومة في حالتي الرفع والنصب ، أي أنه أراد أن يطرد الباب علي وتيرة واحدة ، وفسرَ كسر الهاء بأنه تأثر بالياء التي قبلها ولم يُجز في (مولاهم) إلا ضم الهاء لأنه لو كسرها لما أمكن نطق الألف إلا بإمالته نحو الكسر - فيما يبدو.

أما الزجّاج فإنه افترض أن الأصل (عليهمو) وذكر في ذلك كلامًا طويلاً اختصرته هنا ؛ لأن بعضه يغني عن بعض ، فمن ضم الهاء فتأثرًا - عنده - بميم الإضمار المضمومة ، ومن كسرها ، فتأثرًا بالياء قبلها.

فكلا الرجلين اجتهد وحاول أن يفسر هذا الإبدال ، وتلمّس له أسبابًا صوتية معقولة ومقبولة ، غير أن حمزة - رضي الله عنه - فيما نقله عنه صاحب (الكشف في نكت المعاني) يرفض ما ذهب إليه الفراء والزجّاج من أن الكسر في (عليهِم) لأجل الياء ، ويقول [1] : " هذه الهاء لا ينبغي أن تكسر لأجل الياء في (عليهم) ؛ لأن الأصل في عليهم : علاهُم ، ألا ترى أنك تقول : على زيد ؟ وكذلك لديهم أصله : لداهم ؛ لأنك تقول : لدى زيد ... فأصل هذه الياءات ألفات ؛ لأنها مع المظهر بالألف ، وقلبت ياء مع المضمر : لأنها كلمات مبنية ، ففرق بينها وبين الأسماء المتمكنة ، نحو (عصاهم وفتاهم) وإذا كان أصل الياء الألف لم يجب كسرها ، كما لا يجب كسرها في (عصاهم وفتاهم) "

وواضح أن الخلاف هنا منهجيٌّ ؛ فالفراء والزجاج يعالجان الظاهرة بالمنهج الوصفي ، وهو هنا يتمثل في التفسير الوصفي للواقع النطقي ، وليس

---

(١) الكشف ١٧٠.

لما كان عليه الأصل ، وفقًا للمنهج التاريخي الذي يريده حمزة - رضي الله عنه - كما ان ابا عمرو بن العلاء - رحمه الله - رفض ما عدَّه الزجاج اصلاً ؛ فقال فيما رواه عنه صاحب الكشف ايضًا : " لا ينبغي أن يوصل الميم بالواو ؛ لأنه ليس في الأسماء المتمكنة اسم آخره واو ساكنة مضموم ما قبلها "[1]

اما الأزهري فقد ذكر في (معاني القراءات) ما ورد من قراءات فى هذه الكلمة ، فقال :[2] " قرا حمزة ويعقوب (عليهُم)... والباقون من القراء يكسرون الهاء ويسكنون الميم إلا ابن كثير فإنه يصل الميم بواو فى اللفظ ويكسر الهاء " [3] وقد ذكر الأزهري ايضًا راي حمزة وابى عمرو ، وقد مر ذلك بنا فيما مضى . اما ابو بكر بن إدريس فقد ذكر فى كتاب (المختار فى معانى قراءات اهل الأمصار) جميع القراءات الواردة فى هذا الموضع ، وفسرها بما يشبه كلام الفراء [4]

٣ - أُمّ - إِمّ

حكى الفراء الوجهين في ضم همزة (أُم) وكسرها ثم قال [5] " فمن رفع قال : الرفع هو الأصل فى الأم والأمهات ، ومن كسر قال : هى كثيرة المجرى فى الكلام ؛ فاستثقل ضمة قبلها ياء ساكنة أو كسرة... فإذا انفتح ما قبلها فقلت : فلان عند أمه ، لم يجز أن تقول : عند إمه ، وكذلك إذا كان ما

(١) الكشف ١/١٧١-١٧٠

(٢) معانى القراءات ١/١١٢

(٣) انظر معجم القراءات ١/٢٠

(٤) انظر : المختار فى معانى قراءات أهل الأمصار ل ١

(٥) معانى الفراء ١/٥-٦.

قبلها مضموماً لم يجز كسرها ؛ فتقول : اتبعت امه ، ولا يجوز الكسر ، وكذلك إذا كان ما قبلها حرفاً مجزوماً لم يكن فى الأم إلا ضم الألف ، كقولك : من امه ، وعن امه " وفى تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾ (النساء ١١/٤) قال الزجاج [١] تقرا بضم الهمزة وهى اكثر القراءات ، وتقرا بالكسرة " فلإمه " ، فأما إذا كان قبل الهمزة غير كسر ؛ فالضم لا غير ... وإنما جاز (لإمه) ؛ لأن قبل الهمزة كسرة فلما اختلطت اللام بالاسم شُبه بالكلمة الواحدة ، فأبدل الضم كسرة.... " وهو اختصار لكلام الفراء مع إضافة مصطلح الإبدال .

واما ابو منصور الأزهرى ؛ فقد ذكر ان حمزة والكسائى قرآ بكسر الهمزة وقرا الباقون بضمها ، ثم فسر ذلك تفسيراً صوتياً طيباً فقال [٢] : من قرا (فلإمه) فلإتباع الكسرة الكسرة ، لأن لام الملك قبل همزة (امه) مكسورة ... واما قوله : ﴿ مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ ﴾ (النحل ٧٨/١٦) فإن الكسائى فتح الميم لأنه كره توالى الكسرات ، واما حمزة فإنه كسر الميم ايضاً لمجاورتها المكسور ، وقول الكسائى اجود القولين[٣].

ولم يخرج جامع العلوم النحوى فى الكشف عما قرره هؤلاء الأئمة لكنه اضاف شاهداً شعرياً من الشواهد غير المنسوبة فى كتاب سيبويه حيث يقول[٤] : " وإذا جاز ما حكاه سيبويه من قولهم : [الطويل]

---

(١) معاني الزجاج ٢٣/٢.

(٢) معاني القراءات ٢٩٤/١.

(٣) وانظر أيضاً معجم القراءات ٢٨/٢.

(٤) الكشف ٣٧١/١.

.... اضرب السَّاقَيْنِ إِمِّـكَ هَابِلُ [1]

فكسر الهمزة لمجاورة كسرة النون من (الساقين) ، وإحدى الكلمتين منفصلة عن الأخرى ، فلأن يجوز كسر الهمزة من (فلأمه) - مع أن اللام لا ينوى به الانفصال من المجرور. كان أولى وأحرى ".

٤ - حُليّهم - حِليهم

جاء عند الأخفش فى معانيه [2] : " وأما قوله : ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ (لأعراف ١٤٨/٧) بضم الحاء ؛ فإنه (فُعول) ؛ وهى جماعة (الحَلْى) ؛ ومن قال : " حِليهم " فى اللغة الأخرى : لمكان الياء ، كما قالوا : قِسىّ وعِصىّ " ، وقال الزجاج : " ومن قرأ : " من حُليهم " بضم الحاء ، فهو جمع حَلْى ، على حُلِىّ ، مثل : حَقْو وحُقِىّ ، ومن كسر الحاء ؛ فقال : من حِليهم ، اتبع الحاء كسرة اللام " [3].

وقد أورد أبو منصور الأزهري القراءتين السابقتين فى معانيه ، وفسّرهما صوتيًا بتفسير لا يكاد يختلف عما ذكره الأخفش والزجّاج ، فقال [4] : " وقرأ الباقون : " من حُليّهم " بكسر الحاء والتشديد ، وقرأ الحضرى : " من حَلْيهم " وقرأ الباقون : " من حُلّيهم " بضم الحاء مشددًا ، ... من قرأ " من حَليهم " فهو

(١) بداية العجز : (قال اضرب...) . ، أما صدره فغير معروف ، وهو من شواهد سيبويه فى الكتاب ١٤٦/٤ ، والقرطبى ١٣٦/١ والخصائص ١٤٧/٢ و١٤٣/٣ . وفيه اختلاف فى الرواية ، وهو مجهول النسبة.

(٢) معاني الأخفس ٣٣٨/١.

(٣) معاني الزجاج ٤٢٣/١.

(٤) معاني القراءات ٤٢٣/١.

واحد، ويجمع: حُليًّا وحِليًّا، والأصل فيهما الضم لأنه جمع على فعول، ومن كسر الحاء؛ فلإتباعه الكسرة التى فى اللام والياء "[1].

٥ - العُدْوة – العِدْوة

جاء في معانى الأخفش[2]: "وقال ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (الأنفال ٨/٤٢) وقال بعضهم: "بالعُدْوة" وبها نقرا، وهما لغتان" وبهذا الاختصار اخذ الزجاج ايضًا، فقال[3]: "والعدوةُ شفير الوادى، يقال: عِدوة، وعُدوة.. ".

وهذه الكلمة من المثلثات عند بيان الحق النيسابورى إذ يقول: " العدوة: شفير الوادى، بضم العين وكسرها وفتحها "[4] وهى كذلك عند الفيروزابادى فى (الدرر المبثثة فى الغرر المثلثة)[5].

وكعادته ذكر ابو منصور الأزهرى القراءات فى الكلمة فقال[6]: " قرا ابن كثير وابوعمرو ويعقوب: (بالعِدوة) بالكسر، وقرا الباقون بضم العين، قال أبو منصور: هما لغتان: عُدوة الوادى وعِدوته: جانبه "

ولم يزد جامع العلوم النحوى على أن قال: " والعُدوة والعِدوة لغتان "[7].

---

(١) انظر هذه القراءات في معجم القراءات ٣/١٦٢.

(٢) معاني الأخفش ١/٣٥٠.

(٣) معاني الزجاج ٢/٤١٧.

(٤) باهر البرهان ١/٥٦٨.

(٥) الدرر المبثثة ٩٣.

(٦) معاني القراءات ١/٤٤٠.

(٧) الكشف ١/٤٩٢.

٦ - سُوى – سِوى

ذكر الفراء عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ (طه ٢٠/٥٨) قراءة أخرى بكسر السين فقال : " وقوله " مكانًا سُوى " وسِوى .... والكسر والضم بالقصر عربيان ، ولا يكونان إلا مقصورين ، وقد قُرئ بهما " [١].

وجاء عند الزجاج [٢] : " وتقرأ : سُوى ، بالضم ، ومعناه : مَنْصَفًا ، أي مكانًا يكون النصف فيما بيننا وبينك ، وقد جاء في اللغة (سواء) في هذا المعني.... ولكن لم يُقرأ إلا بالقصر : سِوى وسُوى ".

واقتصر بيان الحق النيسابوري في تعليقه على هذه الكلمة فقال : [٣] " بكسر السين وضمها ، هو المكان النصف بين الفريقين ، تستوي مسافته عليهما " .

أما الأزهري فقد ذكر القراءات كعادته فقال [٤] : قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي (سِوى) بكسر السين ، وقرأ الباقون ، بضم السين " ثم نقل الأزهري كلام الفراء السابق ، كما نقل كلامًا للأخفش في هذا الموضوع ليس في معانيه ، لكني وجدته في تفسير القرطبي ، وهو قوله : " سِوى وسُوى : هو المكان النصف بين الفريقين " [٥].

---

(١) معاني الفراء ٢/١٨١.

(٢) معاني الزجاج ٣/٣٦٠.

(٣) باهر البرهان ٢/٩٠٧.

(٤) معاني القراءات ٢/١٤٦.

(٥) انظر تفسير القرطبي ١١/٢١٢.

ثانيًا : الإبدال في الأفعال

٧ - سفه - سفُه :

في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ (البقرة:٢/١٣٠)ذكر الأخفش كثيرًا من الآراء في معني (سفِه) ، ثم قال : [1] " ..... واحسن ذلك ان تقول : إن (سفِه نفسه) جرت مجرى (سفُه) إذ كان الفعل غير متعدٍّ ، وإنما عدّاه إلى نفسه ، ورايه ، واشباه ذا مما هو في المعني... "

وقد انتهي الزجاج إلى ما انتهي إليه الأخفش ، بعد ان ذكر كثيرًا من الآراء ونقدها ، حيث يقول [2] : " إن (سفِه نفسه) بمعنى : سفُه في نفسه . إلا ان (في) حذفت ، كما حذفت حروف الجر في غير موضع " وقد نقل النيسابوري في (باهر البرهان) قول ابن الأعرابي [3] : "سفُه الرجل يسفَه سفاهة وسفاهًا إذا جهل ، وسفِه نفسه يسفهها إذا جهلها " ورجّح هذا المعنى ، وكان مما استشهد به قول الفرزدق : [الكامل]

هَيْهَاتَ قَدْ سَفِهَتْ أُمَيَّـةُ رَأْيَهَـا فَاسْتَجْهَلَتْ حُلَمَاؤُهَا سُفَهَاؤُهَا [4]

---

(١) معاني الأخفس ١/١٥٧

(٢) معاني الزجاج ١/٢٠٩.

(٣) باهر البرهان ١/١٤٠.

(٤) البيت - باختلاف في بعض ألفاظه - في مجالس ثعلب ١ / ٥٧ والصاهل والشاحج لأبي العلاء ٦٣١ ، وطبقات فحول الشعراء ٣٦٥ ، وقيل في رفع (سفهاؤها حلماؤهـا)- والعكس - أقوال ، منها أن استجهلت كلام تام ، ثم يكون الكلام بعدها مبتدأ وخبرا ، وانظر تعليق العلامة محمود شاكر في هامش الطبقات ولم أجد البيت في ديوان الفرزدق.

وهكذا نرى ان ما رجّحه علماء المعانى ان (سفِه) بمعنى (سفُه) ، وعلى هذا رجحت أن يكون ما بين الكلمتين من تغيّر فى حركة عين الفعل من قبيل الإبدال ليس غير ، وهو كثير فى عين الأفعال . بخاصة – كما مر بنا من قبل.

٨ - يعْرِش - يعْرُش

ذكر الأخفش عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (لأعراف ١٣٧/٧)

مجموعة من الأفعال التى وقع فيها الإبدال بين الضمة والكسرة ؛ حيث قال [١] : " وقال : " وما كانوا يعرشون " و: (يعُرشون) لغتان ، وكذلك : (نبطِش ونبطُش) [٢] ، و(يحشِر ويحشُر) و(يعكِف ويعكُف) و(ينفِر وينفُر).

وجاء فى معانى الزجّاج :" .. يقال : عرش يعرِش ويعرُش ، إذا هو بنى " [٣]

وقد ذكر ابو منصور الأزهرى القراءات فى هذا الموضع فقال [٤] : " قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم : (يعرُشون)بضم الراء ، وفى النحل مثله ، وكسر الباقون فى السورتين [٥] ، قال ابومنصور : هما لغتان معروفتان "

وذكر الكرمانىُّ هذا الإبدال ايضًا ، وأشار لمن قرأ بالصيغتين ، ثم قال : " وهما لغتان " [٦]

---

(١) معانى الأخفش ٣٣٥/١.

(٢) الآية ١٦ وفيها قراءات كثيرة ، راجعها في معجم القراءات ٤٢٤/٨ ،

(٣) معانى الزجاج ٣٧١/٢.

(٤) معانى القراءات ٤٢١/١.

(٥) انظر تفصيل هذا فى معجم القراءات ١٤٥/٣.

(٦) مفاتيح الأغانى ٢٤٢.

٩ - يعكُفون - يعكِفون

مرّ بنا قول الأخفش في الموضع السابق : و(يعكُف ويعكِف) " في جملة الأمثلة التي ذكرها . وفي قوله تعالى : " يعكفون على أصنام لهم " ، قال الزجاج : " يقال لكل من لزم شيئًا وواظب عليه : عكَف يعكِف ، ويعكُف ، ومن هذا قيل للملازم للمسجد معتكف " [١]

وبعد أن ذكر القراءات في " يعرشون " قال الأزهري[٢] : " ومثله : يعكِفون ، قرأ حمزة والكسائي : (يعكِفون) بكسر الكاف ، وكذلك روى عبد الوارث عن أبي عمرو ، وقرأ الباقون (يعكُفون) [٣] وأشار الكرماني إلى ذلك الإبدال أيضًا[٤].

١٠ - يلمِزك - يلمُزك

جاء هذا الإبدال عند الأخفش في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾ (التوبة ٩/ ٥٨) حيث قال [٥] : " وقال بعضهم : " يلمُزك " وكذلك فعل الزجّاج إذ قال : " وتقرأ : (يَلْمُزُونك) : يقال : لمزت الرجل المزه ، بكسر الميم ، والمُزه بضم الميم إذا عبته " [٦].

وليس هناك قراءة بهذا اللفظ (يلمزونك) فلعل هذا وهمٌ من أحد الأطراف الثلاثة (المؤلف أو الناسخ أو المحقق) ، ولذا قال الدكتور عبد

---

(١) معاني الزجاج ٢/٣٧١

(٢) معاني القراءات ١/٤٢١

(٣) انظر معجم القراءات ٣/١٤٦.

(٤) مفاتيح الأغاني ٢٤٢.

(٥) معاني الأخفش ١/٣٦٠.

(٦) معاني الزجاج ٢/٤٥٥ ، وانظر أيضاً ٢/٤٦٢.

اللطيف الخطيب : " قلت لعله اراد : (يلمُزُون) ، وهى الآية ٧٩ من هذه السورة ، وهى بعد - قراءة ابن كثير واهل مكة " [1].

وكعادته ذكر الأزهرى القراءات فى الكلمة فقال : " قرا يعقوب : (يلمُزك) ، و(الذين يلمُزون) [2] ، و(لا تلمُزوا) [3] كله بضم الميم ، وقرا الآخرون بكسر الميم فى كل هذا ، إلا ما روى محمد بن صالح عن شبل عن ابن كثير (يلمُزك) ، و(يلمُزون) بضم الميم ... قال ابومنصور : هما لغتان : لمزه يلمِزه ويلمُزه ، إذا عابه " [4].

١١ - انشُزوا - انشِزوا

وقد جاء ذلك عند الفراء فى تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ (المجادلة ١١/٥٨) حيث قال [5] : " قرا الناس بكسر الشين ، واهل الحجاز يرفعونها ، وهما لغتان ، كقولك : (يعكِفون)و (يعفكُون) ، و(يعرِشون) و(يعرُشون) "

وكذلك جاء عند الزجاج فى تفسيره لهذه الآية ، حيث يقول [6] " ... ويجوز (انشُزوا) و(انشِزوا) [7] ، جميعًا يقرا بهما ، ويرويان عن العرب

(١) معجم القراءات ٤١٠/٣ (هامش) .
(٢) انظر القراءات فى هذا الموضع والذى سبق فى معجم القراءات ٤٠٩/٣و ٤٢٩.
(٣) الحجرات ١١/٤٩ ، وانظر القراءات فيها فى معجم القراءات ٨٥/٩.
(٤) معانى القراءات ٤٥٥/١-٤٥٦.
(٥) معانى الفراء ١٤١/٣.
(٦) معانى الزجاج ١٣٩/٥ .
(٧) هناك تصحيف فى معانى الزجاج المطبوع فى هذا الموضع ، والصواب ما أثبت ؛ لأنه الذى يقتضيه السياق من جهة ولأنه ليست هناك قراءة بالراء المهملة من جهة أخرى ؛ انظر معجم القراءات ٣٧٤/٩ .

نشز ينشِز وينشُز "

وأما القراءات ، فقد ذكرها الأزهرى فى معانيه فقال : " قرا نافع وابن عامر وعاصم... بضم الشين ، وقرا الباقون بكسر الشين[1] " واضاف الأزهرى : " هما لغتان ، يقال : نشز ينشِز وينشُز ، إذا نهض[2] "

أنصاف الحركات *Semi-vowels* (*)

بين الياء والواو :

ذكر الأخفش مثالاً لهذا الإبدال فقال [3] : " وذلك ان الأسماء التى ليست بمتمكنة تُحرّك أواخرها حركة واحدة ؛ لا تزول علّتها نحو : حيث ؛ جعلها بعض العرب مضمومة على كل حال ، وبعضهم يقول : (حَيثَ) و(حَوثَ) ؛ ضمٌّ وفتح "

وقال الزجّاج فى تفسيره [4] : ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (الأعراف ٢٧/٧) : " ... ومن العرب من يقول : (ومن حيثَ خرجت)[5] فيفتح لالتقاء الساكنين ،

---

(١) معانى القراءات ٦١/٣.

(٢) معانى القراءات ٦١/٣.

(*) مصطلح (*Semi vowels*) استخدمه الدكتور أنيس فى الأصوات اللغوية ٤٢ ، واستخدم الدكتور السعران مصطلح (أشباه الصوائت) فى علم اللغة ١٧٩ ، واستعمل الدكتور مختار عمر مصطلح (أنصاف العلل) فى دراسة الصوت اللغوى ٢٦٧ ، ولكنى آثرت مصطلح (أنصاف الحركات) الذي رجحه الدكتور كمال بشر في كتابه علم الأصوات ٣٦٨ لأنها تسمية قديمة .

(٣) معانى الأخفش ٩/١

(٤) معانى الزجاج ٣٢٩/٢٤.

(٥) القراءة بفتح الثاء (حيث) قرأ بها عبد الله بن عمير ، والباقون بالضم ، وانظر البحر ٤٣٩/١ ومعجم القراءات ٢١٤/١

ومنهم من يقول (من حوث خرجت) ، ولا تقرا بهاتين اللغتين ، لأنهما لم يُقرا بواحد منهما ، ولا هما في جودة حيث المبنية على الضم "

وقد نقل أبو علي الفارسي في كتابه (الإغفال) كلام الزجاج في هذا الموضع ، وهو قوله: " ... ومنهم من يقول : (من حوثُ) " [1] ثم لم يعلق عليه بشيء ، بما يعني أنه يرتضيه ، ويسلّم به.

مسوّغ الإبدال :

الواو والياء غير المديّتين صوتان أقرب إلى الحركات في صفاتها من حيث النطق الصرف ، ولكنهما في التركيب الصوتي للغة يسلكان مسلك الأصوات الصامتة.[2]

وتنطق الواو كما تنطق الضمة في بدايتها ، بأن تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنطق الضمة ؛ ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى ، وتضم الشفتان ، ويسدّ الطريق إلى الأنف برفع الحنك اللين ، ويتذبذب الوتران الصوتيان ، فالواو إذن صوت صامت (نصف حركة) من أقصى اللسان ، مجهور مرقق ويسميه كثير من اللغويين (شفوى) ؛ لأن الشفتين تنضمان عند النطق به .

أما الياء فصوت ينطق كما تنطق بدايات الكسرة ؛ ثم تترك أعضاء النطق هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى ، ويتجه أوسط اللسان نحو وسط الحنك ، وتنفرج الشفتان ويسد الطريق إلى الأنف ، وتتذبذب الأوتار الصوتية ، فالياء صوت صامت (نصف حركة) حنكي وسيط مجهور مرقق [3] ، ويضمه

---

(١) الإغفال

(٢) انظر علم الأصوات ٣٦٨

(٣) نفسه ٣٦٩ وانظر دراسات في علم الأصوات ٧٤-٧٥ وعلم اللغة الدكتور السعران ١٨٠

المحدثون إلى الجيم الفصيحة والشين، ويُطلقون عليها الأصوات الغارية[1]، بينما يُطلق عليها القدماء (الحروف الشجرية).

وبهذا يتضح أن الواو والياء يجمعهما أنهما من أنصاف الحركات، متقاربان فى المخرج، ومتفقان فى الجهر والترقيق.

وبسبب هذه العلاقة الصوتية ساغ الإبدال بينهما فى هذه الكلمة، حيث نطقت بالواو بعض القبائل[2]، وبالياء بعضها[3]، وتوسع أبو الطيب اللغوى[4] فى ذكر أمثلة لهذا الإبدال فى بداية الكلمة، ووسطها وآخرها، كما جمع الزجاجى [5] عددًا كبيرًا فى الفصل الذى عقده للإبدال بين الواو والياء، واتفقت كلمة اللغويين القدامى، على ذكر (حوث) و(حيث) كأبرز نموذج لهذه الظاهرة[6].



---

(١) انظر المدخل إلى علم اللغة ٥٠-٥١.

(٢)ومنها طيء وقبائل أسد ونجد كما فى اللهجات العربية فى التراث ٤٠٦/١، وهى قبائل بدوية

(٣) رجح الدكتور ضاحى أن تميم آثرت الياء على الواو، انظر لغة تميم ١٧٨، إلى جانب القبائل الحضرية.

(٤) انظر الإبدال لأبى الطيب ٤٦٣/٢-٥٢٠

(٥) انظر الإبدال للزجاجى ٥٧-٦٠

(٦) انظر على سبيل المثال: التهذيب (حيث) ٢١٠/٥، واللسان(حـوث) ١٣٩/٢ دار صادر، والقاموس المحيط (الحوث) ١٦٤/١ . وقد عقد ابن السكيت فى كتابه (إصلاح المنطق) بابين: أولهما : " ما يقال بالياء والواو من ذوات الثلاثة " وثانيهما : " ومما يقال بالياء والواو من ذوات الأربعة " انظر الإصلاح ١٣٥-١٤٤ ولكنه لم يتحدث عن هذا الإبدال فى كتابه عن الإبدال.



الفَصْلُ الثّانِي

المماثلة الصوتية والإدغام



المماثلة الصوتية

مفهوم المماثلة الصوتية

تدرج المماثلة عند الدراسة اللغوية التاريخية للغة ضمن التغيرات التركيبية ، ويقصد بها عند المحدثين من علماء العربية ما يطلق عليه عند الغربيين Assimilation والمماثلة - وكذلك المخالفة - تحدث نتيجة تأثر الأصوات اللغوية المتجاورة بعضها ببعض عندما تتركب الأصوات في كلمات وجمل[1].

تعريفها :

يمكن أن نعرف المماثلة بأنها تعني : " تغير احد الصوتين غير المتماثلين المتجاورين في كلمة من الكلمات إلى صوت يماثل مجاوره ، وذلك بتأثير صوت ثالث مجاور لأحدهما "

ومن امثلة ذلك التغير قول بعض العرب : " قرا فما تلعثم وما تلعذم " [2]، وقولهم : " جثوت وجثوت " [3] للقيام على اطراف الأصابع ، ففي المثال الأول نجد الاختلاف بين الكلمتين (تلعثم وتلعذم) ينحصر في صوتي الثاء والذال ، وكلاهما اسناني رخو ، إلا ان الثاء مهموسة والذال مجهورة ، وحين نتفحص الجيم والواو نجد انهما صوتان مجهوران قد حصرا بينهما

(١) انظر في ظاهرة المماثلة- على سبيل المثال:

A Dictionary of linguistics and phonetics ,p 28

والتطور النحوى للغة العربية لبرجشتراسر ٢٨ ، واللغة لفندريس ٨٣ ، وانظر أيضًا :

Introductory linguistic, pp 214-218-317 .

(٢) الإبدال لابن السكيت ١٠٨. ٤- نفسه ١٠٨

(٣) نفسه ١٠٨

صوتا مهموسًا هو الثاء ، فأثرا عليه لتتماثل الأصوات الثلاثة في الجهر ، فتحولت الثاء المهموسة إلى مقابلها من نفس المخرج – المجهور.

وهذا يعني انه طبقًا لقانون المماثلة قد تتغير مخارج بعض الأصوات أو تتغير صفات بعضها ، مثل الجهر والهمس ، والتفخيم والترقيق ، والشدة والتوسط والرخاوة ، نتيجة وجود صوتين مختلفين متجاورين في نسق صوتي ما .

بين الإدغام والمماثلة الصوتية :

إذا كان فريق من العلماء المحدثين يرى أن الإدغام والمماثلة الصوتية مصطلحان مترادفان فإن فريقًا آخر يفرق بينهما ، ومن هؤلاء الدكتور محمود فهمي حجازي، إذ يقول: " ... ومثل هذا اللبس قائم أيضًا عند استخدام كلمة إدغام؛ فدلالتها في التراث تجعلها للتعبير عن تغير صوتي ينتج عنه صوت مشدد ، مثل : اصّبر واتّصل ، أما مصطلح Assimilation فلا يقتصر على ما سبق ، ولكنه يفيد تحول صوتين مختلفين نسبيًا إلى صوتين متقاربين نسبيًا أو متماثلين ، مثل تحول الصيغة القياسية المفترضة ازتهر إلى ازدهر ، وهذا التغير لم يصفه نحاة العرب بأنه إدغام؛ ولكنه مما نعبر عنه بالتماثل أو المماثلة ، ولهذا لا يجوز خلط مفهومين مختلفين في مصطلح واحد "[1].

ومع اني أميل إلى ما قاله الدكتور حجازي إجمالاً ، لكني وجدت من نحاة العرب من وصف التحول من صيغة ازتهر إلى ازدهر بأنه إدغام؛ فإن ابن جني وهو من اكابر نحاة العرب عقد بابًا في كتابه الخصائص ، تكلم فيه عن هذه الظاهرة ، سماه : باب الإدغام الأصغر ، وعرفه بأنه : " تقريب الحرف من

---

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٢٢٢.

الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك... " [1] وقد ضرب لذلك بعض الأمثلة ، إذ يقول : " ... ومن ذلك تقع السين قبل الحرف المستعلي ، فتقرب منها بقلبها صادًا... وذلك كقولهم في سقت : صقت ، وفي السوق : الصوق ، وفي سبقت : صبقت..ومنه تقريب الحرف من الحرف ، نحو قولهم في مصدر : مزدر ، وفي التصدير: التزدير ، وعليه قول العرب في المثل . (لم يحرم من فزد له) أصله فصد له " [2]. وقد تحدث الدكتور عبد الصبور شاهين عن العلاقة بين المماثلة والإدغام فقال : أما علاقة المماثلة بالإدغام الاصطلاحي . فمن الواضح أنها أعم من وجه ، من حيث كانت شاملة لكل حالات التأثر ، في حين نجده - الإدغام - مقتصرا على حالة الاندماج الصوتي الكامل ، وحيث يفقد الصوت المتأثر وجوده فقدانًا كاملاً ، كما أن الإدغام الاصطلاحي شامل حالة التضعيف..وهي لا تدخل في نطاق مفهوم المماثلة ، وإذا شئنا تحديد العلاقة من الوجهة المنطقية قلنا : إن بينهما على هذا الأساس عمومًا وخصوصًا ، من وجه يجتمعان في حالة التفاعل الصوتي الكامل ، وتنفرد المماثلة بحالات التأثير الناقص ، وينفرد الإدغام بحالة التضعيف " [3].

ويفهم من هذا الكلام وأشباهه مما كتبه المحدثون [4] أن تأثر الأصوات بعضها ببعض على درجات ، فتارة يكون التأثر جزئيًا يفقد فيه الصوت بعض صفاته ، أو يعتريه تغيير في مخرجه ، وتارة يكون التأثر كليًا يتغير فيه الصوت تغيرًا جذريًا ، وتصل الغاية مداها بإدغامه في صوت آخر ، فالإدغام إذن هو أقصى درجات المماثلة.

---

(١) الخصائص ٢/١٣٩.

(٢) الخصائص ٢/١٣٩-١٤٥.

(٣) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣٦.

(٤) انظر على سبيل المثال : علم الأصوات لمالمبرج ١٤١-١٤٤ والتطور اللغوي لأستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ٢٢-٣٦ ، ودراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر ٣٢٢-٣٢٩ .

سبب التماثل :

يتبادر إلى الذهن سؤال مهم ، وهو : ما السبب وراء تغير الصوت إلى صوت آخر ليماثل لصيقه؟ ولماذا يتغير احد الصوتين في بعض الكلمات ، ولا يتغير في الكلمات الأخرى؟ يقول الدكتور احمد هريدي : " ويبدو لي أن ذلك التغير قد يعود إلى طبيعة صوت ثالث في الكلمة هو الذي يستوجب التغير ، كما يحدد ايضًا طبيعة الجديد ، ففي (اطّلب) نجد التاء المهموسة المرققة تحولت إلى طاء مهموسة مفخمة ، بتأثير التفخيم العارض للام ، فهنا توالت ٣ أصوات مفخمة "[1] ولكن الراجح فيما يبدو لي أن التاء المهموسة المرققة لم تتحول لطاء مفخمة بتأثير التفخيم العارض للام - كما يرى الدكتور هريدي - وإنما بتأثير الطاء المفخمة التي تسبقها ، فهذا من قبيل الإدغام التقدمي ، واكثر ما يكون في صيغة افتعل ، ومما يؤيد ذلك اني لا اجد اثرًا للتفخيم العارض للام - كما ذكر الدكتور هريدي - بل إن النطق الطبيعي للام هنا هو ترقيقها فيما أرى ، إلا عند المتعجل ، ونطقه ليس حجة على غيره او عند العوام من غير الناطقين بالفصحى ، وبدهي أن نطقهم ليس مجالاً للاحتجاج إلا في دائرة المقارنة بين الفصحى والعامية.

ومع ذلك فإنه لا مجال لإنكار ان يكون التغير راجعًا - حقًا - إلى طبيعة صوت ثالث في الكلمة لكن المثال هنا ، فيما أرى ، لا يدل - أو لا يعبر - بدقة عن المطلوب.

وقد تساءل الدكتور هريدي ايضًا " لماذا تغير صوت التاء - مثلاً - في صيغة افتعل مرة إلى الدال في ادترك > ادّرك ، ومرة إلى الطاء في اطلع < اطتلع ، في حين ان التاء والدال والطاء يجمعها مخرج واحد ، فهي

(١) ظاهرة المخالفة الصوتية ١٢-١٣.

أسنانية لثوية ، بالإضافة إلى انها شديدة ، وتنفرد الدال بأنها مجهورة ، في حين أن التاء والطاء مهموستان "[1]؟

والإجابة – في نظري – ان ذلك التغير لا يعود لصوت ثالث ، بل للصوت الأول ، فالتاء المهموسة تأثرت بالجهر في الدال ، فتحولت دالاً في المثال الأول ، والتاء في المثال الثاني لم تتأثر باللام المرققة مثلها ، وإنما تأثرت بالطاء المستعلية المطبقة ، فتحولت طاء ، ولو حدث ما أشار إليه الدكتور هريدي من التأثر بالصوت الثالث لصارت الكلمة اتلع وهو ما لم يحدث!

المماثلة بين القدامى والمحدثين :

تنبه كثير من اللغويين القدماء لظاهرة المماثلة الصوتية ، ولكنهم عبروا عنها بمصطلحات اخرى ، فسيبويه[2] يطلق عليها المضارعة أو التقريب ، وابن الحاجب[3] يطلق عليها المناسبة ، وابن يعيش[4] يسميها المشاكلة. كما نجد عند علماء المعاني مصطلحات اخرى.

اما المحدثون فبعضهم يطلق على المماثلة مصطلح التحييد Neutralization ، ويعود هذا المصطلح إلى مدرسة براغ اللغوية[5] التي ظهرت عام ١٩٢٦م ، وبخاصة تروبتسكوي[6] الذي جعل التحييد من اسس

---

(١) ظاهرة المخالفة الصوتية ١٢.

(٢) انظر الكتاب ٤/٤٦١.

(٣) انظر شرح الكافية ٣/٤.

(٤) انظر شرح المفصل ١٠/٣١٨.

(٥) وهم أول من عد المنهج البنائي أساس الدراسة اللغوية.

(٦) أحد مؤسسي علم الفونولوجيا ، وله كتاب بالألمانية في مبادئ هذا العلم بعنوان: Grondzue der phonologie ، فرّق فيه بين علم طبيعة الأصوات Phonetics وعلم وظيفة الأصوات phonology.

نظرية الفونيم [1] ، والتحييد عنده يعني " تداخل او ذوبان فونيم في فونيم آخر حتى يصيرا فونيما واحدًا في سياق صوتي معين" [2] .

والمماثلة عند المحدثين نوعان[3]:

المماثلة التقدمية : Progressive حيث يتأثر الصوت الثاني بالصوت الأول.

المماثلة الرجعية : Regressive حيث يتأثر الصوت الأول بالثاني.

امثلة المماثلة الصوتية فى كتب معانى القرآن

اعرض فيما يلى – بإذن الله - ما استطعت جمعه من كتب معانى القرآن فى صور المماثلة الصوتية ، وربما تكون بعض تلك الصور قد وردت فى مبحث الإبدال ، او الإدغام ، غير ان ورودها هنا لاختلاف المعالجة :

١) التأثر المقبل الكلى فى حالة الاتصال.

من امثلته فى كتب معانى القرآن :

• تأثر تاء الافتعال بما قبلها :

وقد جاء من هذا عند الأخفش فى تفسير قوله تعالى : ﴿ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ ؛ وقد قرئت هذه الآية : " ان يصّلحا ... " وهى ان (يفتعلا) ،

---

(١) للتعريف بهذه النظرية انظر : أصول تراثية في علم اللغة ١٧٠.

(٢) Intoduction to the oretical linguistics , p 115

(٣) انظر : أصول تراثية في علم اللغة ١٩٣.

من الصلح ، فكانت التاء بعد الصاد ، فلم تدخل الصاد فيها للجهر والإطباق ؛ فأبدلوا التاء صادًا [١] .

وما جاء عنده أيضا : " وقد قال بعضهم : " مذّكر " فأبدل التاء ذالاً ، ثم أدخل الذال فيها " [٢] وقد نسب الفراء قراءة (مذّكر) لبعض بني اسد [٣] ، بينما قال الزجاج : " وقد قال بعض العرب : (مذكر) بالذال معجمة ؛ فأدغم الثاني في الأول " [٤]

وجاء عند الفراء أيضًا : " وسمعت بعض بني عقيل يقول : عليك بأبوال الظباء ، فاصّعطها ؛ فإنها شفاء للطحل ، فغلب الصاد على التاء[٥] .

التفسير الصوتي

- أصل (يصّلحا) : يصتلحا ، فأثرت الصاد المطبقة في التاء المرققة تأثيرًا كليًّا فتحولت التاء إلى صاد والعجب هنا من قول الأخفش : " فلم تدخل الصاد فيها للجهر والإطباق " إذ الصاد والتاء مهموستان[٦] فلا مجال لكلمة الجهر هنا ، ولعله سهوٌ من الأخفش أو الناسخ أو المحقق !

- أصل كلمة (مذّكر) : مذتكر ، فأثرت الذال المجهورة في التاء المهموسة، فقلبتها ذالاً مثلها.

---

(١) معاني الأخفش ٣٩٨/١

(٢) معاني الأخفش ٣٩٨/١.

(٣) معاني الفراء ١٠٧/٣

(٤) معاني الزجاج ٨٨/٥.

(٥) معاني الفراء ٢١٦/١

(٦) انظر المدخل إلى علم اللغة ٤٦-٤٧.

- أصل كلمة (فاصّعطها) : فاصتعطها ، فأثرت الصاد المطبقة على التاء، فقلبتها صادًا مثلها ، والذى ساعد على ذلك أن الصاد والتاء مخرجهما واحد ، فهما من الأصوات الأسنانية اللثوية.

٢) التأثر المقبل الكلى فى حالة الانفصال :

أ - تأثر حركة الكسر فى لام (لله) بحركة الضم التي قبلها فى (الحمدُ)

يقول الفراء[١] : " ومنهم من يقول (الحمدُلله) فيرفع الدال واللام " ، وذكر الكرمانى اسم القارئ بها ، وأشار إلى السبب فى ذلك ، فقال [٢] : " قرأ إبراهيم بن أبى عبلة : " الحمدُلله " بضم الدال واللام " أتبع الضم الضم " [٣]

وهذا التفسير الصوتي الذى سمّاه الكرمانى **الإتباع** ، هو ما يسميه المحدثون : المماثلة ، وهى هنا كلية مقبلة ، فى حالة انفصال ، لأن اللام متوسطة بين الضمتين ، ومما ساعد على ذلك ما بين الضمة والكسرة من تقارب سبق أن تحدثت عنه تفصيلاً.

ب - تأثر حركة الكسر فى (مُنْتِنْ) بحركة الضم التي في الميم قبلها :

فقد قال الأخفش[٤] : " وقد ضم بعضهم التاء ، فقال : (مُنْتُنْ) لضمة الميم " وهو تفسير مستقيم ، لا يحتاج لمزيد بيان.

ج - تأثر حركة الضم فى (عليهُم) بالياء أو حركة الكسرة قبلها :

---

(١) معاني الفراء ٣/١.

(٢) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ٩٥.

(٣) انظر معجم القراءات ٤/١

(٤) معاني الأخفش ٤/١.

ذكر كثير من أهل المعاني الخلاف في قراءة (عليهِم) و(عليهُم) بالضم والكسر ، وتنبه أكثرهم إلى أن من ضم الهاء فعلى الأصل . ومن كسرها فلمجاورة الياء أو الكسرة ، يقول الفراء [1] : " وأمّا من قال : (عليهِم) فإنه استثقل الضمة في الهاء ، وقبلها ياء ساكنة ، فقال : (عليهِم) لكثرة دور المكنى في الكلام ، وكذلك يفعلون بها إذا اتصلت بحرف مكسور مثل (بهِم) و... ولا تبال أن تكون الياء مفتوحًا ما قبلها أو مكسورًا ..." .

وقد جاء عند الزجاج [2] والأزهري [3] وجامع العلوم [4] والكرماني [5] وابن إدريس [6] كلام لا يكاد يختلف عن هذا .

وقد أطلق سيبويه على هذه الظاهرة (الإتباع) ، ورأى أن الأصل في هذه الهاء الضم وبعدها الواو؛ لأنها في الكلام كله هكذا ... فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة " [7]

وقوله : لأنها في الكلام كله هكذا ، يقصد به أن هاء الضمير تضم بعد الفتحة فتقول : لَهُ ولَهُم ، وبعد الضمة ، فتقول : بيتُه وعزُّهم ، وبعد السكون ، فتقول : عنهُ وعنهُم. فكسرتها إذن تكون بسبب خاص ، وهو أنها سبقت بياء أو كسرة ، والتفسير الصوتي لهذا عند المحدثين أن هذا نوع من التوافق الحركي (Vowel Harmony) " وهذه الظاهرة تدخل في باب

---

(١) معاني الفراء ١/٥

(٢) معاني الزجاج ١/٥٠

(٣) معاني القراءات ١/١١٢

(٤) الكشف ١/١٧٠.

(٥) مفاتيح الأغاني ٩٨

(٦) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل١(أ)

(٧) الكتاب ٤/١٩٥ .

المماثلة، وهى هنا مماثلة حركة لحركة أخرى مماثلة تامة "[1] حيث أثرت الكسرة أو الكسرة الطويلة (الياء) قبل الهاء فيها، تأثيرًا مقبلاً كليًا، فحولت حركة الهاء إلى كسرة لتماثل ما قبلها.

٣) التأثر المقبل الجزئى فى حالة الاتصال :

أ - تأثر تاء الافتعال بالصاد أو الظاء أوبالضاد أو بالزاى التى قبلها :

ذكر الفراء بعض الأمثلة على هذا النوع من التأثر الذى سبق أن ذكرت أنه سمى بالإبدال القياسي، ولعل إشارة الفراء فى كلامه هنا تجعله من أوائل من التفت إليه إذ يقول [2] : " وازدجر : افتُعل من زجرت، وإذا كان الحرف أوله زاى صارت تاء الافتعال فيه دالاً ؛ من ذلك : زُجر وأُزدجر ومزدجر، ومن ذلك المزدلف، ويزداد هى من الفعل يفتعل فقس عليه ما ورد "

وزاد الزجاج على هذا تفسيرًا صوتيًا لهذا التأثر، فقال [3] : " .... وكذلك : مزتجر، إنما أبدلت دالاً لأن التاء حرف مهموس، والزاى حرف مجهور، فأبدل من التاء من مكانها حرف مجهور، وهو الدال، فهذا لا يفهمه إلا من أحكم كل العربية... " وقال النيسابورى فى إيجاز البيان [4] : " أبدلت التاء دالاً لتؤاخى الزاى بالجهر " .

(١) العربية والنص القرآنى ١٣٩ ، وانظر أسس علم اللغة العربية ٢٣٢.

(٢) معانى الفراء ١٠٦/٣.

(٣) معانى الزجاج ٨٥/٥.

(٤) إيجاز البيان ٧٧٩/٢.

كما ذكر الأخفش مثالاً لهذا التأثر فى قوله [1]: " وقال بعضهم (يصطلحا) [2]"، وهى الجيدة ؛ لما لم يقدر على إدغام الصاد فى التاء، حول فى موضع التاء حرف مطبق " .

وذكر الزجاج أمثلة أخرى لتحول التاء إلى طاء ، فقال [3] : (اصطفاه) : ومعناه اختاره ، وهو افتعل من الصفوة ، الأصل ، اصتفاه ، فالتاء إذا وقعت بعد الصاد أبدلت طاء ، لأن التاء من مخرج الطاء ، والطاء مطبقة ، فأبدلوا الطاء من التاء ؛ ليسهل النطق بما بعد الصاد ، وكذلك افتعل ، من الضرب : اضطرب ، ومن الظلم : اظطلم "

ب - تأثر الطاء المستعلية بالسين المرققة قبلها :

قال الأخفش فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوٓا۟ ﴾ (الكهف ١٢/٩٧) : لأن لغة للعرب تقول : (اسطاع يسطيع) ، يريدون به : (استطاع يستطيع) ولكن حذفوا التاء إذا جامعت الطاء ؛ لأن مخرجهما واحد . وقال بعضهم: استاع ، فحذف الطاء لذلك [4]

التفسير الصوتى :

فى الكلمات (يصطلحا و اصطفاه ، واضطرب ، واظطلم) تأثرت التاء المرققة بحروف الإطباق المستعلية ، فتحولت إلى طاء ، والطاء صوت ينطق كما ينطق التاء ، ولا فرق بينهما إلا فى أن مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق

---

(١) معانى الأخفش ٣٩٨/١.

(٢) وهى قراءة مجهولة النسبة ، انظر التبيان للعكبرى ٣٩٥/١

(٣) معانى الزجاج ٣٢٨/١.

(٤) معانى الأخفش ٤٣٣/١-٤٣٤

عند نطق الطاء ، ولا ترتفع نحوه في نطق التاء [1]، وبهذا تكون الطاء هي النظير المفخم للتاء.

- في الفعل : ازدجر ، الأصل : ازتجر ، فتأثرت تاء الافتعال المهموسة بالزاي المجهورة ، فتحولت إلي ما يماثلها في الجهر ، وهو صوت الدال ، لأنه لا فرق بين التاء والدال إلا في الهمس بالجهر.
- في المثال الأخير اصل الفعل : استطاع ، فحذفت التاء لأنها النظير المهموس للطاء ، فصار الفعل : اسطاع ثم تأثرت الطاء المجهورة بالسين المهموسة قبلها تأثرًا جزئيًا بأن تحولت إلى التاء ، اما تعليل الأخفش بأن الذي حدث في (استاع) هو حذف الطاء ، فهو محتمل ؛ لكنه غير شائع.

٤) التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال :

ومن امثلة ذلك تأثر السين المهموسة بالجيم المجهورة في كلمة (الرجس) ، ولذلك قال الأخفش " فأما الرجز فهو الرجس " [2] وقال الزجاج : "الرجز العذاب ، وكذلك الرجس " [3]

التفسير الصوتي :

الجيم صوت مجهور ، اثر في السين المهموسة ، فقلبها إلى نظيرها المجهور ، وهو صوت الزاي ، والسين والزاي من مخرج واحد ، فهما من الأصوات الأسنانية اللثوية [4].

---

(١) انظر المدخل إلى علم اللغة ٤٦ – ٤٧

(٢) معاني الأخفش ١/ ١٠٤

(٣) معاني الزجاج ١/ ١٤٠

(٤) المدخل إلى علم اللغة ٤٧

والذى دعانى إلى عد هذا التأثر فى حالة الانفصال، هو ان الجيم من حروف القلقلة عند علماء التجويد، والقلقلة ذكرها سيبويه فى كتابه، فقال[1] : " واعلم أن من الحروف حروفا مشربة، ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت، ونبا اللسان عن موضعه وهى حروف القلقلة ...و ذلك القاف والجيم والدال والطاء والباء، والدليل على ذلك انك تقول الحذق، فلا تستطيع ان تقف إلا مع الصويت، لشدة ضغط الحرف، وبعض العرب أشد صوتا، كأنهم يرومون الحركة " .

وهذا الصويت الذى وصفه سيبويه، يسميه الدكتور السعران بالفتحة المختلسة، حيث يرى اننا إذا نطقنا صوتا شديدا مجهورًا كالباء وحده، فإنه يتبعه عادة صوت مجهور قصير أشبه ما يكون بالفتحة المختلسة [2] ووصفه ثانية بقوله [3] : " والأرجح ان هذا الصوت الإضافى صوت صائت مركزى ضعيف " ، ولأجل هذه الحريكة، أو الصويت، صارت الجيم منفصلة عن السين ، ومع ذلك فقد اثرت فيها تأثيرًا جزئياً بأن قلبتها إلى الزاى.

٥) التثر المدبر الكلى فى حالة الاتصال

أ - تأثر الراء باللام التى بعدها : ومن ذلك ما اورده الزجاج [4] – وخطّاه - من قراءة ابى عمرو : ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ (البقرة ٢/٥٨)

---

(١) الكتاب ١٧٤/٤

(٢) انظر علم اللغة ١٦٠ وانظر أيضا الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٠٢

(٣) علم اللغة ١٦٢

(٤) انظر معانى الزجاج ١٦٧/٥ و ٢٢٨.

بإدغام الراء فى اللام ، ونقله أبوالعلاء الكرمانى [1] عن الزجاج ، وسكت عن تخطئة هذه القراءة.[2]

ب - **تأثر لام هل وبل ببعض الأصوات التى تليها** ، مثل الراء في قوله ﴿بَلْ رَانَ﴾ (المطففين: ١٤/٨٣) ، التى قال عنها الفراء[3] : " فإن اللام تدخل فى الراء دخولاً شديدًا " وقال عنها الزجاج [4] : " والإدغام أجود ؛ لقرب اللام من الراء ، ولغلبة الراء على اللام " .

ومثل النون فى قوله تعالى : ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ (سبأ ٣٤/ ٧) التى يقول عنها الفراء[5]: " العرب تدغم اللام عند النون إذا سكنت اللام وتحركت النون ، وذلك أنها قريبة المخرج منها " .

ومثل الثاء فى قوله تعالى : ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ (المطففين ٨٣/ ٣٦) حيث يقول عنها الأخفش [6] : " إن شئت ادغمت ، وإن شئت لم تدغم ، لأن اللام مخرجها بطرف اللسان ، قريب من أصول الثنايا ، والثاء بطرف اللسان ، واطراف الثنايا ، إلا ان اللام بالشق الأيمن ادخل فى الفم ، وهى قريبة المخرج منها "

---

(١) انظر : مفاتيح الأغانى فى القراءات والمعانى ١٠٢

(٢) هذه القراءة قرأ بها أبو عمرو والدورى واليزيدى ، ومتى صحت القراءة فلا وجه لتخطئتها ، وبخاصة أن الإدغام هنا ليس شاذا فى اللغة ، انظر الحجة لابن خالويه ٨٠ ، ومعجم القراءات ١٠٦/١.

(٣) معانى الفراء ٣٥٤/٢.

(٤) معانى الزجاج ٢٩٩/٥.

(٥) معانى الفراء ٣٥٣/٢ ،

(٦) معانى الأخفش ٥٧٣/٢

وقد جاء فى معانى الزجاج [1] إقرار لهذا الكلام بإيجاز شديد.

ومثل الثاء فى قوله تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ﴾ (الأعلى ٨٧/١٦) التي يقول عنها الأخفش [2]: " فادغمت اللام فى التاء؛ لأن مخرج التاء والثاء قريب من مخرج اللام وذكر الفراء هذا التأثر، ولكن فى آية: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ ﴾ (التوبة ٩/ ٥٢) حيث يقول [3]: " والعرب تدغم اللام من هل وبل عند التاء خاصة، وهو فى كلامهم عال كثير.... " .

التفسير الصوتى:

- فى قراءة " نغفرلكم " بالإدغام، نجد أن أكثر اللغويين القدماء يرون عدم جواز هذا الإدغام للمحافظة على (تكرير الراء) طبقًا لقاعدتهم التي صاغها ابن جنيّ: " وإنما المذهب ان تدغم الأضعف في الأقوى " [4]، ولذا يقول سيبويه: " والراء لا تدغم في اللام ... لأنها مكررة ... فكرهوا ان يُجحفوا بها؛ فتدغم مع ما ليس يتفشّى في الفم مثلها، ولا يكرر " [5]، ويقول المبرد: " الإدغام لا يَبخس الحروف ولا ينقصها " [6]. وهي الفكرة التي ايدها بعض المحدثين، وعلى راسهم اللغوي الفرنسي (جرامون) الذي صاغ قانونًا صوتيًا سمّاه (قانون الأقوى)، وخلاصته انه: " حين يؤثر صوت في آخر فإن الأضعف بموقعه في النطق، او

---

(١) معاني الزجاج ٣٠١/٥

(٢) معاني الأخفش ٥٧٣/٢

(٣) معاني الفراء ٤٤١/١

(٤) المنصف ٣٢٨/٢ .

(٥) الكتاب ٤٤٨/٤ .

(٦) المقتضب ٣٤٦/١ .

بامتداده النطقي ، هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر "[1]

- غير ان بعض الذين عابوا هذا الإدغام احتجوا له بسبب صوتي يدعمه ويقوّيه ، وهو الميل إلى الخفة في النطق ، ومن هؤلاء : السيرافي : " حيث يقول ومما يحتج به لأبي عمرو وغيره ، ممن ادغم الراء في اللام : أن الراءإذا ادغمت في اللام صارت لامًا ، ولفظ اللام أسهل ، وا خفّ من ان ياتي براء فيها تكرير ، وبعدها لام ، وهي مقاربة للراء ، فيصير كالنطق بثلاثة احرف من مخرج واحد ، فطُلب التخفيف "[2] .

بل إن الفراء - كما نقل طائفة من العلماء عنه - رأى " جواز إدغام الراء في اللام "[3] ، ولا شك ان هذا الراي يعكس جانبًا من اعتزاز الكوفيين بالقراءات القرآنية ، وإن خالفت ما يراه غيرهم : (القياس العام) .

وإذا استثنينا فكرة المحافظة على (تكرير الراء) فإن لإدغام الراء في اللام ما يسوّغه من قُرب المخرج ، واتحاد صفة الجهر[4] ، ولذا فقد أيد بعض المحدثين هذا الإدغام[5] .

- واما فى الأمثلة الأخرى : " بل ران " و " هل ندلكم " و " هل ثوب " و " بل تؤثرون " و" هل تربصون " : فإن اللام تأثرت بما بعدها لاتحاد المخرج فى الأول والثانى تأثرًا كليًا ؛ لأن هذا اسهل فى النطق ، واكثر تحقيقًا

---

(١) دراسة الصوت اللغوي ٣١٩ .

(٢) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٦٤٢/٦ .

(٣) انظر شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٦٤١/٦ ، والحجة في القراءات لابن خالويه ٥٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٤٣/١٠ .

(٤) وانظر تأيد الدكتور صبيح التميمي لهذا الرأي في كتابه : دراساتس لغوية في تراثنا القديم ٤٧ - ٤٩ .

(٥) ومنهم الدكتور إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية ١٩٩ .

للانسجام الصوتى وقد يصنعه المتكلم تلقائيًا بلا تفكير؛ ولذا وردت السكتة اللطيفة عند حفص [1] لمن اراد الإظهار فى " بل ران " لأن الإظهار بدونها صعب على اللسان . ويسهل تفسير ذلك التأثر بالنسبة للأمثلة الأخرى لأن التاء والثاء من الأصوات القريبة المخرج من صوت اللام كما ذكر الأخفش فهما لثويان اسنانيان ، بينما اللام لثوية.

تاثر التاء فى صيغتى (تفعل) و (تفاعل) بفاء الفعل :

وقد جاء من ذلك امثلة لا تكاد تحصى فى كتب المعانى ، ومنها :

ا - **مع الزاى :** (ازّينت) ، واصلها : تزينت ، ذكرها الأخفش [2] والفراء [3] والزجاج [4] وجامع العلوم [5] والكرمانى [6].

(وتـزّاور)، واصلها تتزاور ، ذكرها الفراء [7] والزجاج [8] و الأزهرى [9] والكرمانى [10] والشيخ مخلوف [11].

---

(١) انظر معجم القراءات ١٠/٣٥٣.

(٢) معانى الأخفش ١/٣٧٣

(٣) معانى الفراء ١/٤٣٨

(٤) معانى الزجاج ٣/١٤

(٥) الكشف ١/٥٠٨

(٦) مفاتيح الأغانى ٢٠٤

(٧) معانى الفراء ٢/١٣٦

(٨) معانى الزجاج ٣/٢٧٣

(٩) معانى القراءات ٢/١٠٦

(١٠) مفاتيح الأغانى ٢٥٥

(١١) صفوة البيان لمعانى القرآن ٣٧٧

ب - **مـع السـين** : (تساءلون)، واصلها : تتساءلون ، ذكرها الأخفش [1] والفراء[2] والزجاج[3] والأزهرى[4] وجامع العلوم [5] .

و(تسّاقط)، واصلها : تتساقط ، ذكرها الفراء[6] والزجاج [7] والأزهرى [8] والجامع [9] والكرمانى [10] و النيسابوري [11].

ج - **مـع الـدال** : (فادّاراتم)، واصلها : فتداراتم ، ذكرها الأخفش[12] والزجاج[13] وبيان الحق[14] والشيخ مخلوف [15].

د - (يدّبروا) ، واصلها : يتدبروا ، ذكرها الأخفش [1] والكرمانى [2] و الشيخ مخلوف [3]

---

(١) معانى الأخفش ٢٤٣/١

(٢) معانى الفراء ٢٥٣/١

(٣) معانى الزجاج ٦/٢

(٤) معانى القراءات ٢٨٩/١

(٥) الكشف ٣٦٥/١

(٦) معانى الفراء ١٦٦/٢

(٧) معانى الزجاج ٣٢٥/٣

(٨) معانى القراءات ١٣٣/٢

(٩) الكشف ٧٤/٢

(١٠) مفاتيح الأغانى ٢٦٨

(١١) باهر البرهان ٨٨٤/٢ ، وإيجاز البيان ٥٣٦/٢.

(١٢) معانى الأخفش ١١٤/١

(١٣) معانى الزجاج ١٥٣/١

(١٤) إيجاز البيان ١٠٦/١ ، باهر البرهان ٩٥/١

(١٥) صفوة البيان لمعانى القرآن ٢٠

هـ - (ادّاركوا) ، واصلها تداركوا ، ذكرها الفراء [4] والزجاج [5] والنيسابورى[6].

و - **مع الشين** :(يشّابه) ، واصلها : يتشابه ، ذكرها الأخفش [7] والزجاج[8] .

(تشّقق)، واصلها : تتشقق ، ذكرها الفراء [9].

ز - **مع الظاء** : (تظّاهرون)، واصلها : تتظاهرون ، ذكرها الأخفش[10] والزجاج[11] والأزهرى[12] وجامع العلوم [13] والشيخ مخلوف[14].

ح - **مع الثاء** : (اثّاقلتم) ، واصلها : تثاقلتم ، ذكرها الأخفش[15] والفراء[1] والزجاج [2] والنيسابوري [3] والشيخ مخلوف[4] .

---

(١) معانى الأخفش ١١٤/١

(٢) مفاتيح الأغانى ٢٩٣

(٣) صفوة البيان لمعانى القرآن ٤٤٢

(٤) معانى الفراء ٤٣٨/١

(٥) معانى الزجاج ٣٦٦/٢

(٦) باهر البرهان ٥١٦/١ ، وإيجاز البيان ٣٢٩/١

(٧) معانى الأخفش ١١٢/١.

(٨) معانى الزجاج ١٥٥/١ .

(٩) معانى الفراء ٢٦٧/٢ .

(١٠) معانى الأخفش ١٣٥/١ .

(١١) معانى الزجاج ١٦٦/١ .

(١٢) معانى القراءات ١٦٢/١ .

(١٣) الكشف ٢١٠/١ .

(١٤) صفوة البيان لمعانى القرآن ٢٢ .

(١٥) معانى الأخفش ٣٥٨/١ .

د - مع الطاء : (المطوعين)، واصلها : المتطوعين ، ذكرها الفراء [٥] .

: (يطوّع) ، واصلها : يتطوع ، ذكرها الفراء [٦] والزجاج [٧] والأزهرى [٨] وجامع العلوم [٩] والكرمانى [١٠] .

: (المطهرين) ، واصلها : المتطهرين ، ذكرها الفراء [١١] .

التفسير الصوتى :

وتفسير ذلك صوتيًا ميسور ؛ لأن بعض هذه الحروف - كالدال والطاء والزاى والسين- من مخرج التاء ، وبعضها كالثاء والظاء والشين - قريبة المخرج منها ، فالثاء والظاء أسنانيان ، والشين من الغار.

ولذلك يقول استاذنا الدكتور رمضان عبد التواب [١٢] : فى مضارع صيغتى : تفعّل وتفاعل ، تتأثر التاء - بعد تسكينها للتخفيف - بفاء الفعل إذا كانت صوتا من اصوات الصفير او الأسنان ، ثم قيست على ذلك صيغة :

---

(١) معانى الفراء ١/٤٣٧-٤٣٨ .

(٢) معانى الزجاج ٢/٤٤٧ .

(٣) باهر البرهان ١/٥٩٠ ، وإيجاز البيان ١/٣٧٨ .

(٤) صفوة البيان لمعانى القرآن ٢٥٥ .

(٥) معانى الفراء ١/٤٧٤ .

(٦) معانى الفراء ١/٤٧٤ .

(٧) معانى الزجاج ١/٢٣٥ .

(٨) معانى القراءات ١/١٥٣ .

(٩) الكشف ١/٢٤٧ .

(١٠) مفاتيح الأغانى ١٠٨ .

(١١) معانى الفراء ١/٤٧٤ .

(١٢) التطور اللغوى ٣٨-٣٩

الفعل الماضى ؛ مثل :

يتطهر ← يتْطَهر ← يطّهر ← اطّهر "

اى أن التاء لابد من تسكينها أولا ، ولذلك عدّ هذا التأثر من قبيل حالة الاتصال .

٦) التأثر المدبر الجزئى فى حالة الاتصال :

أ - من أبرز أمثلة ذلك التأثر ، تحول السين إلى صاد ، إذا جاء بعدها حرف من حروف الاستعلاء . وقد ذكر الفراء من ذلك كلمة " بسطة " ، وقال[1] : " .... ومثله : بصطة وبسطة : كتب بعضها بالصاد وبعضها بالسين.... " ، وقد ذكر الأزهرى القراءات فى هذه الكلمة ثم قال [2] : "العرب تجيز السين والصاد فى كل حرف فيه طاء " ومن هذا التأثر أيضًا ما قاله الزجاج [3] : " والرسغ : المفصل بين الكف والساعد ، ويقال : رسغ ورصغ ، والسين أجود " .

التفسير الصوتى :

فى كلمة (بسطة) تأثرت السين المرققة بمجاورة الطاء المطبقة المستعلية تأثرًا مدبرًا فتحولت إلى نظيرها المفخم وهو الصاد . وفى كلمة(رسغ) تأثرت السين المرققة بالغين المستعلية ذات القيمة التفخيمية ، فتحولت إلى الصاد ، وهى نظيرها المفخم.

---

(١) معانى الفراء ٩٣/٣

(٢) معانى القراءات ٢١٢/١

(٣) معانى الزجاج ١٧٤/٢

(ب) **تأثر الصاد بالدال التى بعدها** : وقد ذكر ابو على الفارسي هذا النوع من المماثلة واطلق عليه (المضارعة بالحروف) ، وقال [1] : " وهو الذى يسمى المضارعة بالحروف ، وذلك نحو قولهم فى (مصدر) : مزدر ، وفى (التصدير) : التزدير ، قرب فيه الحرف المهموس من المجهور "

وما ذكره ابو على صحيح تمامًا ، فإن الصاد ، وهو صوت مهموس ، لما قرب من الدال وهو حرف مجهور تأثر به ، وتحول إلى ما يماثله فى الجهر ، وهو الزاى ، فكان التأثر جزئيًا ومدبرًا.

٧) التأثير المدبر الجزئي في حالة انفصال :

❖ جاء من هذا النوع امثلة كثيرة تتعلق بتحول السين إلي صاد تأثرًا بالطاء.

١ - السراط > الصراط ، ذكرها الأخفش [2] والأزهري [3] وجامع العلوم النحوي [4] والكرماني [5] وابو بكر بن إدريس [6].

٢ - فوسطن > فوصطن ، ذكرها الأخفش [7].

٣ - المسيطرون > المصيطرون ، ذكرها الفراء [1] و الزجاج [2] وبيان الحق النيسابوري [3].

---

(١) الإغفال ١٦٧/١

(٢) معاني الأخفش ١٧/٢

(٣) معاني القراءات ١١١/١

(٤) الكشف ١٦٨/١

(٥) مفاتيح الأغاني ٩٧

(٦) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل١ (أ)

(٧) معاني الأخفش ٥٨٣/٢

٤ - بمسيطر > بمصيطر ، ذكرها الفراء[٤] والأزهري [٥].

٥ - سيطر > صيطر ، ذكرها الزجاج [٦].

٦ - سطا > صطا ، ذكرها الزجاج [٧].

٧ - سندوق > صندوق ، ذكرها الكرماني [٨].

❖ وذكر الفراء مثالاً لتحول السين إلى صاد ، تأثراً بالقاف ، إذ يقول في (سلقوكم) : " والعرب تقول : صلقوكم ، ولا يجوز في القراءة .. " [٩].

والتفسير الصوتي :

ذكره بعض هؤلاء العلماء ، ونكتفي هنا بقول الأزهري : " والسين والصاد يتعاقبان في كل حرف فيه غين أو قاف أو طاء أو خاء... " [١٠] وذلك واضح أنه لأجل مجانسة الإطباق ، كما هي عبارة النيسابوري.

ولعلنا نلاحظ أن الفاصل بين السين والصاد : الياء غير المدية (من انصاف الحركات) كما في (المسيطرون – بمسيطر – سيطر).

---

(١) معاني الفراء ٩٣/٣

(٢) معاني الزجاج ٦٦/٥

(٣) باهر البرهان ١٣٨٨/٣

(٤) معاني الفراء ٩٣/٣

(٥) معاني القراءات ١٤١/٣

(٦) معاني الزجاج ٦٦/٥

(٧) معاني الزجاج ٦٦/٥

(٨) مفاتيح الأغاني ٩٧

(٩) معاني الفراء ٣٣٩/٢

(١٠) معاني القراءات ١١١/١

وربما كانت الحركة الطويلة (الألف) هي الفاصل ، كما في (السراط) ، او الحركة القصيرة (الفتحة) في : (فوسطن – سطا) ، وفي مثال واحد كان الفاصل من الصوامت ، وهو اللام ، في حركة الفتح القصيرة في (سلقوكم) ، وفي مثال وحيد ، كان الفاصل اكثر من صوت صامت (سندوق).

وذكر بعض العلماء تأثير السين بالراء التي بعدها ، وتحولها إلي زاي ، ومن هؤلاء الأزهري [1] وجامع العلوم [2] والكرماني [3] وابو بكر بن إدريس [4] حيث تحدثوا جميعًا عن (سراط) وتحوله إلي زراط ، وتحدث الكرماني وحده عن تحول السين إلي زاي في سندوق > زندوق.

والتفسير الصوتي :

ان السين المهموسة تحولت إلي الزاي المجهورة تأثرًا بالراء التي بعدها في المثال الأول ، وبالنون التي بعدها في المثال الثاني.

٨) التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال :

١ ـ تأثر حركة ضم الدال في (الحمدُ) بحركة الكسر التي بعدها :

وقد ذكر هذا النوع من التأثير طائفة من أهل المعاني ، ومنهم الفراء الذي يقول [5] : وأما من خفض الدال من (الحمدِ) ، فإنه قال : هذه

(١) معاني القراءات ١/١١٠-١١١

(٢) الكشف ١/١٦٩

(٣) مفاتيح الأغاني ٩٧

(٤) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل ١(أ)

(٥) معاني الفراء : ١/٣

كلمة كثرت علي السن العرب، حتي صارت كالاسم الواحد؛ فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة.. فكسروا الدال ليكون علي المثال من اسمائهم " .

وقريب من هذا الكلام عند الأخفش [١] والزجاج [٢] ، وإن كان الزجاج رفض هذه القراءة ، وذكر الكرماني من قرأ بها ، وفسرها؛ فقال[٣] : " وقرأ الحسن ورؤبة (الحمدِ لله) بكسر الدال ، اتبعا الكسر " .

ويري الفارسي : أن الذي يكسر الدال من (الحمدِ لِله) إنما يكسر " من أجل ما بعدها من الكسر " [٤] وهو كلام دقيق .

التفسير الصوتي :

تأثرت حركة الضمة في الدال بحركة الكسر التي في (لله) ، تأثراً كليًا ، فتحولت إلي كسرة مثلها ، وإنما جعل هذا التأثر في حالة انفصال؛ لأن اللام تتوسط الحركتين.

٢ ـ تأثر حركة الضم التي في ميم (مُنْتِن) بحركة كسر التاء :

يقول الأخفش عن هذا [٥] : " وقالوا في بعض الكلام ؛ في (المنتن) : مِنتِن ، وإنما هي من (أنتن) فهو (مُنْتِن) ؛ مثل : اكرم ؛ فهو مكرم ؛ فكسروا الميم لكسرة التاء " .

---

(١) معاني الأخفش ٩/١

(٢) معاني الزجاج ٤٥/١

(٣) مفاتيح الأغاني: ٩٤، وانظر القراءة في البحر ١٨/١والمحتسب ٣٧/١ ،والإتحاف١٢٢ .

(٤) الإغفال ١٨٩/١

(٥) معاني الأخفش ٤/١

التفسير الصوتي :

على الرغم من أن حركة ضم الميم ، وحركة كسر التاء بينهما فاصل (صوت النون وصوت التاء) إلا أن الأولى تأثرت بالثانية ، تأثراً مدبرًا كليًا ، فتحولت إلى كسرة مثلها ، وهو ما ذكره الأخفش حين قال : " فكسروا الميم لكسرة التاء " .

٩) التأثير المتبادل:

وهو نوع من أنواع المماثلة الصوتية ، يتم فيه التماثل على مراحل ، وقد ذكر بعض أهل المعاني بعض الأمثلة على ذلك ، ومنها :

(أ) في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ (آل عمران ٣/٤٩) نموذج لهذا التأثير المتبادل يقول عنه الفراء [1] : " وبعض العرب يقول : (تدخرون) فيجعل الدال والذال يعتقبان في تفتعلون من ذخرت..... فأما الذين يقولون : يدُّخر.. فإنهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلتها ذال ، دخلت التاء في الذال ، فصارت ذالاً ، فكرهوا أن تصير التاء ذالاً ، فلا يعرف الافتعال من ذلك ، فنظروا إلى حرف يكون عدلاً بينهما في المقاربة ، فجعلوه مكان التاء ومكان الذال... " وهذا الكلام يعبّر عن المرحلة الأولى من التأثر ، وأما المرحلة الثانية فقد عبر عنها الزجاج بعبارات أكثر وضوحًا ؛ إذ يقول[2] " وإنما قيل : تدّخرون ، وأصله (تذتخرون) ، أي تفتعلون من الذخر ، لأن الدال حرف مجهور... والتاء مهموسة ، فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جهرها ، وهو الدال ، فصار : تذدخرون ، ثم ادغمت الذال في الدال ، وهذا أصل الإدغام ، أن تدغم الأول في الثاني " .

---

(١) معاني الفراء ١/٢١٥-٢١٦

(٢) معاني الزجاج ١/٤١٤

وهذا الكلام يعني أن التماثل حدث على مرحلتين :

الأولى : تأثر مقبل جزئي في حال الاتصال :

حين تؤثر الذال في (ذخر) في تاء الافتعال من هذا الفعل (اذتخر) ، فتقلبها دالاً :(اذدخر) ذخر ← اذتخر ← اذدخر.

الثانية : تأثر مدبر كلي في حال الاتصال :

تؤثر دال (اذدخر) في الذال فتقلبها دالاً :اذدخر ← ادّخر.

(ب) في قوله تعالى : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾ (يوسف ١٢/ ٤٥) يقول الأخفش [١] : " وإنما هي افتعل من ذكرت ، فأصلها : اذتكر ، ولكن اجتمعا في كلمة واحدة ، ومخرجاهما متقاربان ، وأرادوا أن يدغموا ، والأول حرف مجهور ؛ وإنما يدخل الأول في الآخر ، والآخر مهموس ، فكرهوا أن يذهب منه الجهر؛ فجعلوا في موضع التاء حرفًا من موضعها مجهورًا ، وهو الدال ، لأن الحرف الذي قبلها مجهور ولم يجعلوا الطاء ؛ لأن الطاء مع الجهر مطبقة.. "

وعبر الزجاج عن هذا بعبارات وجيزة ؛ فقال : " وادّكر ، أصله : واذتكر ، ولكن التاء أبدل منها الدال ، وادغمت الذال في الدال " [٢]

وعلى هذا تكون المرحلة الأولى : أن تؤثر الذال من ذكر في تاء الافتعال من هذا : (اذتكر) فتقلبها دالاً ذكر ← اذتكر ← اذدكر (تأثير مقبل جزئي في حالة اتصال).

والمرحلة الثانية : أن تؤثر الدال في الذال ، فتقلبها دالاً : اذدكر ادّكر (تأثير مدبر كلي في حال اتصال) .



---

(١) معاني الأخفش ١/٣٩٨

(٢) معاني الزجاج ٣/١١٣

الإدغــــام

مفهوم الإدغام :

الإدغام ظاهرة أصيلة فى العربية ، وقد عدها ابن فارس اللغوي " مما اختصت به العرب " [1] ويقول ابن الجزرى : " الإدغام كلام العرب الذى يجرى على ألسنتها ، ولا يحسنون غيره " [2]

الإدغام لغة :

هو إدخال الشيء في الشيء ؛ ففي المعجم الوسيط : " ... وادغم الشيء في الشيء : ادخله فيه ، يقال : ادغم اللجام في فم الدابة ، وادغم الحرف في الحرف... " [3]

الإدغام اصطلاحًا :

" ان تصل حرفًا ساكنًا بحرف مثله متحرك ، من غير ان تفصل بينهما بحركة او وقف فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد ، ترفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة " [4]

قال ابن الجزري : " الإدغام : هو اللفظ بحرفين حرفًا ، كالثاني مشددًا"[5]

والإدغام يقابله الإظهار ، وهو فصل كل حرف عن مجاوره بدون أن يدغم احدهما في الآخر ، وهو ما يسمي الفك أيضًا .

---

(١) الصاحبي ٢٠.

(٢) النشر ٢٥٧/١.

(٣) المعجم الوسيط (دغم) ٢٨٨/١.

(٤) شرح المفصل ١٢١/١٠.

(٥) النشر ٢٧٤/١

أسبابه :

١ - **التماثل** : وهو اتفاق الحرفين مخرجًا وصفة، كالكافين في نحو ﴿ مَّنَٰسِكَكُمْ ﴾ (البقرة ٢/٢٠٠) و﴿ مَا سَلَكَكُمْ ﴾ (المدثر ٧٤/٤٢) والميمين في نحو ﴿ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ ﴾ (الفاتحة ١/٤).

٢ - **التجانس** : وهو أن يتفق الحرفان مخرجًا ويختلفا صفة ، كالدال في التاء مثل : ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ﴾ (البقرة ٢/٢٥٦) والتاء في الطاء ، مثل ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ ﴾ (آل عمران ٣/٦٩)

٣ - **التقارب** : هو أن يتقارب الحرفان مخرجًا او صفة ، مثل القاف في الكاف في نحو ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ ﴾ (المرسلات ٧٧/٢٠) واللام في الراء في نحو ﴿ قُل رَّبِّ ﴾ (المؤمنون ٢٣/٩٣)

شروطه :

الشرط في المدغم : ان يلتقي الحرفان خطًا ولفظًا ، أو خطًا لا لفظًا ، فيدخل نحو : (إنه هو) فإن مَدّ هاء (إن) مد صلة لا يمنع الإدغام ، ويخرج نحو ﴿ أَنَا۠ نَذِيرٌ ﴾ (العنكبوت ٢٩/٥٠) فلا تدغم النونان ؛ لوجود فاصل بينهما خطًا وهو الألف.

والشرط في المدغم فيه كونه أكثر من حرف ، فلو كان المدغم فيه حرفًا واحدًا لم يصح الإدغام ، نحو ﴿ خَلَقَكَ ﴾ (الكهف ١٨/٣٧) ، و﴿ نَرْزُقُكَ ﴾ (طه ٢٠/١٣٢)، بينما يصح في مثل : ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ (البقرة ٢/٢١) لأن الكاف بعدها حرف ، وهو الميم [1].

---

(١) انظر النشر ١/٢٧٨ والإتحاف ١/١١١.

أنواعه عند القراء :

أكثر القراء يقسم الإدغام على ثلاثة أقسام[1] :

الأول : الإدغام الكبير ، وهو أن يتحرك الحرفان معًا ، سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين ، وقد ورد عن بعض القراء ، مثل ابن محيصن والأعمش ، ولكن المختص به من الأئمة العشرة ، هو أبو عمرو بن العلاء ، ومثاله في المثلين : ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾ (البقرة ٢/٢) ، ومثاله في المتجانسين ﴿ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ (الرعد ١٣/٢٩) ومثاله في المتقاربين : ﴿ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ (المؤمنون ٢٣/١١٢).

الثاني : الإدغام الصغير ، وهو أن يكون الحرف الأول ساكنًا ، والثاني متحركًا ، ومثاله في المتماثلين : ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ﴾ (البقرة ٢/٦٠) ومثاله في المتجانسين: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ﴾ (البقرة: ٢/٢٥٦)، وفي المتقاربين: ﴿ وَإِذْ زَّيَّنَ ﴾(الأنفال ٨/٤٨) .

الثالث : المطلق : وهو أن يتحرك الأول من الحرفين ، ويسكن الثاني ، كالتاء في ﴿ تَتْلُواْ ﴾ (يونس ١٠/٦١)، والهمزة مع الحاء في نحو ﴿ أَحْمِلُكُمْ ﴾ (التوبة ٩/٩٢)، والياء مع الضاد في نحو ﴿ يُضْلِلِ ﴾ (النساء ٤/٨٨)، وهو قليل ، وقد درج نفرٌ من العلماء على إدخاله في الكبير فيصير الإدغام - عندهم - قسمين كبير وصغير.

---

(١) انظر الإدغام الكبير لأبي عمرو(تحقيق د.عبد الكريم حسين) ٢١ – ٣٩ ، وتحفة العصر في التجويد ١١٣.

فائدته :

فعلت العرب ذلك طلبًا للخفة ، إذ النطق بحرف واحد فيه خفة وسهولة عن النطق بحرفين ، ولذا قال ابن جني : " والمعنى لهذا كله تقريب الصوت من الصوت " [1].

صور الإدغام عند اللغويين :

لا يعدو تأثر احد الصوتين المتجاورين بالآخر ان يكون علي إحدى الصورتين الآتيتين :

١ - ان يتأثر الصوت الثاني بالصوت الأول ، وذلك هو التأثر التقدمي.

٢ - ان يتأثر الصوت الأول بالثاني ، وذلك هو التأثر الرجعي[2] .

وبناء علي ذلك ، فإن الدكتور عبد الصبور شاهين يرى ان الإدغام يتم على صورتين :

١ - الإدغام الرجعي : وذلك حين يفنى الصوت الأول في الثاني . وهذا هو القياس في الإدغام ، وهو اهم اشكاله جميعًا ، مثل : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٧/٩٧).

٢ - الإدغام التقدمي : وذلك حين يفنى الصوت الثاني في الأول ، قياسًا في صيغة افتعل ، حين تكون الفاء فيها صوتًا مجهورًا . كما في (اذكر وادّعى) وشذوذاً في مثل (جلدّه) في (جلدته) [3].

---

(١) الخصائص ٢/١٤٢

(٢) انظر اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ٧٠

(٣) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣٧

كيف يحدث الإدغام ؟

أولاً : الإدغام في المتماثلين :

١ - إذا كان أولهما ساكنًا وجب إدغامه في الثاني ، لاجتماعهما بلا فاصل ، نحو : ﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي ﴾.

٢ - إذا كان أولهما متحركًا ، فينبغي تسكينه أولاً بحذف حركته حتى لا تكون فاصلاً يمنع الإدغام ، ثم يدغم في الثاني . نحو : ﴿ ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ ﴾ (الحج: ٢٢/٢)

ثانيًا : الإدغام في المتجانسين والمتقاربين :

١ -إذا كان الأول منهما ساكنًا وجب قلبه أولاً إلى مثله الثانى . ثم إدغامه فيه وذلك لأن الإدغام لا يحدث إلا بين مثلين - بالفعل أو بالقلب - نحو : ﴿ قَالَت طَّآئِفَةٌ ﴾ (الأحزاب: ٣٣/١٣) فالتاء والطاء متجانسان ، فيجب قلب التاء طاء ، ثم تدغم بعد ذلك في الطاء الثانية ، وكذلك في المتقاربين نحو: ﴿ بَلۡ رَانَ ﴾ (المطففين: ٨٣/١٤) فهنا أيضاً يجب القلب ثم الإدغام.

٢ - إذ كان أولهما متحركًا ، فإن اللغويين يطلقون عليه : الإدغام الكبير ، لأن فيه عدة عمليات صوتية ، تبدأ أولاً بتسكين المتحرك الأول ، ثم قلبه بعد التسكين إلى مثل الثاني ثم يدغم الأول في الثانى ، فلابد إذن من هذه الخطوات الثلاث ، نحو : ﴿ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ ﴾ (الفتح: ٤٨/٢٩) إذ ينبغي تسكين الجيم أولاً ، ثم قلبها شينًا ثانيًا ، ثم إدغامها في الشين الثانية ثالثًا[1].

---

(١) انظر : أصوات اللغة العربية للدكتور محمد حسن جبل ٣٣٣.

الإدغام والقبائل العربية :

ينسب الإدغام إلى القبائل البدوية ، وبخاصة تميم ، ولعل سيبويه أول من أشار إلى ذلك في كتابه إذ يقول " ..... ومما قالت العرب تصديقاً لهذا في الإدغام قول بني تميم : محّم ، يريدون : معهم ، ومحّاؤلاء ، يريدون : مع هؤلاء " [1].

كما نسب سيبويه الإظهار أو الفك لأهل الحجاز إذ يقول : " وإن لم تدغم قلت : هل رأيت ، فهي لغة لأهل الحجاز ، وهي عربية جائزة " [2].

ولكن لماذا عرف الإدغام في قبيلة تميم وما جاورها من القبائل التي تميل للبداوة؟ لا يجد المرء أدنى صعوبة في تفسير ذلك ، إذ من البدهي أن القبائل البدوية تميل إلى السرعة في النطق ، ولا تعطي كل حرف حقه بإخراجه من مخرجه ، فكان الإدغام ناشئًا عن السرعة في الكلام ، على حين نجد التأني في النطق والتؤدة في الكلام من سمات البيئات الحضرية ، فلا مجال للإدغام الذي ينشأ عن السرعة.

ولكن يجدر بنا أن نستدرك هنا فنقول إن القرآن الكريم قد نزل بالفك والإدغام ؛ فلم يعد هناك مجال للحديث عن هاتين الظاهرتين باعتبارهما من صفات اللهجات إلا من قبيل الدراسة التاريخية ، كما أشار الدكتور أنيس بقوله عن ظاهرة الإدغام : " فهي في أصلها من الظواهر التي كانت تفرّق بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها وبين البيئة الحجازية ، لكنها صارت فيما بعد صفة من صفات اللغة الأدبية المشتركة بين جميع القبائل " [3] ومعلوم أن تلك اللغة المشتركة هي التي نزل بها القرآن فيما بعد.

---

(١) الكتاب ٤/٤٥٠.

(٢) الكتاب ٤/٤٥٧.

(٣) في اللهجات العربية ٧٤.

الإدغام عند أصحاب المعانى :

يُعد اهتمام اصحاب معانى القرآن بالإدغام فى كتبهم امرا بدهيا ، وإن اختلفوا - بطبيعة الحال - فى طريقة تناولهم للظاهرة ما بين مجمل ومفصل ، ومكثر ومقل ، وسوف اقوم بتناول ذلك فيما يلى :

أولا : الإدغام الكبير :

١ - إدغام الباء فى الباء :

وهما مثلان ، وقد جاء ذلك فى تفسير الأخفش لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ (البقرة ٢/٢٠) حيث قال : " فمنهم من يدغم ويسكن الباء الأولى[1] ؛ لأنهما حرفان مثلان ، ومنهم من يحرك فيقول : (لذهب بسمعهم) " [2]

وقد ذهب الأخفش هنا إلى ان المماثلة سبب الإدغام .

٢ - إدغام التاء:

ويشمل الصور التالية :

---

(١) وهى قراءة أبي عمرو بن العلاء كما فى الإدغام الكبير له(تحقيق د. عبد الكريم حسين) ٤٥ والسبعة ١١٦ ، وقد وافقه رويس والسوس ويعقوب وابن محيصن واليزيدى والحسن والمطوعى ، كما فى الإتحاف ١٣١ ومعجم القراءات ١/٦٠ .

(٢) معانى القرآن للأخفش ١/٥٦ ، وقد نقل الدكتور عيسى شحاتة هذا النص عن الأخفش فى كتابه : (العربية والنص القرآنى) ص١١٦ ، ونقل بعده قول الأخفش " جعل السمع فى لفظ واحد وهو جماعة ، لأن السمع قد يكون جماعة وقد يكون واحدا " ثم علق عليه قائلا : " ويلاحظ أن الأخفش علل لهذا الإدغام وربطه بالدلالة " . والحقيقة أن هذا وهم منه ، فإن الدلالة هنا لم تتغير بالإدغام ، ولم يرد الأخفش شيئا من هذا كما هو ظاهر!

أ - إدغام التاء في التاء :

يقول الأخفش[1] عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا ﴾ (النساء ٣٢/٤): " إن شئت ادغمت (التاء) الأولى فى الآخرة[2] . فإن قيل : (كيف يجوز إدغامها وأنت إذا ادغمتها سكنت وقبلها الألف الساكنة التى فى لا ؛ فتجمع ما بين ساكنين؟) قلت : إن هذه الألف حرف لين ، وقد يدغم بعد مثلها فى الاتصال وفى غيره .

نحو : يضربانى ، و ﴿ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (المجادلة ٩/٥٨) [3]..."

اى إن الأخفش يرى ان الذى سوغ الإدغام هنا ان ما قبل التاء حرف مد ، وهذا يعنى - بمفهوم المخالفة - ان الحرف المدغم لو سبق بغير مد لما جاز إدغامه ، لأن إدغامه يستلزم تسكينه اولا ، فيجتمع عندئذ ساكنان. وهذا ممتنع.

وقد فصل الزجاج فى الآية الأخيرة فقال[4] : " ... وفى (تتناجوا) ثلاثة أوجه؛ فلا تتناجوا بتاءين ظاهرتين ، وبتاء واحدة مدغمة مشددة : (فلا تّناجوا) ، وإنما ادغمت التاءان لأنهما حرفان من مخرج واحد متحركان وقبلهما ألف ، والألف قد يكون بعدها الدغم نحو دابّة ورادّ ، ويجوز الإظهار لأن التاء بين فى أول الكلمة ، وان (لا) كلمة على حالها ، و(تتناجوا) كلمة

---

(١) معانى القرآن ٢٥٤/١.

(٢) ولم أجد أحدا- فيما بين يدى من المصادر- قرأ بالإدغام فى هذه الآية.

(٣) قرأ ابن محيصن : (فلا تناجو) بإدغام التاء فى التاء ، ولكن يبدو أنه رجع عن ذلك فاظهر ، انظر معجم القراءات ٣٧١/٩.

(٤) معانى القرآن وإعرابه ٣٧١/٥.

اخرى.... ويجوز حذف التاء لاجتماع التاءين..... ولا اعلم احدا قرا(ولا تناجوا) بتاء واحدة ،[1] ولكن تقرا (فلا تتناجوا) [2] اى لا تفتعلوا من النجوى "

ب -إدغام التاء فى الثاء:

يقول الأخفش فىتفسيره لقوله تعالى : (اثاقلتم) : " لأنه من(تثاقلتم) ، فادغم التاء فى الثاء ، فسكنت ، فأخذت لها الفا ليصل إلى الكلام بها " [3] ويكاد يكون هذا الكلام هو نص كلام الزجاج فى هذا الموضع من كتابه ايضا[4] اما الفراء فقد فصل قليلا فقال : " معناه والله اعلم : (تثاقلتم) فإذا وصلتها العرب بكلام ادغموا التاء فى الثاء ، لأنها مناسبة لها ، ويحدثون الفا لم يكن؛ ليبنوا الحرف على الإدغام فى الابتداء والوصل ، وكأن إحداثهم الألف ليقع بها الابتداء ، ولو حذفت لأظهروا التاء لأنها مبتداة ، والمبتدا لا يكون إلا متحركا... " [5] والعلاقة الصوتية بين التاء والثاء هى التى سوغت ذلك الإدغام ، فهما متقاربان من حيث المخرج ، فمخرج التاء بين طرف اللسان واصول الثنايا ، ومخرج الثاء مما بين طرف اللسان واطراف الثنايا .

ج -إدغام التاء فى الدال:

كما جاء فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ (البقرة: ٧٢/٢) يقول الأخفش: " وإنما هى : (فتدراتم) ولكن التاء تدغم فى (الدال)؛

---

(١) بل قرأ ابن محيصن كذلك ، انظر الإتحاف ٤١٢ ، ومعجم القراءات ٣٧١/٩.

(٢) وهى قرأة الكسائى وحمزة والأعمش وآخرين كما فى النشر ٢/ ٣٨٥ والإتحاف ٤١٢.

(٣) معانى الأخفش ٣٥٨/١.

(٤) انظر معانى الزجاج ٤٤٧/٢.

(٥) معانى الفراء١/ ٤٣٧-٤٣٨.

لأن مخرجها من مخرجها؛ فلما ادغمت فيها حولت؛ فجعلت دالا مثلها ، وسكنت فجعلوا الفا قبلها حتى يصلوا إلى الكلام بها... ومثلها.. ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ (المؤمنون ٢٣/ ٦٨) ومثله فى القرآن كثير ، وإنما هو : (يتدبرون) فادغمت التاء فى الدال؛ لأن التاء قريبة المخرج من الدال ، مخرج الدال بطرف اللسان واطراف الثنيتين ، ومخرج (التاء) بطرف اللسان واصول الثنيتين. فكل ما قرب مخرجه فافعل به هذا ، ولا تقل فى(يتنزلون) : ينزلون؛ لأن النون ليست من حروف الثنايا كالتاء " [1] . واما الفراء فقد تحدث عن إدغام التاء فى الدال ايضا ، ولكن فى آية اخرى [2] ، فقال : " كذلك قوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ (الأعراف ٧/ ٣٨)[3] ...... والعرب تقول : (حتي إذا اداركوا) تجمع بين ساكنين : بين التاء من تداركوا وبين الألف من إذا ، وبذلك كان يأخذ ابو عمرو بن العلاء[4] ، ويرد الوجه الأول[5] ، وانشدني الكسائي : [البسيط]

---

(١) معاني الأخفش ١/١١٤.

(٢) معاني الفراء ١/٤٣٨.

(٣) هي قراءة الجماعة ، بهمزة وصل ، ثم دال مشددة مفتوحة ، بعدها ألف ، وقرأ أبو عمرو وابن أبي بزة : (إداركوا) بقطع ألف الوصل ، فكأنه سكت علي إذا للتذكر ، فلما طال سكوته قطع ألف الوصل المبتدئ بها، كما في القرطبي ٧/٢٠٤ ، وانظر البحر المحيط ٤/٢٩٦ والمحتسب ١/٢٤٧ ومعجم القراءات ٣/٣٩-٤١.

(٤) وهي رواية عصمة الفقيمي عنه كما في البحر ٤/٢٩٦ والقرطبي ٧/٢٠٥ ، وانظر معاني الفراء ١/٤٣٨ (هامش) ، ولم أجد هذه القراءة في الإدغام الكبير لأبي عمرو.

(٥) تعددت الروايات عن أبي عمرو في هذا الموضع ، انظر معجم القراءات في الموضع السابق ذكره.

ثُولي الضَّجيعَ إذا ما استافها خَصِرا   عَذْبَ المذاق إذا ما اتَابع القُبَلُ " [1]

ويقول الزجاج في الآية نفسها : " اي تداركوا " وادغمت التاء في الدال ، فإذا وقفت علي قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ﴾ (آل عمران ٣/١٥٢) لم تبتدئ حتى تأتي بألف الوصل؛ فتقول : (إداركوا) فتأتي بألف الوصل لسكون الدال فيها " [2]

وظاهر ان مسوغ الإدغام هنا انهما حرفان متجانسان ، فمخرجهما واحد ، مما بين طرف اللسان واصول الثنايا ، ولكنهما يختلفان من حيث الهمس والجهر ، فالتاء مهموسة والدال مجهورة.

د - إدغام التاء في الذال:

وقد جاء هذا في معاني الأخفش حيث يقول : " وقال: (وجاء المعْذِرون) [3] خفيفة ، لأنها من (اعذروا) وقال بعضهم : (المعذّرون)[4] ثقيلة ، يريد المعتذرون ، ولكن ادغم التاء في الذال " [5] .

وقد جاء نص الفراء[6] في هذا الموضع قريباً من هذا ، ولكنه اضاف امثلة اخري ، وهي (يذكرون) ، و(يذكر).

---

(١) البيت غير منسوب في تفسير الطبري ٩٤/١٠ ،ولسان العرب (سيف) ٢١٧١/٣ – ٢١٧٢ ، والمحرر الوجيز ١٨٣/٨.

(٢) معاني الزجاج ٣٣٦/٢.

(٣) هي قراءة ابن عباس وبها قرأ الكسائي ويعقوب وعاصم في رواية أبي بكر ، وآخرون كما في معجم القراءات ٤٣٦/٣.

(٤) وهي قراءة الجمهور كما في الإتحاف ٢٤٤ ومعجم القراءات ٤٣٥/٣.

(٥) معاني الأخفش ٣٦٢/١-٣٦٣.

(٦) معاني الفراء ٤٤٧/١.

وكذلك فعل الزجاج إلا أنه ذكر سبب الإدغام فقال : " إلا أن التاء ادغمت في الذال لقرب مخرجهما " [١] .

ثم أفاض في شرح المعني والقراءات الواردة في الكلمة ، وهو ما فعله تلميذه النحاس في معانيه أيضاً ، إلا أنه أضاف قاعدة مهمة إذ يقول : " ولا يجوز أن يكون بمعنى المعتذر؛ لأنه إذا وقع الإشكال ، لم يجز الإدغام " [٢] .

وقد جاء عند جامع العلوم النحوي في كتابه الكشف : جواز الإدغام والإظهار بين التاء والذال ، فقال : " وإدغام الذال في التاء حسن فيها : لأن الذال قريبة المخرج من التاء ، وإظهارها أيضاً حسن ، لأن الذال مجهورة ، والتاء مهموسة ، قالوا : فلا يدغمها فيها؛ لأن المجهورة أقوي من المهموسة ، والأقوي لا يدغم في الأضعف " [٣]

والحرفان متقاربان ، وهو ما سوغ الإدغام ، فمخرج التاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ، ومخرج الذال مما بين طرف اللسان ، وأطراف الثنايا .

هـ - إدغام التاء فى الزاى:

قال الأخفش فى قوله تعالى : ﴿ وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ (يونس ١٠/٢٤) : " يريد : وتزينت ، ولكن ادغم (التاء) فى (الزاى) لقرب المخرجين ، فلما سكن أولها زيد فيها الف وصل... " [٤]

وأشار الفراء إلى ذلك عرضا فقال : " وقوله : (وازّينت) المعنى - والله أعلم -تزينت " [٥]

---

(١) معاني الزجاج ٢/٤٦٤.

(٢) معاني النحاس ٣/٢٤٣.

(٣) الكشف في نكت المعاني والإعراب ١/١٩٣.

(٤) معانى الأخفش ١/٣٧٢.

(٥) معانى الفراء ١/٤٣٨

ونص الزجاج هنا قريب من نص الأخفش ، غير انه اضاف قراءات أخر.[1]

وقد تحدث الفراء عن إدغام التاء فى الزاى مرة اخرى فى حديثه عن قوله تعالى: ﴿ تَزَاوَرُ ﴾ (الكهف ١٨/ ١٧) " حيث قال : " وقرئت (تـزَّاور)[2] وتريد (تتزاور) فتدغم التاء عند كذلك قال الزجاج بعد ان عدد أوجه الكلمة : " ... ووجه رابع : (تزاور) ، والأصل تتزاور ، فأدغمت التاء فى الزاى " .[3]

و - إدغام التاء فى السين:

تحدث الأخفش عن ذلك في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ ﴾ (النساء٤/١) فقال: " خفيفة ، لأنها من تساؤلهم.. و إن شئت ثقلت فادغمت"[4]

وذكر الفراء أنها قراءة ، فقال : " وقرا بعضهم (تسّاءلون به) [5] يريد : تتساءلون به ، فأدغم التاء عند السين " [6] . وأشار الفراء إلى هذا الإدغام في موضع آخر من كتابه[7] .

وذكر الزجاج سبب إدغام التاء فى السين فقال : " وادغمت التاء فى السين لقرب مكان هذه من هذه " [8] وقد ذكر النيسابورى هذا الإدغام فى

---

(١) معاني الزجاج ١٤/٣.

(٢) هى قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع وأبي جعفر، كما في النشر ٣١٠/٢ والإتحاف ٢٨٨.

(٣) معاني الزجاج ٢٧٣/٣

(٤) معانى الأخفش ٢٤٣/١.

(٥) هى قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو مع خلاف عنه- ويعقوب وأبي جعفر ، كما في النشر ٢٤٧/٢ ، والإتحاف ١٨٥.

(٦) معانى الفراء ٢٥٣/١.

(٧) انظر معانى الفراء ١٦٦/٢.

(٨) معانى الزجاج ٦/٢.

كتابيه أيضاً ؛ ففي باهر البرهان : " (تساقط)[1] أي : تتساقط ، فأدغمت التاء في السين؛ لأنهما مهموستان " [2] وفي إيجاز البيان " تتساقط ، ادغمت التاء في السين " [3]

ز - إدغام التاء في الشين :

وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ (البقرة ٢/٧٠) ، حيث يقول الأخفش[4] : " .... وإن شئت قلت (يشّابه) ، وهي قراءة مجاهد[5] ؛ ذكّر البقر ، يريد : يتشابه؛ ثم ادغم التاء في الشين... " ، وقد ذكر الزجاج قراءة أخرى[6] ، أما الفراء فقد تحدث عن إدغام التاء في الشين ولكن في موضوع آخر وهو قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ (الفرقان٢٥/٢٥) حيث قال: " ويقرا (تشّقق) بالتشديد[7] ، وقراها الأعمش وعاصم[8] (تشَقق)

---

(١) قرأ بها أكثر القراء العشرة كما في النشر ٢/٣١٨ والمبسوط لابن مهران ٢٨٨ .

(٢) باهر البرهان ٢/٨٨٤.

(٣) إيجاز البيان ٢/٥٣٦.

(٤) معاني الأخفش ١/١١٢.

(٥) نسبت هذه القراءة لابن مسعود وذي الشامة ويحيى ابن يعمر والمطوعي ، ولم تنسب لمجاهد ، أما مانسب لمجاهد فهو قراءة (تشبه) كما في معجم القراءات ١/١٢٤.

(٦) انظر معانيه ١/١٥٥ ، والقراءة هي (تشابه) بالتاء ، وتشديد الشين ، وهي قراءة عباس عن أبي عمرو ، انظر البحر المحيط ١/٢٥٤ ، ومختصر ابن خالويه ٧ ، ومعجم القراءات ١/١٢٣ .

(٧) قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب كما في النشر ٢/٣٣٤ ، والإتحاف ٣٢٨.

(٨) هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش والحسن وأبي عمرو في المشهور عنهما ، وآخرين كما في البحر ٦/٤٩٤ ، والإتحاف ٣٢٨ ومعجم القراءات ٦/٣٤٠.

بتخفيف الشين ، فمن قرا (تشّقق) اراد تتشقق بتشديد الشين والقاف فادغم... " [1]

ومسوغ إدغام التاء فى الشين ان بينهما تقارباً فى المخرج ، فمخرج التاء - كما مر - مما بين طرف اللسان واصول الثنايا ، ومخرج الشين مما بين وسط اللسان وما يقابله من وسط الحنك الأعلي.

ح - إدغام التاء فى الصاد :

وقد جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾ (الأعراف ٢٢/٧) عند من قراها (يخِصِّفان)، إذ يقول الأخفش : " جعلها من : (يختصفان) فادغم التاء فى الصاد ؛ فسكنت وبقيت الخاء ساكنة؛ فحركت الخاء بالكسر لاجتماع الساكنين... " [2] وقد اشار الفراء[3] والزجاج[4] لهذا، وإن لم يصرحا بلفظ الإدغام ، وإن كانا قد صرحا به فى مواضع اخر منها قول الفراء[5]: " وكان ابن مسعود يدغم ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴾ (الصافات ١٤/٣٧) وكذلك (والتاليات) و(الزاجرات) يدغم التاء منهن[6] .... " وقد جاء عند الزجاج فى معانيه كلام قريب من هذا ايضاً.[7]

---

(١) معانى الفراء ٢٦٧/٢.

(٢) الأخفش ٣٢٣/١.

(٣) معانى الفراء – عند حديثه عن (يخصمون) –١٨/١ ، و ٣٧٩/٢.

(٤) معاني الزجاج ٣٢٧/٢.

(٥) معانى الفراء ٣٨٢/٢.

(٦) هذه قراءة أبي عمرو – بخلاف عنه– وحمزة ويعقوب والأعمش ومسروق ، أنظر النشر ٢٨٨/١ و ٣١٠ والإتحاف ٤٠ ، والسبعة ٥٤٦.

(٧) معاني الزجاج ٢٩٧/٤.

والحرفان متقاربان فى المخرج ، فمخرج التاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ، ومخرج الصاد مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا .

ط - إدغام التاء فى الطاء :

جاء فى معانى الأخفش[1] عند قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ (البقرة ٢/٢٠) ... وقال بعضهم : (يَخِطّف) ، وهو قول يونس[2] ، من (يختطف) ؛ فادغم التاء فى الطاء ؛ لأن مخرجها قريب من مخرج الطاء " .

وقد أشار الفراء[3] والزجاج[4] إلى هذا الإدغام أيضاً ، وذكر الفراء إدغام التاء فى الطاء مرة أخرى عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ ﴾ (التوبة٩/٧٩) حيث قال[5] يراد به : (المتطوعين) ؛ فادغم التاء فى الطاء ، فصارت طاء مشددة ، وكذلك (ومن يطوع خيراً)[6] ،

(١) معانى الأخفش ١/٥٥.

(٢) هى قراءة يونس والحسن وقتادة ، وعاصم فى رواية أبى بكر ، انظر البحر ١/٩٠ ومعجم القراءات ١/٥٧.

(٣) انظر معاني الفراء ١/١٨.

(٤) انظر معاني الزجاج ١/٩٥.

(٥) معانى الفراء ١/٤٧٤.

(٦) يريد قوله تعالى فى سورة البقرة ٢/١٥٨ : (ومن تطوع خيراً) ، والقراءة التى ذكرها لحمزة والكسائى وعاصم وخلف ويعقوب وغيرهم ، انظر النشر ٢/٢٢٣ ، والإتحاف ١٥٠.

و(والمطهرين)[1]"

كما تحدث الزجاج عن ذلك ايضاً عن قوله تعالى ﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ (النساء: ٤/٨١) حيث قال : " وقرأ القراء : (بيت طائفة)[2] على إسكان التاء وإدغامها فى الطاء... وإنما جاز الإدغام لأن التاء والطاء من مخرج واحد"[3] .

ى – إدغام التاء فى الظاء:

وقد جاء ذلك فى قوله تعالى ﴿ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (البقرة: ٢/٨٥) ، يقول الأخفش : " وقال : (تظّاهرون عليهم بالإثم والعدوان)[4] فجعلها من (تتظاهرون) ، وادغم التاء فى الظاء ، وبها نقرأ " [5] وقال الزجاج : " قرئت بالتخفيف[6] والتشديد..... فمن قرأ بالتشديد فالأصل فيه تتظاهرون ، فأدغم التاء فى الظاء لقرب المخرجين... " [7] .

---

(١) من قوله تعالى فى سورة التوبة ٩/١٠٨ " (.... والله يحب المطهرين) وهى قراءة الجماعة ، ولكن جاء فى البحر ٥/١٠٠ أن عليا رضى الله عنه قرأ : (المتطهرين) وهـذا يؤيـد الإدغام فى (المطهرين).

(٢) قرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء فى الطاء ، انظر السبعة ٢٣٥، ومعجم القراءات ١١٧/٢ .

(٣) معاني الزجاج ٨٢/٢

(٤) القراءة بتشديد الظاء قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ، انظر : النشر ٢١٨/٢ ، والإتحاف ١٤٠ ، والسبعة ١٦٣.

(٥) معانى الأخفش ١٣٥/١.

(٦) أى : (تظاهرون) ، وهى قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش كما فى البحر ٢٩١/١ ومعجم القراءات ١٤٢/١.

(٧) معاني الزجاج ١٦٦/١.

٣ - إدغام الراء في الراء:

اشار الفراء إلى ذلك بقوله : وقوله : ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا ﴾ (البقرة: ٢/٢٣٣) يريد : لا تضارر [١] اما الزجاج فقد تحدث كثيراً عن هذا في معانيه حيث يقول في احد المواضع[٢] : " ومن قرا : (لا تضارّ والدة)[٣] بفتح الراء ، فالموضع موضع جزم على النهي ، الأصل : لا تضارر، فادغمت الراء الأولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين... " ويبدو كلام الزجاج وكأنه تفصيل لما أجمل الفراء.

وقد جاء عند الزجاج ايضاً : " ومعنى : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ (البقرة: ٢/٢٨٢) قالوا فيه قولين : قال بعضهم : (لا يضار) : لا يضارر[٤] ، فادغمت الراء في الراء ، وفتحت لالتقاء الساكنين... "[٥] .

ومن الأمثلة التي ذكرها الزجاج أيضاً لهذا الإدغام الكبير للراء مع الراء قوله[٦] : " ....و﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ (آل عمران: ٣/١٢٠)الأجود فيه الضم

---

(١) معاني الفراء ١/١٤٩ وهي قراءة ابن مسعود وعمر بن الخطاب وغيرهم كما في البحر ٢/٢١٥ ، والإتحاف ١٥٨..

(٢) معاني الزجاج ١/٣١٣.

(٣) هي قراءة نافع وعاصم- في رواية حفص- وحمزة والكسائي وابن عامر ، كما في السبعة ١٨٣ وحجة القراءات لابن زنجلة ١٣٦.

(٤) وهي قرارة عكرمة ، كما في البحر ٢/٣٥٤ ، ومعجم القراءات ١/٤٢٣.

(٥) معاني الزجاج ١/٣٦٦ .

(٦) معاني الزجاج ١/٤٦٤.

لالتقاء الساكنين[1] ، الأصل : لا يضرركم ، ولكن كثيرا من القراء والعرب يدغم فى موضوع الجزم ، وأهل المجاز يظهرون التضعيف[2] وهذه الآية جاءت فيها اللغتان جميعاً " .

٤ ـ إدغام القاف فى القاف:

وقد تحدث الزجاج عنه فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الأنفال ٨/ ١٣) فقال[3] : " يشق ، ويشاق جميعاً ، إلا انها هنا يشاقق ، بإظهار التضعيف مع الجزم ، وهى لغة أهل الحجاز ، وغيرهم يدغم ، فإذا ادغمت قلت : من يشاق زيداً اهنه ، بفتح القاف؛ لأن القافين ساكنتان ، فحركت الثانية بالفتح لالتقاء الساكنين ، ولأن قبلها ألفاً ، وإن شئت كسرت فقلت : يشاق زيداً ، كسرت القاف لأن أصل التقاء الساكنين الكسر ، فإذا استقبلتها الف ولام اخترت الكسر ، فقلت : ﴿ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ ﴾ (الحشر ٥٩/٤)، ولا اعلم أحداً قرا بها " [4]

---

(١) وهى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وأبي جعفر وخلف ، كما فى النشر ٢٤٢/٢ ، والإتحاف ١٧٨ ، ومعجم القراءات ٥٦٤/١.

(٢) وقد قرأ أبي بن كعب – رضى الله عنه – بفك الإدغام على لغة الحجازية : (لا يضرركم) ، كما فى البحر ٤٣/٣ ، ومعجم القراءات ٥٦٥/١؟

(٣) معانى الزجاج ٤٠٥/٢.

(٤) كما فى معجم القراءات ٢٧٢/٣. ولا أدرى لم أتي بلفظة (يشاقق) فى هذا الموضع من معجمه مع أنه ليس فيها قراءة أخرى ، كما قال هو: " أجمع القراء على الفك (يشاقق)".؟!

قال أبو حيان : " أجمعوا على الفك فى (يشاقق) اتباعاً لخط المصحف ، وهى لغة أهل الحجاز ، والإدغام لغة تميم ، كما جاء فى الآية الأخرى : (ومن يشق الله) "

٥ ـ إدغام اللام فى اللام:

وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ (البقرة: ٢٢/٢) حيث يقول الزجاج[١] : " ويجوز فى قوله : (جعل لكم الأرض) وجهان : الإدغام والإظهار ، تقول : (جعل لكم وجعل لكم الأرض) [٢] ، فمن أدغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات ، ومن أظهر - وهو الوجه وعليه أكثر القراء - فلأنهما منفصلان من كلمتين " .

٦ ـ إدغام الميم في الميم:

وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾ (النساء ٥٨/٤)، يقول الزجاج[٣] : "هذه على أوجه : (نِعِمّا) بكسر النون والعين وإدغام الميم فى الميم ، وإن شئت فتحت النون ، وإن شئت أسكنت العين فقلت (نَعْما) إلا ان الأحسن عندي الإدغام مع كسر العين ، فأما من قرأ (نعْمْ ما) بإسكان العين والميم ، فهو شئ ينكره البصريون ، ويزعمون أن اجتماع الساكنين – اعني العين والميم –غير جائز ، والذى قالوا بيِّن ، وذلك انه غير ممكن فى اللفظ ، إنما يحتال فيه بمشقة فى اللفظ " .

---

(١) معانى الزجاج ٩٩/١.

(٢) القراءة بإدغام اللام فى اللام قراء أبى عمرو وكما فى الإدغام الكبير لـه ٤٥ وقراءة يعقوب أيضاً كما فى البحر ٩٧/١ و معجم القراءات ٦٣/١.

(٣) معانى الزجاج ٦٧/١.

ولم يكتف الزجاج بتعليقه هذا على قراءة (نعْمْ ما) بإسكان العين والميم ، بل قال في موضع آخر : [1]

" وذكر ابو عبيد[2] انه روى عن النبى ﷺ قوله لابن العاصى : (نعما بالمال الصالح للرجل الصالح).[3] وليست هذه القراءة عند البصريين النحويين جائزة البتة ؛[4] لأن فيها الجمع بين ساكنين من غير حرف مد أو لين... "

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١٩٧/٤ ، ٢٠٢ ، والهيثمى فى مجمع الزوائد (كتاب البيوع- باب اتخاذ المال) ٦٤/٤ وعزاه للطبراني وأبي يعلى وأحمد ، ثم قال : " ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح " . وأخرجه الهيثمى أيضاً فى مجمع البحرين فى زوائد المعجمين الأوسط والصغير والطبراني (كتاب البيوع – باب اقتناء المال) ٣٤٤/٣ حديث رقم ١٩٣٠ وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد حديث رقم ٣٠٠ (باب المال الصالح للمرء الصالح) ٢٨٧ والحاكم (كتاب البيوع) رقم ٢١٨٣ وسكت عنه الذهبى والبغوى فى شرح السنة ٩١/١٠ ، الغزالى فى الإحياء وقال العراقي : أخرجه أحمد والطبراني فى الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح " الإحياء ٣٤٨/٣ ، وصححه الشيخ الألبانى أيضاً فى المشكاة ١١٠٩/٢..

(٢) كتاب أبي عبيد فى القراءات مفقود ، كما فى مقدمة العلامة رمضان عبد التواب لتحقيق (الغريب المصنف) ٥٢/١ -٥٢. ولم أجد هذا النص أيضاً فى غريب الحديث لأبى عبيد فى مادة (نعم) انظر فهارس الكتاب التى وضعها مجمع اللغة العربية بإشراف العلامة الطناحى ص ٢٢٤.

(٣) جاء فى مادة (نعم) من النهاية فى غريب الحديث ٨٣/٥ : " ومنه الحديث : (نعما بالمال) أصله : نعم ما ، فأدغم وشدد "

(٤) لا يصح هذا الكلام من الزجاج؛ لأن القراءة سبعية ؛ فقد قرأ بها أبو عمرو- وهو بصرى بالطبع – ونافع – فى غير رواية ورس – وعاصم فى رواية أبى بكر والمفضل ، كما فى السبعة ١٩٠ وقرأ بها من غير السبعة : أبو جعفر واليزيدى والحسن كما فى البحر ٢٧٨/٣ ، ومعجم القراءات ٩٤/٢.

ولعل الزجاج اخذ فكرة تخطئة هذه القراءة من الأخفش الذى يقول[1] : " وقولهم : إن العين ساكنة من (نعما) إذا ادغمت خطأ ؛ لأنه لا يجتمع ساكنان ، ولكن إن شئت اخفيته[2] ، فجعلته بين الإدغام والإظهار ، فيكون فى زنة متحرك... " .

وقد نقل السيرافي عن الفراء قوله عن إدغام الميم في الميم : " كلّ حرف إذا شُدد ادى مثله ، إلا الميم ؛ فإنها إذا شُددت ادت نونًا "[3] ، وهذا يعني ان الحرف المدغم (المشدد) لا يُسمع منه صوت غير الصوت نفسه فيما عدا حرف الميم - عند الفراء - فإنه إذا شُدد ذهب صوت الميم كليّة وسُمع صوت النون ، وهذا قول غريب ليس له ما يؤيده في التراث الصوتي العربي ، إذ لم يقل احد من السابقين عليه أو اللاحقين له ان الإدغام يحمل مثا هذا الأثر ، كما ان النطق المعاصر لصوت (الميم) المدغم لا يساعد الفراء على هذا الراي [4] .

٧ - إدغام النون فى النون:

وذلك فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ ﴾ (البقرة ١٣٩/٢) حيث يقول الأخفش[5]: " وقال : (اتحاجونا)[1] مثقلة ، لأنهما حرفان مثلان ،

(١) معاني الأخفش ٢٧٤/١.

(٢) القراءة بالإخفاء قرأ بها أبو عمرو وأبو بكر وقالون ، وقد ذكرها مكي العيسى في كتابيه : الكشف ٣١٦/١ ، والتبصرة ١٦٥ ، ولكن خطأ القراءة بإمكان العين كما فعل الأخفش محقق الكشف عن هذا!.

(٣) ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافي ٦٧ .

(٤) ولذا فقد قام السيرافي بتفنيده في كتابه : ما ذكره الكوفيون من الإدغام ٦٨ ، وانظر أيضًا : دراسات لغوية في تراثنا القديم ٤٧ .

(٥) معاني الأخفش ١٥٩/١- ١٦٠ وانظر مثالاً آخر ٤٣٣/٢.

فادغم احدهما فى الآخر .... وقال بعضهم : (اتحاجوننا) ، فلم يدغم ، ولكن اخفى[2] ؛ فجعل حركة الأولى خفيفة ، وهى متحركة فى الوزن ، وهى فى لغة الذين يقولون : (هذه مائة درهم) يشمون شيئاً من الرفع ولا يبيتون؛ وذلك الإخفاء ، وقد قرئ هذا الحرف على ذلك : ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ (يوسف ١١/١٢) [3] بين الإدغام وبين الإظهار ، ومثل ذلك : ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ ﴾ [4] واشباه هذا كثير وإدغامه احسن حتى يسكن الأول " [5] .

والإشمام المقصود : ضم حركة الشفتين إشارة إلى حركة الفعل مع الإدغام الصريح[6] .

---

(١) القراءة بالإدغام (أتحاجونا) قراءة زيد بن ثابت والحسن والأعمش وابن محيصن والمطوعي – فى إحدى روايتين عنه – كما فى البحر ٤١٢/١ والإتحاف ١٤٨ ، ومعجم القراءات ٢٠٣/١.

(٢) لم أجد من قرأ بالإخفاء ، وانظر معجم القراءات ٢٠٣/١.

(٣) القراءة بالإدغام مع الإشمام هى قراءة السبعة كما فى سبعة ابن مجاهد ٣٤٥ وتبصرة مكى القيس ٢٢٧.

(٤) قرأ السبعة بفك النونين ، غير أن نافعاً يضم الياء (ليحزننى) ويفتح الياء الأخيرة ، انظر السبعة ٢١٩ ومعجم القراءات ١٩٨/٤.

(٥) القرءاة بالإدغام (ليحزنى) بتشديد النون وفتح أوله من (حزن) قرأ بها زيد بن علي وابن هرمز وابن محيصن كما فى البحر ٢٨٦/٥.

(٦) انظر معجم القراءات ٤٣/١١ .

وقد أشار الفراء إلى الإشمام أيضاً قوله تعالى : ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾ (يوسف ١٢/ ١١) فقال[1] : " وقوله (لا تأمنا) تشير إلى الرفعة ، وإن تركت فصواب ، كل قد قرئ به... ".

وقد لخص الزجاج آراء الأخفش والفراء ، ولم يخرج عنها[2] ، فى حديثه عن قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ ولكنه فصل القول فى القراءات فى قوله تعالى ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾ (يوسف ١٢/ ١١) ، وبين مسوغ الإدغام بقوله : " والإدغام لأن الحرفين من جنس واحد ، والإشمام يدل علي الضمة المحذوفة ، وترك الإشمام جيد ؛ لأن الميم مفتوحة فلا تغير ، والإظهار فى (تأمننا) جيد ؛ لأن النونين من كلمتين " [3] وكذلك فعل مع قوله تعالى : ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ حيث قال[4]: " فمن قرأ (مكنى) [5] ادغم النون فى النون لا النونين ، ومن قرأ (مكننى)[6] بنونين ، اظهر النونين لأنهما من كلمتين الأولى من فعل ، والثانية تدخل مع الاسم المضمر".

٨ ـ إدغام الهاء فى الهاء

وذلك فى قوله تعالى : ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾ (البقرة: ٢/٢)حيث قال

(١) معانى الفراء ٣٨/٢.

(٢) انظر معانى الزجاج ٢١٦/١ -٢١٧.

(٣) معانى الزجاج ٩٤/٣-٩٥.

(٤) معانى الزجاج ٣١١/٣.

(٥) وهى قراءة الجمهور ومنهم السبعة إلا ابن كثير كما فى السبعة ٤٠٠ والإتحاف ٢٩٥.

(٦) هى قراءة ابن كثير ومجاهد وحميد كما فى معجم القراءات ٣٠٢/٥.

الأخفش[1] : " قد قرا بعض القراء : (فيه هدى)[2] ؛ فادغم الهاء الأولي في هاء هدى؛ لأنهما التقتا وهما مثلان " .

وقد وصف الزجاج هذه القراءة بقوله[3] : " فأما قراءة : (فيه هدى) بإدغام الهاء في الهاء فهو ثقيل في اللفظ ، وهو جائز في القياس؛ لأن الحرفين من جنس واحد ، إلا انه ثقيل في اللفظ لأن حروف الحلق ليست باصل في الإدغام ، والحرفان من كلمتين ، وحكى الأخفش أنها قراءة "

٩ ـ إدغام الياء في الياء

وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (الأنفال ٨/ ٤٢) ، فقد تحدث الأخفش عن ذلك فقال[4] : " فالزم الإدغام إذا صار في موضع يلزمه الفتح؛ فصار مثل باب التضعيف ، فإذا كان في موضع لا يلزمه الفتح لم يدغم ، نحو : (بقادر على أن يحيي الموتى) ، إلا ان تشاء ان تخفي ، وتكون في زنة متحرك ، لأنها لا تلزمه؛ لأنك تقول : (يحيي)[5] فتسكن في الرفع ، وتحذف

---

(١) معاني الأخفش ١/٢٨.

(٢) ومنهم أبو عمرو وكما في الإدغام الكبير له ص ٤٥ ، وكذلك يعقوب وابن محيصن واليزيدي والحسن عن المطوعي ، كما في البحر ١/ ٣٧ ، والنشر ١/ ٢٨٤.

(٣) معاني الزجاج ١/ ٧٠.

(٤) معاني الأخفش ١/ ٣٥٠.

(٥) وهي قراءة طلحة بن سليمان والفياض بن غزوان (يحيي) بسكون الياء الثانية كما في البحر ٨/ ٣٩١ ، والمحتسب ٢/ ٣٤٢ ، ومعجم القراءات ١٠/ ٢٠٠.

فى الجزم ، فكل هذا يمنعه الإدغام ، وقال بعضهم : (من حيي عن بينة)[1] ولم يدغم إذا كان لا يدغمه فى سائر ذلك ، وهذا اقبح الوجهين[2] .... "

أما الفراء فقد قال[3] : " وقوله عز وجل : (ان يحيى الموتى) تظهر الياءيين ، وتكسر الأولى وتجزم الحاء ، وإن كسرت الحاء ، ونقلت إليها إعراب الياء الأولى التي تليها كان صواباً ، كما قال الشاعر : [الكامل]

وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ سَبِيكَةٌ   تَمْشِي بِسُدَّةِ بَيْتِهَا فَتُعِي

اراد فتعيا " .

وقد ناقش الزجاج قول الفراء هذا - دون ان يصرح باسم - وبين ان لا يجوز فى الأية إلا إظهار الياءين ، ثم ذكر البيت السابق وقال : " ولو كان هذا المنشد المستشهد اعلمنا من هذا الشاعر ، ومن اى القبائل هو ، وهل هو ممن يؤخذ بشعره أم لا ما كان يضره ذلك ، وليس ينبغي أن يحمل كتاب الله على (انشد فى بعضهم) ولا على بيت شاذ ، لو عرف قائله وكان ممن يؤخذ بقوله لم يجز " .

---

(١) هى قراءة نافع – وحسبك به – وابن كثير وعاصم – بخلاف عنها – وابن جعفر ويعقوب وخلف ، كما فى النشر ٢٧٦/٢ والإتحاف ٢٣٧ ومعجم القراءات ٣٠١/٣.

(٢) هذا لفظ لا يليق أن توصف به قراءة سبعية ، وبخاصة أن الفك والإدغام لغتان مشهورتان ، فلا مبرر لهذا فى رأيي!

(٣) معانى الفراء ٢١٣/٣.

ثانياً : الإدغام الصغير

١ ـ إدغام التاء ، ويتضمن ما يلي :

أ - تاء التانيث :

اختلف القراء في إدغام تاء التانيث وإظهارها إذا اتي بعدها أحد حروف الصفير ، او التاء والجيم والطاء[١] ، وقد ذكر الزجاج شيئاً من ذلك عند قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ (النساء ٤/ ٥٦)، حيث قال[٢] : " الأحسن إظهار التاء ها هنا مع الجيم ، لئلا تكثر الجيمات ، وإن شئت ادغمت التاء في الجيم[٣] ؛ لأن الجيم من وسط اللسان ، والتاء من طرف، والتاء حرف مهموس ؛ فأدغمته في الجيم "

ب - تاء الافتعال مع الدال والذال والزاي :

تدغم تاء الافتعال إذا جاء بعدها دال أو ذال أو زاي ، وقد جاء هذا في معاني الأخفش حيث يقول[٤] في آية : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (يوسف١٢/ ٤٥) : " وإنما هي افتعل من ذكرت ، فأصلها اذتكر ، ولكن اجتمعا في كلمة واحدة ، ومخرجاهما متقاربان ، وارادوا أن يدغموا ، والأول حرف مجهور؛ وإنما يدخل الأول في الآخر والآخر مهموس ، فكرهوا أن يذهب منه الأجهر ، فجعلوا في موضع التاء حرفا من موضعها مجهوراً ، وهو الدال ؛ لأن الحرف الذي قبلها

---

(١) انظر : النشر ٢/٣ ، والإتحاف ١/١٣٠.

(٢) معاني الزجاج ١/٦٥.

(٣) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف بإدغام التاء في الجيم ، كما في النشر ٢/٦ ، والإتحاف ٢٨.

(٤) معاني الأخفش ١/٣٩٨.

مجهور ، ولم يجعلوا الطاء : لأن الطاء مع الجهر مطبقة ، وقد قال بعضهم : (مذكر) فأبدل التاء ذالاً ، ثم أدخل الذال فيها " .

وقد ذكر الفراء أمثلة كثيرة فى معانيه لهذا الإدغام ، ومنها قوله[1] : " وبعض العرب يقول : (تدخرون)[2] فيجعل الدال والذال يعتقبان فى تفتعلون من ذخرت... فأما الذين يقولون : يدخرو يدكر ومدكر ، فإنهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلها ذال دخلت التاء فى الذال فصارت ذالاً ، فكرهوا أن تصير التاء ذالاً ، فلا يعرف الافتعال من ذلك ، فنظروا إلى حرف يكون عدلاً بينهما فى المقاربة ، فجعلوه مكان التاء ومكان الذال ، وأما الذين غلبوا الذال فأمضوا القياس ، ولم يلتفتوا إلى أنه حرف واحد ، فأدغموا تاء الافتعال عند الذال والثاء والطاء... ولقد قال بعضهم : مزجر[3] ، فغلب الزاى كما غلب التاء " .

وفى قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر ٥٤/ ١٥) يقول الزجاج[4] : " القراءة بالدال غير المعجمة ، وأصله مذكر ، بالذال والتاء ولكن التاء أبدل منها الذال ، والذال من موضع التاء ، وهى أشبه بالذال من التاء ، فأدغمت الذال فى الدال ، فهذا هو الوجه ، أعنى القراءة بالدال - غير معجمة - وقد قال بعض العرب (مذكر)[5] بالذال معجم؛ فأدغم الثاني فى الأول ، وهذا

---

(١) معانى الفراء ٢١٥/١ - ٢١٦.

(٢) وهى قراءة الجمهور ، وقرأ مجاهد والزهرى وغيرهما (تذخرون) ، وانظر مختصر ابن خالويه ٢٠ ، وإعراب القراءات الشاذة للعكبرى ٣٢٠/١.

(٣) وهى قراءة زيد بن على كما فى فتح القدير ١٢١/٥ ، وانظر البحر ١٧٤/٨ ومعجم القراءات ٢١٤/٩.

(٤) معانى الزجاج ٨٨/٥.

(٥) هى قراءة ابن مسعود وقتادة وعيسى بن عمرو وعباس عن أبى عمرو ، كما فى البحر ١٧٨/٨ ومختصر ابن خالويه ١٤٨ وانظر إعراب القراءات الشاذة ٥٣٠/٢.

ليس بالوجه ، إنما الوجه إدغام الأول في الثاني "

وقراءة (مذكر) قال عنها الفراء : " ... وحدثني الكسائي – وكان والله ما علمته إلا صدوقاً – عن إسرائيل والقرزمى عن أبي إسحاق عن الأسود بين يزيد قال : قلنا لعبد الله : فهل من مذكر ، او مدكر ، فقال : اقرانى رسول الله ﷺ : (مدكر) بالدال "[1] وقد نسب الفراء قراءة (مذكر) بالذال لبعض بني اسد[2] ، بينما ذكرها الأخفش – كما سبق غير منسوبة

٢ ـ إدغام الثاء فى التاء :

تحدث الفراء عن ذلك عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ (البقرة: ٢/٢٥٩) فقال[3]: " وقد جرى الكلام بالإدغام للثاء[4] ؛ لقيت التاء وهى مجزومة " ، وقد اضاف الزجاج إلى قول الفراء السابق ما يبين سبب الإدغام فقال : " وإنما ادغمت لقرب المخرجين "[5]

وقال في موضع آخر[6] : " ويجود (كم لبثتم فى الأرض)[7] مشدد التاء " .

---

(١) معانى الفراء ١٠٧/٣.

(٢) انظر معانيه ١٠٧/٣.

(٣) معانى الفراء ١٧٢/١.

(٤) اختلف السبعة فى قراءتها بالإدغام والإظهار كما فى السبعة ١٢٣ ، ١٨٨ والمبسوط ١٠٥.

(٥) معانى الزجاج ٣٤٣/١.

(٦) معانى الزجاج ٢٥/٤.

(٧) أدغم الثاء فى التاء أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى وأبو جعفر انظر النشر ١٦/٢ ومعجم القراءات ٢١٣/٦.

٣ - إدغام الدال ويتضمن ما يلي :

أ - إدغام دال قد :

اختلف في إظهار دال قد وإدغامها عند ثمانية أحرف ، وهي الذال والظاء والضاد والجيم والشين وحروف الصغير .

وقد جاء من ذلك عند الزجاج مثالان : الأول : قوله[1] : " ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾

(الإسراء ٣٣/١٧) : الأجود إدغاماً الدال في الجيم ، والإظهار جيد بالغ[2] ؛ لأن الجيم من وسط اللسان ، والدال من طرف اللسان ، والإدغام جائز لأن حروف وسط اللسان قد تقرب من حروف طرف اللسان " .

والثاني: قوله[3] : " إدغام الدال في السين حسن، لقرب المخرجين ، يقرأ : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ (المجادلة ١/٥٨)[4] بإدغام الدال في السين حتى لا يلفظ المتكلم بدال ، وإنما حسن ذلك لأن السين والدال من حروف طرف اللسان ، فإدغام الدال في السين تقوية للحرف... " .

ب - إدغام الدال في الدال :

وقد تحدث عنه الزجاج في مواضع كثيرة من كتابه ، منها قوله في : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (آل عمران ١٠٦/٣) : " تسود وتبيض ، بفتح الهاء، الأصل : (تسودد) و(تبيضض) ، إلا أن الحرفين إذا اجتمعا وتحركا

---

(١) معاني الزجاج ٢٣٧/٣.

(٢) الإدغام والإظهار قراءاتان سبعيتان ، كما في معجم القراءات ٥٦/٥.

(٣) معاني الزجاج ١٣٣/٥.

(٤) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف ، وهشام عن ابن عامر ، وابن مسعود ، وابن محيصن بإدغام الدال في السين ، والباقون بالإظهار ، كما في النشر ٣/٢-٤ ، والإتحاف ٢٨ ، و ٤١١ ومعجم القراءات ٣٥٩/٩.

ادغم الأول في الثاني... "[1] ، ومنها قوله[2] في : (أشداء على الكفار) : " ... أشداء : جمع شديد ، والأصل : أشدداء ، نحو نصيب وانصباء ، ولكن الدالين تحركتا فادغمت الأولى في الثانية، ومثل هذا قوله : ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (المائدة ٥/٥٤) "[3] .

٤ ـ إدغام الذال في الطاء والظاء والتاء

وقد جاء من ذلك قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ (البقرة ٢/٥١)، فقد قال الفراء : " وفي قراءة عبد الله (اتَّختُّم العجل)[4] وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم ﴾ (غافر ٤٠/٢٧)، فقد قراها عبد الله بن مسعود كما في معاني الفراء - (وإني عُتُّ بربي)[5] وقد قال الفراء بعد ذكره هاتين القراءتين : " فادغمت الذال أيضاً عند التاء ، وذلك انهما متناسبتان في قرب المخرج ، والثاء والذال مخرجها ثقيل ، فأنزل الإدغام بهما لثقلهما ؛ الا تري ان مخرجهما من طرف اللسان ، وكذلك الظاء تشاركهن في الثقل ، فما اتاك من هذه الثلاثة الأحرف فادغم ، وليس تركك الإدغام بخطأ ، إنما هو استثقال... "[6] .

---

(١) معاني الزجاج ١/٤٥٤.

(٢) معاني الزجاج ٥/٢٨.

(٣) معاني الزجاج ٥/٢٨.

(٤) هي قراءة الجمهور ، وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالإظهار : (اتخذتم) ، وانظر السبعة ١١٤ و ١٥٤ والنشر ٢/١٥.

(٥) القراءة بالإدغام والإظهار مختلف فيها بين السبعة ، كما في السبعة ٥٧٠ والنشر ٢/١٦.

(٦) معاني الفراء ١/١٧٢.

وقد قال الفراء[1] - في موضع آخر - من هاتين القراءتين : " ... تظهر وتدغم، والإدغام أحب إلي لأنها متصلة بحرف لا يوقف على ما دونه...".

وضرب الفراء بعض الأمثلة لإدغام الذال والطاء والظاء في التاء فقال[2]: " والعرب إذا لقيت الطاء التاء فسكنت الطاء قبلها صيروا الطاء تاء ، فيقولون : (احت)[3] ، كما يقولون الظاء تاء في قوله : ﴿ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ (الشعراء ١٣٦/٢٦)[4] ، والذال والدال تاء مثل (أختم) ورايتها في بعض مصاحف عبد الله (باختم)[5] " كما ذكر الزجاج[6] بعض الأمثلة صنعها عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ (المؤمنون ١١٠/٢٣): " الأجود : إدغام الذال في التاء لقرب المخرجين[7] ، وإن شئت اظهرت لأن الذال كلمة والتاء من كلمة والدال بينها وبين التاء في المخرج شيء من التباعد ، وليست الذال من التاء بمنزلة الدال من التاء..." كما تحدث الزجاج من إدغام ذال (إذ) في تفسير لقوله تعالى : ﴿ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ (الشعراء ٧٢/٧٦).

---

(١) معاني الفراء ٣٥٤/٢.

(٢) معاني الفراء ٢٨٩/٢.

(٣) هي قراءة ابن محيصن ، انظر تخريجها في معجم القراءات ٤٩٨/٦.

(٤) القراءة بالإدغام قرأ بها عاصم والكسائي وابن محيصن وغيرهم ، انظر البحر ٣٣/٧.

(٥) قوله تعالى : (وأخذتم على ذلكم إصري) قرأ الجمهور بالإدغام (واختم) وأظهر الذال ابن كثير وحفص وورش كما في معجم القراءات ٥٣٧/١.

(٦) معاني الزجاج ٢٤/٤.

(٧) القراءة بالإدغام قراءة الجمهور ، وقرأ ابن كثير وحفص بالإظهار ، كما في معجم القراءات ٢١١/٦.

٥ - إدغام اللام ، ويتضمن ما يلي :

أ - إدغام لام هل وبل فى التاء والثاء :

ومن ذلك ما جاء عند الأخفش فى قوله تعالى : ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ﴾ (المطففين ٣٦/٨٣)، حيث قال[١] : " إن شئت ادغمت ، وإن شئت لم تدغم[٢] ؛ لأن اللام مخرجها بطرف اللسان ، قريب من أصول الثنايا ، والثاء بطرف اللسان وأطراف الثنايا إلا ان اللام بالشق الأيمن ادخل فى الفم ، وهى قريبة المخرج منها ، ولذلك قيل : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ﴾ (الأعلى ١٦/٨٧)[٣] ، فادغمت اللام فى التاء؛ لأن مخرج التاء والثاء قريب من مخرج اللام " .

وجاء عند الفراء فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ ﴾ (التوبة ٥٢/٩) " : .... والعرب تدغم اللام من هل وبل عند التاء خاصة ، وهو فى كلامهم عال كثير ، يقول : هل تدرى ، وهتدرى ، فقراها الفراء على ذلك ، وإنما استحب فى القراءة خاصة تبيان ذلك ، لأنهما منفصلان ليسا من حرف واحد ، وإنما بني القرآن على الترسل والترتيل وإشباع الكلام ، فتبيانه احب إلى من إدغامه ، وقد ادغم القراء الكبار[٤] ، وكل صواب " .[٥]

---

(١) معانى الأخفش ٥٧٣/٢.

(٢) القراءة بالإظهار قرأ بها الجمهور ، وقرأ حمزة والكسائى وأبو عمرو – بخلاف عنه بالإدغام كما فى السبعة ٦٧٦ والإتحاف ٢٨– ٢٩ و ٤٣٥ ، معجم القراءات ٣٥٣/١٠.

(٣) القراءة بالإدغام قراءة حمزة والكسائى كما فى السبعة ١٢٣.

(٤) ومنهم – فى هذا الموضع– حمزة والكسائى وخلف وهشام – بخلاف عنه – كما فى النشر ٦/٢–٧ ومعجم القراءات ٤٠١/٣ .

(٥) معانى الفراء ٤٤١/١.

وفي معاني الزجاج : " ويقرا : (هثوب) بإدغام اللام في الثاء "[1]

ب - إدغام لام هل وبل مع الراء والنون :

قال الفراء في معانيه[2] : " فأما قوله : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ (المطففين ١٤/٨٣)[3] فإن اللام تدخل في الراء دخولا شديداً ، ويثقل على اللسان إظهارها فأدغمت ، وكذلك فافعل بجميع الإدغام: فما ثقل على اللسان إظهاره فأدغم ، وما سهل لك فيه الإظهار فأظهر و لا تدغم ".

ويقول الفراء أيضا : " العرب تدغم اللام عند النون إذا سكنت اللام وتحركت النون ، وذلك أنها قريبة المخرج منها "[4] وكلام الفراء هذا يجُبُّ قول أبي حيّان : " والمخارج ستة عشر ، خلافًا لقطرب ، والجرمي ، والفراء ، وابن دريد ، في زعمهم أنها أربعة عشر ، ومحل الخلاف هو: مخرج اللام والنون والراء ، فذهب هؤلاء إلى أن مخرجها واحد ، ومذهب الجمهور أنها ثلاثة مخارج "[5].

---

(١) معاني الزجاج ٣٠١/٥.

(٢) معاني الفراء ٣٥٤/٢.

(٣) تقرأ عند حفص بسكتة لطيفة – مقدار حركتين- بين لام بل والراء ، وذلك لإظهار أنها كلمتان ، وهناك قراءات أخرى بالإدغام والإظهار دون سكت انظرها في معجم القراءات ٣٤٧/١٠.

(٤) معاني الفراء ٣٥٣/٢ .

(٥) همع الهوامع ٢٢٨/٢ ، والنشر لابن الجزري ٢٨٦/١ . والعجيب أن الدكتور أحمد مكي الأنصاري ردد هذا الكلام أيضًا في كتابه :أبو زكريا الفراء ٤٧٢ ، واعتمده كأنه حقيقة مسلمة ، مع أنه لو عاد لنص الفراء السابق لوجده يفرق بين اللام والنون ويقول " وذلك أنها قريبة المخرج منها " .

وقد تحدث الزجاج عن هذه الآية أيضاً فقال[1] : " ... والإدغام أجود ، لقرب اللام من الراء ولغلبة الراء على اللام ، كما تحدث الفراء عن إدغام لام هل ونحوها فى النون فقال[2] : " العرب تدغم اللام عند النون إذا سكنت اللام وتحركت النون وذلك أنها قريبة المخرج منها ، وهى كثيرة فى القراءة ، ولا يقولون ذلك فى لام قد تتحرك فى حال ، مثل ادخل وقل؛ لأن (قل) قد كان يرفع وينصب ويدخل عليه الجزم[3] ، وهل وبل وأجل مجزومات أبداً ، فشبهن إذا ادغمن بقوله (النار) إذا ادغمت اللام من النار فى النون منها ... " .

٦ - إدغام النون الساكنة والتنوين :

تدغم النون الساكنة والتنوين عند حروف (يرملون) و هذا الإدغام يصاحبه غنة (مع حروف كلمة ينمو) و بدون غنة مع اللام والراء.

وقد ذكر الفراء مثالاً لذلك ، ولكنه أطلق على الإدغام – فيما يبدو - وصف الإخفاء[4]

فقال[5] : قوله عز وجل: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ ﴾ (القلم ٦٨/١) تخفى النون الآخرة ، وتظهرها ، وإظهارها أعجب إلى؛ لأنها هجاء ، والهجاء كالموقوف عليه وإن اتصل ، ومن اخفاها بني على الاتصال ، وقد قرأ القراء بالوجهين ، كان الأعمش وحمزة[6] يبينانها ، وبعضهم يترك التبيان "

---

(١) معاني الزجاج ٢٩٩/٥.

(٢) معاني الفراء ٣٥٣/٢.

(٣) يعني أنها ليست مبنية مثل هل وبل ، وإنما تتصرف ويتغير آخرها.

(٤) وكثير من المتقدمين كان يعبر عن الإدغام بالإخفاء ، انظر معجم القراءات ٢٦/١٠.

(٥) معاني الفراء ١٧٢/٣.

(٦) وكثيرون غيرهما يظهرون النون كما في النشر ١٨/٢-١٩ والإتحاف ٤٢١.

وقد ذكر الزجاج من هذا النوع بعض الأمثلة لذلك ، **الأول** : في قوله تعالى : ﴿ طسٓمٓ ﴾ (الشعراء ١/٧٦) حيث قال[1] : " وقرئت بإدغام النون فى الميم ، ووصل بعض الحروف ببعض ، وقرئت : طسين ميم ، بتبيين النون ، والوقف على النون " [2] .

والثاني : ما ذكره الفراء حول ﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ ﴾ (القلم ١/٦٨) حيث قال[3] " قرئت بإدغام النون فى الواو ، وقرئت بتبيين النون عند الواو ، وقرئت(ن والقلم) بفتح النون[4] ، والذى اختار إدغام النون فى الواو ، كانت النون ساكنة أو متحركة " . والثالث : فى قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (النبأ ٧٨ /١) حيث قال[5] : " اصله : عن ما يتساءلون ، فادغمت النون فى الميم لأن الميم تشرك النون فى الأنف " .



(١) معاني الزجاج ٨١/٤.

(٢) قرأ نافع وابن مسعود ويعقوب عن أبي جعفر بالوقف على كل حرف من (طسم) ، انظر الإتحاف ٣٣١ والسبعة ٤٧٠.

(٣) معاني الزجاج ٢٠٣/٥

(٤) وهى قراءة سعيد بن جبير وعيسي بن عمرو اللؤلؤى كما فى معجم القراءات ٢٧/١٠.

(٥) معاني الزجاج ٢٧١/٥.

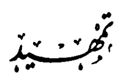
الفصل الثالث

السمات التحبيرية

وتشمل :

- الوقف
- الإمالة





داب كثير من الباحثين على ترجمة مصطلح Prosody الذي شاع شيوعًا كبيرًا في الدراسات اللغوية الغربية. نقلا عن اللغوي الإنجليزي Firth . بالفونيمات التطريزية [1]، ويقصد بهذا المصطلح عند العرب والغربيين معا : مجموعة الملامح الصوتية التي يصنعها المتكلم بنفسه على المستوى الفردي ، مثل النبر والتنغيم والوقف ، ويمكن أن نضيف الإمالة أيضا . إلى جوار الملامح الصوتية الخاصة بالوحدات الصوتية وهي السمات التي تصاحب الكلام عادة من مثل : درجة الصوت من حيث الحدة والغلظة ، وقوة الصوت من حيث العلو والانخفاض ، وصفة الصوت من حيث الارتباط بالمتكلم ذكرا أو أنثى ، ومعدل الأداء الكلامي ... إلخ .

وقد رفض الدكتور سعد مصلوح هذه الترجمة لهذا المصطلح . حيث يقول " شاعت ترجمة هذا المصطلح بعبارة (الظواهر التطريزية) ولا أدري للتطريز موردًا في هذا السياق " [2] ورأى أن الصواب ترجمته بالظواهر الإيقاعية؛ لأن مصطلح التطريز بعيد الدلالة عن الظواهر الصوتية .

وقد اقترح الدكتور كريم زكي حسام الدين مصطلح (التحبير) ترجمة لهذا المصطلح الغربي ، لأنه يتضمن بدلالته معنى التطريز من ناحية

---

(١) ومنهم على سبيل المثال الدكتور : تمام حسان في كتابه : مناهج البحث في اللغة ١٤١ . والدكتور : كمال بشر في كتابه : علم الأصوات ٢٥. والدكتور حسام البهنساوي في كتابه : الفونيمات التطريزية ، والعنوان دالٌ عل اختياره.

(٢) دراسة السمع والكلام ١٥٦ .

، كما يتضمن المعنى الصوتي من ناحية اخرى ، واستأنس الدكتور كريم لرايه بمجموعة من النصوص التي تفيد ان هذا المصطلح قديم في دلالته على السمات الصوتية [1]، وعلى الرغم من انه لا مشاحة في الاصطلاح ؛ فإن اختيار المصطلح الدقيق في موضعه المناسب أمر مريح تماما ، وبخاصة إذا كان المصطلح شائعا ـ أو مستخدما ـ في تراثنا العربي الشريف، ولأن هذا المصطلح يتعلق بالملامح الصوتية للمتكلم كان طبيعيا الا يتعرض أهل المعاني لكل ما يحويه ذلك المصطلح؛ لأنهم كانوا يتعاملون مع نص مكتوب لا مسموع .

ولذلك فسوف اتناول فيما يأتي ظاهرتين احتفى بهما أهل المعاني ، نظرًا لارتباطهما بالقرآن الكريم من ناحية التلاوة ، وهي توقيفية ، وهما : أولا : الوقف . ثانيًا : الإمالة .

(١) انظر : الدلالة الصوتية ١٩٤ – ١٩٥ .

❁❁ الوقـف ❁❁

تعريف الوقف : *PAUSE*

أولا. لغة :

يقول ابن فارس : " الواو والقاف والفاء ، أصل واحد يدل على تمكث في شيء ثم يقاس عليه " [1].

وتدور مادة (وقف) في اللسان حول الحبس والسكوت ، والإمساك والإقلاع والكف[2] ، والوقف مصدر قولك وقفت فتقول : وقفت وقفا ووقوفا ، وفي المعجم الوسيط : " ويقال : وقف على الكلمة : نطق بها مسكنة الآخر قاطعا لها عما بعدها " [3] وفي القاموس المحيط : " وقف : سكت ، وعنه أمسك واقلع " [4] ، وعند الفقهاء : " وقف العين أي حبسها على ملك الواقف أو على ملك الله تعالى" [5]

ثانيا. الوقف اصطلاحا :

١ - الوقف في اصطلاح النحويين :

عرّفه ابن الحاجب بقوله : " قطع الكلمة عما عداها " [6] ، وهذا يوهم أن الوقف لا يكون على كلمة إلا وبعدها شيء ، ولذلك كان تعريف أبي حيان

---

(١) مقاييس اللغة (وقف) ٦ / ١٣٥

(٢) انظر اللسان (وقف) ٦ / ٤٨٩٨ - ٤٨٩٩

(٣) المعجم الوسيط (وقف) ٢ / ١٠٥١ - ١٠٥٢

(٤) القاموس المحيط ٣ / ١٩٩

(٥) المعجم الوسيط (وقف) ٢ / ١٠٥٢

(٦) الشافية ١٩٦ .

للوقف ادق منه إذ يقول " قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة " [1]

٢ - **الوقف عند القرّاء :**

هو قطع [2] النطق على الكلمة الوضعية زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله [3].

والعلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي واضحة ، إذ إن قطع النطق على آخر الكلمة، هو مكث وإمساك من القارئ وإقلاع عن النطق لمدة معينة ، وفيه حبس عن القراءة ، وسكوت عنها كما جاء في المعنى اللغوي.

٣ - **في اصطلاح اللغويين :**

عرفه الدكتور رمزي البعلبكي بأنه : " فاصل يقع بين أجزاء الكلام ، وهو إما وقف صامت لا يتخلله الأصوات ، أو وقف غير صامت ، وهو الذي يتخلله إصدار اصوات تعرف بصيغة التردد " [4].

الفرق بين الوقف والقطع والسكت :

لم يكن المتقدمون قبل عصر ابن الجزرى يفرقون بين هذه المصطلحات الثلاثة ، لكن ابن الجزرى فرق بينها [5] ، وقد وافقه من جاء بعده ، كما وافقه علماء اللغة المعاصرون ، ونستطيع أن نتلمس ذلك الفرق عن طريق تعريف

---

(١) ارتشاف الضرب (د. رجب عثمان) ٧٩٨/٢ .

(٢) بعض المصنفين يسمى الوقف قطعا، ويسمى الابتداء: التنافا ، ومنهم أبو جعفر النحاس الذى سمى كتابه الذى يتناول فيه هذه الظاهرة باسم: القطع والائتناف.

(٣) انظر النشر ٢٤٠/١ .

(٤) معجم المصطلحات اللغوية ٣٨٠.

(٥) انظر النشر ٢٤٠/١- ٢٤٣

كل مصطلح على حدة ، فأما القطع فيعني توقف القارئ عن قراءته ، وانتهاءه منها ، بحيث تشرع الاستعاذة عند استئناف القراءة ، كالذى يقطع قراءته على حزب او ورد معين ثم يركع مثلاً ، ولا يكون إلا على راس آية تفيد معنى تاماً ، فعن عبد الله بن ابى الهذيل انه قال : " إذا افتتح احدكم آية يقرؤها فلا يقطعها حتى يتمها " [1].

واما الوقف Pause فهو قطع الصوت زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ، وليس بنية الاكتفاء والإنهاء ، ولا يأتي وسط الكلمة . ولا فيما اتصل رسماً ، ولابد من التنفس معه[2].

واما السكت Cuesura فيختلف عن الوقف في انه اقصر زمناً ، وانه غير مصحوب بتنفس ، وهو مقيد بالسماع والنقل[3].

وهكذا يتضح الفرق جلياً بين هذه المصطلحات الثلاثة ، وانها ليست مترادفة ، وليست متباعدة المعنى في آن [4].

موقف علم الصوتيات المعاصر من ظاهرة الوقف :

يرى العلماء المعاصرون أن الوقفات تعد من العناصر الأدائية المهمة التي يصطنعها المتكلم ، للتعبير عن الدلالات المتنوعة ، فهي وسيلة يستطيع بها المتكلم ان ينقل إلى السامع تأكيداً لفكرة معينة ، وأن يرسم أو يخطط

---

(١) النشر ٢٣٩/١

(٢) انظر : الإتحاف ٣١٣/١

(٣) انظر : الوقف اللازم والممنوع للدكتور محمد مختار المهدي ١٨-١٩.

(٤) ومن الغريب أن صاحب كتاب (الوقف في القراءات القرآنية وأثره في المعنى والإعراب) يرى أن هذه المصطلحان بينها اشتراك لفظي ، انظر صـ ١٧.

للفكرة التالية لها ، وان يصنع مواقف من التوتر جسمانية ونفسية ، وهي ايضاً من أهم الوسائل التي عن طريقها يقسم كلامه إلى مجموعات معنوية ، ويسهم بها في صنع السلسلة الإيقاعية.

والوقفات - عندهم - عبارة عن فترات من الصمت ، تحدث في أثناء الجمل المنطوقة ، وتأتي عادة بعد إنهاء جزء من المنطوق ذي مضمون فكري مستقل إلى حد ما [1].

ومن خلال دراسة المقاطع الكلامية العربية ؛ تبين أن للوقف تأثيره الواضح عليها ؛ فقد يؤدي إلى إطالتها أو تقصيرها ، وقد يؤدي إلى تداخلها واندماجها ، وعلى سبيل المثال فإن ما يعرض لإحدى الهمزتين حال الوقف عند التقائهما في نحو قوله تعالى (هاؤلاء إن كنتم) (البقرة ٢/ ٣١) . يؤدي إلى تداخل الكلمتين ، وعدم وضوح التمييز بينهما [2].

وعند الوقف على لفظ (نستعين) الذي يتكون من :

نَسْ تَـ عيـ نُ = اربعة مقاطع .

فإن ذلك سوف يحدث تغيراً في عدد مقاطعه لتصبح ثلاثة مقاطع فقط هي :

نَـ تَـ عينْ = ثلاثة مقاطع .

اي ان المقطعين الأخيرين اندمجا معًا، واصبحا مقطعًا واحدًا ، من النوع الأول المغلق ، ويجوز إطالة زمن العلة في هذا المقطع ، لتصبح بمقدار علتين طويلتين اوثلاث ، وذلك خاص بقراءات القرآن الكريم [3] .

---

(١) انظر علم الصوتيات ٢٩١ .

(٢) انظر الأصوات اللغوية ١٦٢ ، والوقف ووظائفه عند النحويين والقراء ٣٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٦٤ بتصرف .

وأما الكم الزمني للوقفة في غير القرآن فقد حاول بعضهم أن يجيب عن هذا التساؤل : هل طول الوقفة أو قصرها مرتبط بطول زمن الكلام أو قصره ؟ أو أنه مستقل عنه ؟ فيرى بعضهم أن النسبة بينهما ليست ثابتة ، بينما يرى كثيرون ثباتها ، بحجة أن الشخص الذي يتحدث ببطء ، وبصورة خطابية ، يصنع وقفات طويلة ، وينطق الكلمات ببطء.

لكنهم متفقون علي أن هناك وقفات أقصر زمناً ، وهي التي سماها علماؤنا بالسكتات ، ويرون أنها يمكن أن تقع داخل الكلمة الواحدة ، وتقع في الشعر وفي الكلام ، أما في الشعر فإنه تفصل بين الكلمات التي تقسم بيت الشعر إلى وحدات عروضية ، وبذلك تنشأ ثغرات أو فراغات في الحديث ، تتعاقب ، ولكنها مؤثرة في الإيقاع Rhythm.

وأما في الكلام ، فإنها – كذلك - لها وزنها ، فعن طريقها تتكون مواقف من التوتر ، تثب من المتكلم إلى السامعين فتؤثر فيهم[1].

ويرى الدكتور أحمد مختار عمر أن الوقف قد يؤثر على كل من النغمة والتنغيم ، فتنخفض نغمة الكلمة التي هي في نهايات الجمل ، ويتنوع التنغيم ليشكل الملامح الصوتية المرتبطة بحدود ما بين الكلمات بطريقة تميزية ، للتفريق بين المعاني دون أي تغيير في الشكل[2] ، ويفصل الدكتور تمام حسان في هذه النقطة ؛ إذ يرى أن كل جملة أو كلمة يوقف عليها تمثل سلسلة متصلة من الأصوات اللغوية ، اصطلح على تسميتها بالمجموعة الكلامية ، وقد تكون هذه المجموعة مستقلة صوتيًا ومعنويا ، أو صوتيا فقط ، فنحو : قام محمد ، مجموعة صوتية ومعنوية ؛ لأن المعنى قد تم ، ونحو : إن

(١) علم الصوتيات ٢٩١-٢٩٢ بتصرف .

(٢) انظر دراسة الصوت اللغوي ١٩٣-١٩٥ .

قام محمد ، مجموعة صوتية ، وليست معنوية ؛ لأن المعنى لم يتم ، وفي الحالين يختلف التنغيم اختلافا بيّنا ؛ فهو ينتهي في المجموعات المعنوية بنغمة هابطة إذا كان الكلام تقريرا ، أو طلبا ، أو استفهاما غير مبدوء بالهمزة أو هل ، بينما ينتهي بنغمة صاعدة إذا كان الكلام غير تام ، أو كان استفهاما مبدوءًا بالهمزة أو هل [1].

وقد ربط الدكتور سعد مصلوح بين الوقف والتنغيم أيضا في الفصل الرابع (التنغيم) من كتابه : دراسة السمع والكلام ، واكتفى هنا بإيراد آخر ما توصل إليه في نهاية هذا الفصل ، إذ يقول : " ... أما تنوعات النمط التي تعكس الحالة الشعورية للمتكلم فلا تتحدد خصائصها بمتغيرات تردد نغمة الأساس فحسب ، بل يدخل كذلك في تحديدها : العلو ، والمدة ، ومواضع الوقف ، ونبر الجملة ..." [2] .

أقسام الوقف :

اختلف القراء والنحاة في أقسام الوقف ، فبعضهم يقصرها على ثلاثة : تام وحسن وقبيح ، كابن الأنباري ، أو تام وكاف وناقص عند علي بن عيسى النحوي (ت ٣١٢هـ) ، وبعضهم يجعلها أربعة : تام وكاف وحسن وقبيح ، كالسخاوي (ت ٦٤٣هـ) والزركشي(ت ٧٩٤هـ) وبعضهم يزيدها إلى خمسة وبعضهم إلي ستة ... الخ [3].

---

(١) مناهج البحث في اللغة ٢٠٢ .

(٢) دراسة السمع والكلام ٢٢٦ .

(٣) انظر الإتقان ٢٨٤/١ ، والوقف اللازم والممنوع بين القراء والنحاة ٢٠-٢١.

ولكني هنا سأعرف أهم هذه الأقسام من وجهة نظري[1] ، وهي :

١ ـ الوقف التام :

هو الذي يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده ، لأن ما بعده غير متعلق بما قبله ، ويكثر عند الفواصل ورءوس الآي، وعند تمام القصص، كقوله: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (البقرة: ٥/٢) ، والابتداء بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (البقرة: ٦/٢) ، وقوله تعالى :﴿ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ (القيامة ١٥/٧٥) والابتداء بقوله : ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴾ (القيامة ٧٥ /١٦).

٢ ـ الكافي :

ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، غير أن ما بعده متعلق به من جهة المعنى ، دون اللفظ ، مثل قوله تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ ﴾ (المائدة: ٥/٥) ، فإن ما بعدها ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ ﴾ (المائدة: ٥/٥) ، وكلا الجملتين يتحدث عما أحل للمؤمنين ، غير أن كلاً منهما تستقل بشيء مما أحل ، وليس هناك تعلق لفظي بين الجملتين.

٣ ـ الحسن :

ما يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن البدء بما بعده لتعلقه به من جهتي اللفظ والمعنى جميعاً ، مثل قوله تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ (الفاتحة١/٢) ، تقف

---

(١) اعتمدت في هذه التعريفات على كتاب : المكتفى لأبي عمرو الداني ١٠٧-١١٥ ، والنشر لابن الجزري ٢٢٥/١-٢٣٠ ، والوقف اللازم والممنوع للدكتور محمد مختار المهدي ١٩-٣٠ ولكني تصرفت في عباراتهم جميعاً.

، ثـم : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحة١/٢)، وتقـف ، ثـم : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾(الفاتحة ١/٣)... فكل هذه صفات لاسم الجلالة تابعة له لفظاً ومعنى ، فالوقف عليها حسن ، ولكن البدء بما بعدها غير مستحب.

٤ ـ **القبيح** : وهو أنواع :

أ - مالا يحسن السكوت عنده ، ولا يتحدد به المراد ، كأن يقف بين الفعل وفاعله، مثل قوله تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ﴾ (الملك: ٦٧/١) ويقف ، ثم يأتي بالفاعل بعد الوقف وهو ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ (الملك: ٦٧/١)، او يقف بين المضاف والمضاف إليه، كأن يقف على ﴿ مَٰلِكِ ﴾ (الفاتحة١/٤) من قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة١/٤).

ب - ما يوهم خلاف المقصود ، مثل قوله تعالى ﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ ﴾ (النساء: ٤/١١) فإن الوقف هنا يوهم ان الأبوين شريكان في النصف مع البنت.

ج - ما يؤدي الاعتقاد في مدلول ظاهره إلى الكفر ، مثل الوقف على قوله : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ﴾ (آل عمران من ٣/١٨١) ثم يبدأ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ (آل عمران٣/١٨١) ، وقوله : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢/٢٥٨).

وهذه الأنواع الثلاثة مرتبة في القبح ، واقبحها الأخير.

٥ ـ **الوقف اللازم :**

هو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير مراد ، ويرمز له في المصحف بحرف الميم (م) وهو بذلك يقابل النوعين الأخيرين في القبيح ، والوقف اللازم لا يقتضي ان المعنى لابد ان يتم عنده ، فقد يكون اللازم تاماً ، وقد يكون كافياً:

فاما اللازم التام ، فمثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ ﴾ (يونس ١٠/٦٥) ، فإن الوقف في هذه الآية لازم عند كلمة ﴿ قَوْلُهُمْ ۘ ﴾ ، لأن الوصل يوهم أن الجملة التي بعدها واقعة مفعولا به للقول ، اي ان المشركين هم الذين قالوا: إن العزة لله.. مع ان الواضح انها من كلام الله.

وأما اللازم الكافي ، فمنه : الوقوف على كلمة (بعض) في قوله تعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ ﴾ (البقرة ٢/٢٥٣) ، حتى لا يتوهم السامع ان الذين كلمهم الله من المفضل عليهم فقط لا من المفضلين ، والوقف هنا كاف ؛ لأن الجملة (مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ) - متصلة اتصالاً معنوياً بالجملة السابقة ، وهما متفقتان خبراً.

الوقف عند أهل المعاني :

اهتم اكثر اهل المعاني بالوقف كظاهرة صوتية من ناحية ، وكظاهرة لها اثر دلالي من ناحية أخرى ، وسأقتصر – هنا – على الحديث عن الوقف كظاهرة صوتية ، مرجئاً الحديث عن أثرها الدلالي إلى موضعه من هذا البحث بإذن الله.

١ -الوقف بالحذف :

وهذا الوقف له أمثلة متعددة ، ومنها :

أ - حذف ياء المتكلم التي تلحق الأفعال والأسماء في رءوس الآي :

ذكر الأخفش أن من العرب من يحذف هذه الياء في رءوس الآي في الوقف " كما تحذف العرب في أشعارها من القوافي ؛ نحو قوله : [الطويل]

حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضْ [1]

وقوله : [الوافر]

وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينْ [2]

إذا وقفوا ؛ فإذا وصلوا قالوا : (الأندرينا) و(ومن بعضى) ؛ وذلك في رءوس الآي كثير ، نحو قوله : ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ (سورة ص ٨/٣٨) ، و﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ (البقرة ٤١/٢) فإذا وصلوا اثبتوا الياء " [3] .

وقد التفت الزجاج إلى العلة من وراء هذا الحذف ، وهي اتساق النظم القرآني ، إذ يقول[1] : " ... حذفت الياء ، وأصله : (فارهبوني) ، ولكن الاختيار

---

(١) البيت لطرفة في ديوانه ق ٦٢٣/٣٩ ص ٢٠٨ ، وصدره : أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا، وفيه : بعضٍ بكسر الضاد ، وهو كذلك في كتاب سيبويه ٣٤٨/١ ، وابن يعيش١١٨/١.

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم من مطلع معلقته الشهيرة ، وصدره كما في الديوان (ميدان) ق ٣٥/١ ص ٤١ : ألا هبي بصحنك فاصبحينا ، وفيه : الأندرينا ، وفي الخصائص ٩٨/٢ الأندرينن.

(٣) معاني الأخفش ٧٨/١.

في الكلام والقرآن والشعر : ﴿ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ (البقرة ٢/ ٤٠) حذفت الياء ، واصله (فارهبوني) لأنها فاصلة ، ومعنى فاصلة : راس آية ، ليكون النظم على لفظ متسق ، ويسمي أهل اللغة رءوس الآي : الفواصل ، وأواخر الأبيات : القوافي " .

وقد ذكر الأزهري مثالاً آخر للوقف بالحذف ، في قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ (الزمر ٣٩/١٧)، حيث قال : " .... وروي عبيد عن أبي عمرو : إن كانت راس آية وقفت (عبادْ) ، وإن لم تكن راس آية قلت : (عبادي الذين) ، قال : وقراءته القطع ، وهي آية في عدد أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وأهل المدينة... وقرا الباقون (عباد الذين) محذوفة الياء " [٢].

ولو نظرنا إلى رءوس الآي التي تلت قوله تعالى : ﴿ وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ (البقرة ٢/٤١) لوجدنا أنها : (تعلمون - الراكعين – تعقلون... الخ)

فهذه كلمات - أسماء كانت أو أفعالاً - تنتهي بالنون المسبوقة بحركة طويلة (Long vowele) لتحقيق الاتساق الإيقاعي والصوتي.

ويلاحظ أن نون الوقاية المكسورة أغنت عن ذكر الياء ، ومع ذلك قرأ بعضهم بإثبات هذه الياء وقفاً ووصلاً ، لأنه الأصل [٣] في جميع الأمثلة التي ذكرها أهل المعاني.

---

(١) معاني الزجاج ١/ ١٢١.

(٢) معاني القراءات ٢/ ٣٣٧.

(٣) انظر معجم القراءات ١/ ٩١ ، والوقف في القراءات القرآنية ١٦٦.

كما يلاحظ أن الزجاج في هذا النص فرق بين القرآن وغيره من كلام البشر؛ كالنثر الذي سماه الكلام . والشعر ، وهي التفاتة دقيقة منه ، تابعه عليها كثير من البلاغيين[1] ، كما أنه ميز المصطلحات الخاصة بالقرآن عن غيره ، كمصطلح الفاصلة القرآني ، وهو يقابل مصطلح القافية في الشعر ، والسجع في النثر [2] وربما كان قد تأثر بالتراث البلاغي السابق عليه.

ويبقى أن أشير إلى أن هذا الحذف ورد قليلاً في غير الفواصل ، وله ما يبرره – كما ذكرت – من وجود كسرة الحرف التي أغنت عن الياء ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة ٢/١٨٦) (حيث يقول عنها أبو بكر ابن إدريس : " فمن أثبت الياء في الوصل والوقف فعلى الأصل ، ومن حذف – وصل أم وقف – اتبع الخط " [3]

ب - حذف ياء المنقوص :

أكثر الزجاج من ذكر نماذج لحذف ياء المنقوص في الوقف في كثير من المواضع في كتابه ، ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ (الأعراف ٧/٤١) حيث يقول[4] : " ... وكان سيبويه يذهب إلى أن التنوين عوض من ذهاب حركة الياء ، والياء سقطت لسكونها وسكون التنوين، فإذا وقفت ، فالاختيار أن تقف بغير ياء ، فتقول : غواش ، لتدل أن الياء كانت تحذف في الوصل ، وبعض العرب إذا وقف قال : غواشي ، بإثبات

(١) انظر علي سبيل المثال : العمدة (تحقيق د. النبوي شعلان) ١/١٠-١١.

(٢) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني (السيد صقر) ٦١ ، والفاصلة في القرآن ٢٩.

(٣) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل ١١(ب)

(٤) معاني الزجاج ٥/١٠.

الياء ، ولا أرى ذلك في القرآن؛ لأن الياء محذوفة في المصحف ، والكتاب على الوقف " ويقول الزجاج ايضا في تفسيره﴿ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ (لقمان ٣٣/٣١) : " جاز في المصحف بغير ياء والأصل جازيٌ ، وذكر سيبويه والخليل أن الاختيار في الوقف هو جازْ ، بغير ياء ، والأصل جازيٌ بضمة وتنوين ، فثقلت الضمة في الياء ، فحذفت وسكنت الياء والتنوين ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين ، وكان ينبغي ان يكون في الوقف بياء ؛ لأن التنوين قد سقط، ولكن الفصحاء من العرب وقفوا بغير ياء، ليعلموا أن هذه الياء تسقط في الوصل..."[1]. ويواصل الزجاج اهتمامه بهذا النوع من الوقف ، فيقول عند تفسيره : ﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ ﴾ (سبأ: ١٣/٣٤) : " اكثر القراء على الوقف بغير ياء ، وكان الأصل الوقف بالياء ، إلا ان الكسرة تنوب عنها ، وقد ذكر الأزهري القراءات في قوله تعالى: ﴿ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ (الحج ٢٥/٢٢) فقال :[2] " قرا ابن كثير : (والبادي) بالياء في الوصل والوقف ، ووصلها أبو عمر بياء ... وروى قالون والمسيبي وابنا ابي أويس عن نافع بغير ياء في وصل ولا وقف ، ... قال أبومنصور: من قرا بغير ياء فللاكتفاء بالكسرة الدالة على الياء، ومن قرا بالياء فهو الأصل".

وكذلك قال الأزهري في ﴿ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ ﴾ (سورة ق ٤١/٥٠) ، ويقول أبو بكر ابن إدريس : " فأما الياء في قوله : (الداعي) فلام الفعل.... فمن اثبت

---

(١) معاني الزجاج ٢٤٦/٤.

(٢) معاني القراءات ١٧٩/٢.

الياء فعلى الأصل ، ومن حذفها في الوصل اتبع المصحف ، وكانت الكسرة في الوصل دلالة على الياء "[1]

جـ - حذف ياء الفعل المعتل أو واوه :

جاء عند الأخفش في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ ﴾ " ... وإذا وقفت قلت : (يابَ) ؛ فتقف بغير ياء " . وهذا واضح لأن الفعل مجزوم ، غير أن الزجاج أورد بعض الأمثلة التي تحذف فيها ياء الفعل أو واوه دون أن يكون في محل جزم، ومن ذلك قوله: " الأكثر في الوقف : (نبغ) على اتباع المصحف ، ... ويجوز وهو أحسن في العربية (ذلك ما كنا نبغي) في الوقف ، أما الوصل ، فالأحسن فيه (نبغي) بإثبات الياء ، وهذا مذهب أبي عمرو ، وهو أقوى في العربية " وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ (الشورى ٤٢/ ٢٤) يقول [2] : وكتبت في المصحف بغير واو؛ لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين ، فكتبت على الوصل ، ولفظ الواو ثابت " .

٢ - الوقف بإلحاق هاء السكت :

أولاً : إلحاق هاء السكت في الوقف جوازاً :

أ - الوقف على الضمائر المنفصلة (هو أنا . هي)

(١) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل ٦ (ب).

(٢) معاني الزجاج ٤/٣٩٩.

جاء عند الأخفش فى معانيه [1] : " وحروف الإعراب : الذى يقع عليه الرفع والنصب والجر ، ونحو : (هو ، هى) ، فإذا وقفت عليه فأنت بالخيار .إن شئت الحقت الهاء وإن شئت لم تلحق " .

وفى موضع اخر يقول الأخفش : " واما قوله : ﴿ مَا هِيَهْ ﴾ (القارعة ١٠/١٠١) بالهاء . فلأن السكت عليها بالهاء ، لأنها راس آية " [2] وقد أطلق أبو بكر بن إدريس على هذه الهاء مصطلح هاء الاستراحة بعد أن ذكر القراءات فيها [3] وفى الآية نفسها يقول الزجاج : " الوقف (هيه) ، والوصل : هى نار حامية ، إلا ان الهاء دخلت فى الوقف تبين فتحة الياء ، والذى يجب: اتباع المصحف، فيوقف عليها ولا توصل، فيقرأ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ لأن السنة اتباع المصحف والهاء ثابتة فيه " [4]

وقد ذكر الأزهرى ما يؤيد موقف الزجاج حيث يقول : " وقرأ حمزة ويعقوب (ما هى) فى الوصل بغير هاء قال ابو منصور : الاختيار : الوقف على " ماهيه " لأن الهاء مثبتة فى المصاحف ؛ فلا يجوز إسقاطها وانت تجد إلى إثباتها سبيلا . [5] ويرى الفارسى ان هذه الهاء فى " ماهيه " لا تثبت فى الإدراج وإن ثبتت فى الوقف عليها " [6] اما (انا) فيقول عنها الفراء " ومن العرب من يقول إذا وقف : انهْ ، وهى لغة جيدة ، وهى فى عليا تميم وسفلى قيس " [7]

---

(١) معانى الأخفش ١/١٧٥٠

(٢) معانى الأخفش ٢/٥٨٣٠

(٣) النظر المختار فى معانى قراءات أهل الأمصار " اللوحة قبل الأخيرة من المخطوطة".

(٤) معانى الزجاج ٥/٣٥٦٠

(٥) معانى القراءات ٣/ ١٥٩٠

(٦) الإغفال ٢/ ٥٤٢.

(٧) معانى الفراء ٢/١٤٤٠

ب - ما الاستفهامية المجرورة بالحرف :

يرى الأخفش [1] أن ما الاستفهامية المجرورة بالحروف ، يجوز فى الوقف عليها الإتيان بهاء السكت بعدها، ويجوز عدم الإتيان بهذه الهاء وذلك كما فى ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (النبأ ١/٧٨) و ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ (النازعات ٤٣/٧٩)

وضرب الزجاج بعض الأمثلة لذلك ، مثل قوله تعالى ﴿ لِمَ تَكْفُرُونَ ﴾ (آل عمران ٧٠/٣) و ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف ٢/٦١) و ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ (الحجر ٥٤/١٥) ثم قال فإذا وقفت على هذه الحروف وقفت بالهاء ، فقلت لمه ، وبمه ، لأن الألف حذفت فى هذه الأسماء التى للاستفهام خاصة فجُوز ذلك ولا يجوز ذلك فى الموصلة ، لأن الألف فيهن ليست آخر الأسماء ...." [2]

ويقول ايضا فى ﴿ لِمَ تَقُولُونَ ﴾: " الأصل : (لما) فحذفت الألف؛ لأن ما واللام كالشيء الواحد فكثر استعمال (ما) واللام فى الاستفهام، فإذا وقفت عليها قلت : لمهْ " [3]

وكلام الزجاج لو ضممنا ما فى الموضعين بعضهما على بعض يفهم منه التفرقة الدقيقة بين ما الاستفهامية ، وما الموصولة ، فالأولى اتصلت بما قبلها - وهو حرف الجر - اتصالا شديدا ، حتى صارا معا كالكلمة

---

(١) انظر معاني الأخفش ١٧٥/١ .

(٢) معاني الزجاج ١ /٤٢٧-٤٢٨ .

(٣) معاني الزجاج ١٦٣/٥ .

الواحدة ، وهو ما لا يحدث مع الموصولة لأنها لا يوقف عليها وحدها ، لأنها لا تتم معنى إلا مع موصولها .

وقد ذكر الأزهرى أن يعقوب كان إذا وقف يقف على (عمّهْ) على هاء السكت ، والباقون إن وقفوا وقفوا على (ميم) [1] ثم قال أبو منصور : " ليس قوله (عمّ) موضع وقف ، وإن اضطر إلى الوقف قارئ لم يجز أن يقف على (عمه) بالهاء "[2].

ج - الوقف على الفعل المعتل ذى الأصل الواوى أو اليائى :

قال الأخفش[3]: " وقال ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام ٦/٩٠) وكل شئ من بنات الياء والواو فى موضع الجزم ؛ فالوقف عليه بـ (الهاء) ، ليلفظ به كما كان " أي إن هذه الهاء تعويضية في نظر الأخفش .

وقال الزجاج [4] " وهذه الهاء التى فى (اقتده) إنما تثبت فى الوقف ، تبين بها كسرة الدال فإن وصلت قلت : (اقتدِ) " . وذكر الأزهرى أن ابن عامر – وحده – لم يجعل هذه الهاء للسكت ، وقرأ (فبهداهم اقتدهى) [5] ثم نقل كلام الزجاج السابق ورجحه [6] .

---

(١) معاني القراءات ٣/١١٥ .

(٢) معاني القراءات ٣/١١٥.

(٣) قال الأخفش ١/٣٠٧ .

(٤) معانى الزجاج ٢/٢٧٠.

(٥) وقد علق ابن خالويه على هذه القراءة بقوله : " فأما من كسر هذه الهاء فى الوصل فقد وهم ، لأنها إنما جيء بها فى الوقف ، ليبين بها حركة ما قبلها ، وليست هاء كناية " الحجة ١٤٥ وانظر معجم القراءات ٢/٤٨٢.

(٦) معانى القراءات ١/٣٧٠

وفى قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ (البقرة٢/٢٥٩) ذكر الفراء ما يشير إلى أن الهاء فيه زائدة للسكت فى قوله [١] " ومن وصله بغير هاء جعله من المساناة ، ..... وتكون زائدة صلة ، بمنزلة قوله : ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾.

وقد ذكر جامع العلوم النحوى الرايين فى هذه الهاء أيضا ، ثم قال : " فمن قال : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ فالهاء للوقف " [٢] وكذلك فعل بيان الحق النيسابورى فى كتابيه فقال " إن قلت ساينته مساناة ، فالهاء للوقف ... " [٣]

د - الوقف على نون المثنى والجمع :

انفرد الأخفش بذكر جواز إلحاق هاء السكت بالنونات التى ليست بحروف إعراب ، وذلك مثل نون الجمع ونون الاثنين ؛ ونسب ذلك للعرب ؛ فقال : " وقد قالت العرب فى (نون الجمع) ونون الاثنين فى الوقف بالهاء : فقالوا : هما رجلانه ، مسلمونه " ..... [٤]

وهو هنا يتابع سيبويه الذى عقد بابا لهاء السكت سماه : (هذا باب ما تلحق الهاء لتبين الحركة) جاء فيه : " فمن ذلك النونات التى ليست بحروف إعراب ، ولكنها نون الاثنين والجميع ، وكان هذا أجدر أن تبين حركته، و حيث كان من كلامهم أن يبينوا حركة ما كان قبله متحركا

---

(١) معانى الفراء ١٧٢/١.

(٢) الكشف ٢٩٩/١.

(٣) باهر البرهان ٢٥٦/١ وانظر إيجاز البيان ١/ ٣٠١و ١٦٧ .

(٤) معانى الأخفش ١٧٥/١.

مما لم يحذف من آخره شيء لأن قبله مسكن .... وذلك : هما ضاربانه ، وهم مسلمونه ، وهم قائلونه .....[1]

ولكني لم أجد من تابع هذين الشيخين الكبيرين من علماء المعاني على هذا الرأي !

(١) الكتاب ١٦١/١.

ثانياً : إلحاق هاء السكت وجوباً :

أ - بعد ألف الندبة أو النداء :

في تفسيره لقوله تعالى ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ ﴾ (هود ٧٢/١١) يقول الأخفش [١] " فإذا وقفت قلت : (يا ويلتاه) ؛ لأن هذه الألف خفية ، وهي مثل الف الندبة ، فلطفت من ان تكون في السكت ، وجعلت بعدها الهاء ؛ ليكون ابين لها ، وابعد للصوت ، وذلك ان الألف إذا كانت بين حرفين كان لها صدى، كنحو الصوت يكون في جوف الشيء فيتردد فيه ، فيكون اكثر وابين. ولا تقف علي هذا الحرف في القرآن كراهية خلاف الكتاب ، وقد ذكر انه يوقف على الف الندبة ، فإن كان هذا صحيحاً وقفت على الألف " .

وفي تفسيره لهذه الآية يقول الزجاج ايضاً [٢] : " المصحف فيه (يا ويلتي) بالياء ، والقراءة بالألف... ويجوز الوقف بغير الهاء ، والاختيار أن يوقف عليه بالهاء : يا ويلتاه ، فاما المصحف فلا يخالف ، ولا يوقف عليه .... فإن اضطر واقف وقف بغير الهاء " .

ويزيد الزجاج رايه وضوحاً في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ ﴾ (المائدة ٣١/٥) فيقول : " فاما يا ويلتا ، فالوقف عليها في غير القرآن: يا ويلتاه، والنداء لغير الآدميين .... فعلى هذا كلام العرب " [٣]

---

(١) معاني الأخفش ٣٨٥/١.

(٢) معاني الزجاج ٦٣/٣.

(٣) معاني الزجاج ١٦٧/٢-١٦٨.

وفى كلمة اخرى يؤكد الأخفش رايه هذا ، فيقول في ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ (يوسف: ٨٤/١٢): " فإذا سكت الحقت في آخره الهاء؛ لأنها مثل الف الندبة " [١].

وقد بني الأخفش والزجاج رايهما هذا على ان الألف (صوت الحركة الطويلة) فيه خفاء وضعف ، عبر عنه الأخفش باللطف ، وهذا لا يتناسب مع قوة النداء وطلب الغوث في الندبة ، وهو ما يتفق مع راي سيبويه إذ يقول : "وقد يلحقون في الوقف هذه الهاء الألف التي في النداء ، والألف والواو والياء التي في الندبة؛ لأنه موضع تصويت وتبيين ، فأرادوا ان يمدوا فألزموها الهاء في الوقف لذلك ، وتركوها في الوصل... وذلك مثل قولك : يا غلاماه ، ووازيداه... " [٢]

ولعل هذا القول يفسر لنا ما جاء في نصّ الأخفش الأول من قوله : " وقد ذكر انه يوقف على الف الندبة ، فإن كان هذا صحيحا وقفت على الألف " .

ب - إلحاق هاء السكت بالكلمة التي أخل بها الحذف :

وذلك مثل كلمة (ابت) التي يقول عنها الأخفش: "وقال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ (مريم: ٤٤/١٩) : فإذا وقفت قلت : (يا ابه) ، وهي (هاء) زيدت كنحو قولك : (يا امه) ، ثم قال : (يا ام) إذا وصل ، ولكنه لما كان (

---

(١) معاني الأخفش ٣٩٩/١.

(٢) الكتاب ١٦٥/٤.

الأب) على حرفين كان كأنه قد أخل به ، فصارت الهاء لازمة ، .... وتقف في القرآن : (يا أبتْ) ؛ وقد يقف بعض العرب على هاء التأنيث " [1].

وقد ذكر الفراء احتمالات القراءة في هذه الكلمة فقال " وقوله (يا أبت) لا تقف عليها بالهاء ، وأنت خافض لها في الوصل؛ لأن تلك الخفضة تدل على الإضافة للمتكلم ، ولو قرأ قارئ (يا أبتُ) لجاز ، وكان الوقف على الهاء جائزاً ، ولم يقرأ به أحد نعلمه [2] ، ولو قيل : (يا أبتَ) لجاز الوقوف عليها بالهاء من جهة ، ولم يجز من أخرى ، فأما جواز الوقوف على الهاء ، فأن تجعل الفتحة فيها من النداء ، ولا تنوي أن تصلها بألف الندبة ، فكأنه كقول الشاعر : [الطويل]

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ [3]

وأما الوجه الذي لا يجوّز الوقف على الهاء ، فأن تنوي : يا أبتاه ، ثم تحذف الهاء والألف؛ لأنها في النية [4] متصلة بالألف ، كاتصالها في الخفض بالياء من المتكلم " [5]

---

(١) معاني الأخفش ٢/٤٣٨.

(٢) انظر القراءات في هذه الكلمة وقفًا ووصلاً في معجم القراءات ٤/١٧٢-١٧٦.

(٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ق ٣/١ص٤٠ ، وقد جاءت الرواية : أميمة بالفتح ، قال الأصمعي : أراد (يا أميم) فلم يمكنه ، فأدخل الهاء وفي نيته الترخيم ، فحركها بحركة الميم ، وهذا كثير في الكلام والشعر " انظر الديوان (الموضع السابق).

(٤) هكذا في النص ، ولعل الصواب (الندبة) .

(٥) معاني الفراء ٢/٢١٠ .

٣ -الوقف بالسكون أو الروم أو الإشمام :

الوقف بالسكون أكثر أنواع الوقف شيوعاً ، ففي دراسة إحصائية أجراها صاحب (الفاصلة في القرآن) تبين له أن عدد فواصل الوقف على الروي الساكن (٥١٩٧) [١] ، وهو رقم كبير جداً بالنسبة لعدد آي القرآن.

ولذا فإن أكثر أهل المعاني لا يذكر هذا الوجه من أوجه الوقف ، لأنه عندهم لا يحتاج إلى التنبيه عليه أو الإشارة إليه ، إلا في مواضع قليلة ، لعل من أبرزها :

أ. الوقوف علي الهمزة :

فقد تعرض لهذا الوقف علمان كبيران هما الأخفش والفراء ، وإن كان الأخفش أكثر إيراداً للنماذج في هذا الباب من الفراء.

ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ ﴾ (المائدة ٢٩/٥) يقول الأخفش : " فإذا وقفت قلت : (تبوا) ؛ لأنها : أن تفعل ، فإذا وقفت علي تفعل ، لم تحرك ، قال ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا ﴾ (يونس ٨٧/١٠)) إذا وقفت عليه ؛ لأنه (أن تفعلا) ، وأنت تعني فعل الاثنين ، فهكذا

---

(١) انظر الفاصلة في القرآن ٢٩٦ ، وهذا على النقيض تماماً من الشعر ، فقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن نسبة القوافي المقيدة (الساكنة) لا تزيد عن ١٠% من مجموع القوافي التي يستخدمها الشعراء بينما تمثل القوافي المطلقة (المتحركة) نسبة ٩٠% تقريباً ، انظر موسيقى الشعر له ٢٨١. وصدق الله إذ يقول : (وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ) (يس: ٦٩/٣٦)

الوقف عليه ، قال : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ (يونس ١٠/٩٣) فإذا وقفت قلت : (مبوا) ، ولا تقول : مبواا لأنه مضاف "[1].

كما اشار الأخفش إلى جواز الرَّوم والإشمام في الوقوف علي الهمزة الساكنة ، إذ يقول : " وإذا وقفت على ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ﴾ (النحل ١٦/٤٨) قلت : يتفيأ، كما تقول : تتفيع جزماً ، وإن شئت اشممتها الرفع ورمته ، كما تفعل ذلك في : هذا حجُر "[2].

اما الفراء فقد اشار إلي ضعف صوت الهمزة حين يكون ساكناً مسبوقاً بساكن إلى حد خفائه ، حيث يقول[3] : " وقوله : لكم فيها دفء.... كتبت بغير همزة إذا سكن ما قبلها حذفت من الكتاب ، وذلك لخفاء الهمزة إذا سكت عليها ، فلما سكن ما قبلها ، ولم يقدروا على همزها في السكت كان سكوتهم كانه على الفاء ، وكذلك قوله : يخرج الخبأ) و(النشأة)[4] و(ملء الأرض) ، واعمل في الهمز بما وجدت في هذين الحرفين " .

والتفسير الصوتي الذي ذكره الفراء صحيح ، لأن الانتقال من نطق صوت الفاء الاحتكاكي (وهو صوت شفوي اسناني) إلى نطق الهمزة (وهي

---

(١) معاني الأخفش ١/١٧٦.

(٢) معاني الأخفش ٢/٤١٦ ، وانظر القراءات في الوقف على الهمزة في معجم القـراءات ٤/٦٣٨.

(٣) معاني الفراء ٢/٩٦.

(٤) كلمة النشأة هنا لا ينطبق عليها كلام الفراء ، لأن الهمزة فيها ليست ساكنة حال الوقف ، ولعلها مقحمة على النص سهواً ، لأن الفراء يقول في النص نفسه : (واعمل في الهمز بما وجدت في هذين الحرفين) يشير بذلك لكلمتين اثنتين لا غير!

صوت انفجاري) صعب ، قال سيبويه عن الهمزة (نبرة في الصدر ، تخرج باجتهاد ، وهي أبعد الحروف مخرجاً " [1]

بـ الوقف على الاسم المنون غير المنصوب :

الأصل في المنون بالجر او الرفع ان يوقف عليه بالسكون ، ولذا فإن هذا النوع من الوقف لم يحتج إلي معالجة طويلة لعلماء معاني القرآن . ولذا صعب علينا إيجاد نماذج له في كتبهم ، غير أن من تلمس الشيء وجده . فقد عثرت علي نصين في هذا لعالمين كبيرين ، هما الزجاج والأزهري . فأما الزجاج فإن كلامه مختصر ، وقد اشار محقق كتابه إلى وجود خرم في المخطوطة في هذا الموضع ، حيث يقول الزجاج : " قوله عز وجل " ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ (الإخلاص ١١٢/١-٢) بتنوين احد ، وقرئت بترك التنوين : (أحد الله الصمد) . وقرئت بإسكان الدال ، وحذف التنوين.... فمن اسكن اراد الوقف ثم ابتدا : (الله الصمد) (الإخلاص ٢/١١٢) " [2].

اما الأزهري؛ فقد ذكر القراءات في هذه الكلمة ، فقال : " قال ابو عمرو وحده (قل هو الله احدْ الله الصمد) يقف على احد ولا يصل ، والعرب لا تصل مثل هذا "[3] وبعد ان ذكر قراءة غير أبي عمرو وجه هذه القراءات بقوله[4]:

---

(١) الكتاب ١٦٧/٢.

(٢) معاني الزجاج ٣٧٧/٥ ، وانظر قول المحقق في هامش هذه الصفحة.

(٣) معاني القراءات ١٧٢/٣.

(٤) نفسه.

"من حذف التنوين ، فلالتقاء الساكنين. ومن أسكن الدال أراد الوقف ثمابتداء : (الله الصمد) ، ومن نون فهو وجه الكلام.. " [1]

ويتبين من هذا ان الأزهري لم يضف جديداً على قول الزجاج؛ فالمسألة لا خلاف فيها!

جـ. الوقف على الحروف المقطعة بالسكون :

تكاد كلمة اهل المعاني تتفق علي ان الوقف علي الحروف المقطعة في بداية السور إنما يكون بالسكون ، يقول الأخفش : " اما قوله ﴿ الٓمٓ ﴾ (البقرة ١/٢) فإن هذه الحروف اسكنت؛ لأن الكلام ليس بمدرج ، وإنما يكون مدرجاً لو عطف بحروف العطف؛ وذلك ان العرب تقول في حروف المعجم كلها بالوقف ، إذا لم يدخلوا حروف العطف ، فيقولون : ألف با تا ثا ، ويقولون: الف وباء وتاء وثاء ، وكذلك العدد عندهم ما لم يدخلوا حروف العطف ، يقولون : واحد. اثنان. ثلاثه " [2]

وذكر الأخفش ان " قوماً قد نصبوا (يس) و(طه) و(حم)... وذلك انهم جعلوها كالأسماء الأعجمية : (هابيل وقابيل) ... أو جعلوها كالأسماء التي غير متمكنة ، فحركوا أواخرها حركة واحدة ، كفتح (اين)" [3].

---

(١) انظر تفصيل هذه القراءات في معجم القراءات ١٠/٦٣٧-٦٣٨.

(٢) معاني الأخفش ١/١٩.

(٣) السابق ١/١٩-٢٠ .

وقال الفراء : " الهجاء موقوف في كل القرآن ، وليس بجزم يسمي جزماً ؛ إنما هو كلام جزمه نية الوقوف على كل حرف منه ، فافعل ذلك بجميع الهجاء ، فيما قل أو كثر " .

اما الزجاج فقد عقد لهذه الحروف باباً - على غير عادته - سماه (هذا باب حروف التهجي) توسع فيه ، وتتبع هذه الحروف في مواضعها ، وتحدث عن موقف النحويين والقراء منها ، وكان مما قال[1] : " ... فإجمال النحويين ان هذه الحروف مبنية على الوقف لا تعرب ، ومعنى قولنا (مبنية على الوقف) انك تقدر ان تسكت على كل حرف منها ، فالنطق : الف لام ، ميم ، ذلك... "

وإذا كان الزجاج قد عقد باباً متوسطاً نسبياً - في هذه الحروف؛ فإن تلميذه ابا علي الفارسي كان له بالمرصاد ، إذ تعقبه في بعض ما قاله من تفصيلات جزئية ، وخصص مسألتين كاملتين من مسائل كتابه لهذا التعقب[2] ، مما لا يدخل الآن في موضوعنا ، غير ان الذي يعنينا اتفاق مع رأي جمهور النحويين علي أن " هذه الحروف موضوعة علي الوقف عليها دون الوصل بها ، والدليل علي ذلك ، قولهم في التقطيع والتهجي : قاف ، صاد ، لام ، ونحو ذلك مما جاء علي أكثر من حرفين فلم تحرك أواخرهن " [3] والتفت الفارسي - بدقته المعروفة – إلي كون هذه الحروف ، تظل حروفاً ، إلا إذا " اخبرت عنها فقد اخرجتها بذلك من حيّز الأصوات ، وادخلتها في جملة الأسماء المتمكنة ، واستحقت ان تعرب للإخبار عنها ... فدخلت بذلك

---

(١) معاني الزجاج ١/٥٩.

(٢) الإغفال ١/٨٢-١١٢.

(٣) الإغفال ١/٨٣.

في حد المتمكنات ، وخرجت من باب الأصوات... وكذلك إذا عطفت؛ لأن الأصوات ليس حكمها أن تعطف بحرف العطف؛ إذ حال العطف كالتثنية "[1]

وهذا كلام نفيس لم يختلف أحد حوله.

ولم يخرج الأزهري في كتابه عما سبق ذكره من آراء ، ويبدو أنه جاري الزجاج والفارسي (معاصره) في إطالة الحديث حول هذه المسالة ، وما يعنينا هنا قوله : " وإجماع النحويين علي أن هذه الحروف مبنية علي الوقف " [2].

٤ - الوقف بالإبدال :

وهذا الوجه من أوجه الوقف التي اهتم بها علماء المعاني ، وله عندهم صور ، منها :

أ. الوقف على تاء التانيث :

تبدل تاء التأنيث عند الوقف عليها هاء ، وقد جاء لذلك أمثلة كثيرة عند علماء المعاني ، قال الأخفش [3] " واما ما سمعنا في ﴿ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ (النجم ١٩/٥٣) في السكت عليها ؛ (فاللاه) ، لأنها (هاء) فصارت (تاء) في الوصل ؛ وهي في تلك اللغة ؛ مثل : (كان من الأمر كيت وكيت) ، وكذلك (هيهات) (المؤمنون ٢٣/٣٦) في لغة من كسر " ولم يكتف الأخفش بهذا الراي ، بل ذكر في هذه المسألة آراء اخرى ، فقال[4] :" وسمعنا من العرب من يقول : (أفرأيتم اللاتِ والعزّى) ويقول : (هي اللاتْ) ، (قالتْ) ذاك ، فجعلها

---

(١) نفسه.

(٢) معاني القراءات ١/ ١٢٠.

(٣) معاني الأخفش ١١/١.

(٤) معاني الأخفش ١١/١.

(تاء) في السكوت " ، ويقول ايضاً : " إلا انه يجوز في (هيهات) أن تكون جماعة ؛ فتكون التاء التي فيها تاء الجميع التي للتأنيث ، ولا يجوز ذلك في (اللات) لأن (اللات) و(كيت) لا يكون مثلها جماعة ، لأن التاء لا تزاد في الجماعة إلا مع الألف ، فإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقي الاسم على حرف واحد "[1].

اما الفراء فقد اختصر كلامه في هذا الموضع فقال : " ... وكان الكسائي يقف عليها بالهاء) (افرايتم اللاه) قال وقال الفراء : وانا أقف على التاء "[2] ثم فصل في موضع آخر ، فقال[3] : " فإذا وقفت علي (هيهات) وقفت بالتاء في كلتيهما ؛ لأن من العرب من يخفض التاء ، فدل ذلك على أنها ليست بهاء التأنيث... ومنهم من يقف على الهاء ؛ لأن من شأنه نصبها فيجعلها كالهاء ، والنصب الذي فيهما أنهما اداتان جمعتا فصارتا بمنزلة خمسة عشر ، وإن قلت إن كل واحدة مستغنية بنفسها ، يجوز الوقوف عليها ، فإن نصبها كنصب قوله :

(قُمْتُ ثُمَّتَ جلست) ، وبمنزلة قول الشاعر : [السريع]

مَــا ويَّ بَــلْ رُبَّتَمَــا غــارة شعْواء كاللذعــة بالميســم[4]

---

(١) معاني الأخفش ١٢/١.

(٢) معاني الفراء ٩٧/٣.

(٣) معاني الفراء ٢٣٥/٢-٢٣٦.

(٤) هذا البيت من شواهد النحو المعروفة ، وهو لضمرة بن ضمرة النهشلي (شاعر جاهلي) في نوادر أبي زيد ٢٥٣، وبلا نسبة في الإنصاف (محيي الدين)١٠٥/١ ، و (د. جودة ٩١ ، واللسان ٤٠٩/١ دار صادر ، وابن يعيش ٣١/٨ ، والأشباه والنظائر للسيوطي (د. عبد العال) ١٨٦/٣ والخزانة ٣٨٩/٩ ، وأمالي ابن الشجري (د. الطناحي) ٤١٣/٢.

فنصب هيهات بمنزلة هذه الهاء التي في : ربت.... واختار الكسائي الهاء ، وأنا أقف على التاء " .

ومال أبو علي الفارسي إلى رأي الكسائي هذا فقال : " اعلم أن الأجود في ذلك الوقف بالهاء" [1]

وأما في قوله : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ فلم يزد الفراء على أن قال : "أقف على (لا)بالتاء ، والكسائي يقف بالهاء"[2] على حين أطال الزجاج القول ، فكان مما قال : والوقف عليها (لات) بالتاء و الكسائي يقف بالهاء(لاه) لأنه يجعلها هاء التأنيث ، وحقيقة الوقف عليها بالتاء ، وهذه التاء نظيره التاء في الفعل في قولك : (ذهبت وجلست) ، وفي قولك : رأيت زيداً ثمت عمراً ، فتاء الحروف بمنزلة تاء الأفعال... " [3]

أما الفارسي؛ فكعادته خص هذا الوجه من الوقف بمسألة خاصة (المسألة الثانية والمائة) وقد وافق فيها الزجاج - علي خلاف المتوقع - في أن الوقف علي (لات) أرجح في القياس بالتاء ، لأن (لات) حرف ، " والحرف بالفعل أشبه منه بالاسم " [4] ، ويستدل الفارسي لرأيه – مخطئاً رأي الكسائي في هذا الموضع - بأن تاء التأنيث يوقف عليها في بعض اللغات بالتاء ، كما حكاه سيبويه عن أبي الخطاب ، وكما أنشده أبو الحسن من قوله : [الرجز]

---

(1) الإغفال ٢/٥٣٤.

(2) معاني القراء ٢/٣٩٨.

(3) معاني الزجاج ٤/٣٢.

(4) الإغفال ٢/٥٢٣

بل جوزُ تيهــاءَ كظهــر الحجفــتْ[1]

فان تترك تاء في الحرف ولا تقلب اجدر ، فبهذا يترجح هذا القول على قول الكسائي في القياس "[2]

وقد مر بنا أن الفارسي وافق الكسائي من قبل في الوقوف على (اللات) بالتاء ، لكنه رجح هنا خلاف ذلك ، لأسباب دقيقة مقنعة ، ذلك ان (لات) حرف ، (واللات) اسم ، والتاء في اللات وقف على مثله أكثر العرب بالهاء ، لأنها للتأنيث " والدليل ان التاء في (اللات)... للتأنيث : قوله تعالى : ﴿ إن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ (النساء ١١٧/٤) وهي اللات والعزى ومناة ، ومعنى التأنيث فيها : تأنيث اللفظ ؛ إذ التأنث الحقيقي لا يصح فيها ؛ لأنها جماد ، فالأجود الوقف بالهاء "[3] .

وفى تفسير تحول التاء إلى هاء يقول الدكتور رمضان عبد التواب : " ومن الملاحظ ان قولنا إن التاء تقلب هاءً ، إنما هو بالنظر إلى النتيجة النهائية، وإلا فإنه لا توجد علاقة صوتية بين التاء والهاء ، وإنما تطور المسألة أن التاء سقطت حين الوقف على المؤنث ، فبقى المقطع السابق عليها مفتوحاً

---

(١) البيت من أرجوزة طويلة لسؤر الذئب ، في اللسان (حجف) ٣٩/٩ دار صادر ، وبلا نسبة في معاني الأخفش ٢٩٥/١ ، وسر الصناعة ١٥٩/١ ، والخصائص ٣٠٥/١، والمحتسب ٩٢/٢، والإنصاف (محيي الدين) ٣٧/١ و (د. جودة) ٣٢٤ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٢٧٧/٢ والجوز : الوسط ، والتيهاء الصحراء ، والحجفة : الترس.

(٢) الإغفال ٥٢٣/٢.

(٣) الإغفال ٥٣٦/٢-٥٣٧ .

ذا حركة قصيرة ، وهذا النوع من المقاطع تكرهه العربية فى أواخر الكلمات ، فتتجنبه بإغلاق المقطع عن طريق امتداد النّفس بهاء السكت " [1].

على انه يجب ان نتذكر ان بعض العرب تقف على تاء التأنيث بالتاء لا بالهاء إجراءً للوقف مجرى الوصل ، قال الأخفش : " ولغة للعرب يسكتون علي ما فيه (الهاء) بالتاء ، يقولون : رايت طلحت ، وكل شئ في القرآن مكتوب بالتاء؛ فإنما تقف عليه بالتاء ، نحو : ﴿ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ﴾ (الزخرف ١٣/٤٣) و ﴿ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ [2] (الدخان ٤٣/٤٤). وذلك لديه لوجوب اتباع الرسم.

وقد عد الفارسي الوقوف علي تاء التأنيث بالتاء لغة قليلة ؛ فقال : " وحكي سيبويه عن ابي الخطاب ان بعضهم يقول في الوقف (طلحت) ، وهذه اللغة اقل من الأخري " [3] وقد نسب الدكتور رمضان عبد التواب هذا الوقف إلي قبيلة طيء وحدها ، وذكر ان اللغتين الأكادية والحبشية تصنعان الصنيع نفسه [4].

الوقف على المنون المنصوب :

فى تفسيره لقوله تعالى ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ ﴾ (التوبة ٥٧/٩) قال الأخفش: " ، إذا وقفت على ملجا قلت : (ملجا ا) لأنه نصب منون ، فتقف بالألف ، نحو قولك : رايت زيدا " . [5]

---

(١) مقدمة تحقيقه لكتاب البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ٤٧ ، وانظر فى اللهجات العربية ١٣٠ .

(٢) معاني الأخفش ٢/٥٢٦-٥٢٧.

(٣) الإغفال ٢/٥٣٤-٥٣٦.

(٤) انظر : الخصائص اللغوية لقبيلة طيء القديمة – مبحث ضمن كتاب بحوث ومقالات في اللغة٢٥٩ ، وانظر أيضاً فقه اللغات السامية لبروكلمان ٩٦.

(٥) معاني الأخفش ١/٣٦٠ وانظر أيضاً ٣٦٧/١.

وهذا مما لا خلاف عليه بين النحويين والقراء [1] ولذا لم يحتج علماء المعانى أن يشيروا إليه بعد الأخفش إلا الزجاج الذى ذكر إبدال نون التنوين ألفا عرضا فى أثناء حديثه عن نون التوكيد الخفيفة فقال : " ... فإذا وقفت قلت : اضربا ، كما أبدلت فى : رأيت زيدا الألف من التنوين " [2]

وقال النحاس فى إعراب القرآن فى (لو يجدون ملجًا): " كذا الوقف عليه ، وفى الخط بألفين ، الأولى همزة ، والثانية عوض من التنوين ، وكذا رأيت (جزا ا) " [3]

ب- الوقف على نون التوكيد الخفيفة :

ذكر الأخفش بعض أمثلة هذا الوقف ، عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ (يوسف ٣٢/١٢) فقال [4] : فالوقف عليها : (وليكونا)؛ لأن النون الخفيفة إذا انفتح ما قبلها فوقفت عليها جعلتها ألفاً ساكنة ، بمنزلة قولك : (رأيت زيداً) ومثله : ﴿ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ (العلق ١٥/٨٧) ، الوقف عليها (لنسفعا) " وفي تفسيره لقوله تعالى : " وليكونا " أيضاً قال الزجاج [5] : " القراءة الجيدة تخفيف : ليكوناً ، والوقوف عليها بالألف؛ لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف الألف ، تقول : اضرباً زيداً ، فإذا وقفت قلت : اضربا " .

---

(١) إلا ما كان من قراءة حمزة في الوقف بالتسهيل وهي قراءة هشام بخلاف عنه ، انظر معجم القراءات ٤٠٥/٣.

(٢) معاني الزجاج ١٠٨/٣.

(٣) إعراب القرآن ٢٢١/٢.

(٤) معاني الأخفش ١/ ٣٩٧ .

(٥) معاني الزجاج ١٠٨/٣.

٥ - الوقف بزيادة الألف :

هذا الوجه من أوجه الوقف له صور متعددة ، منها :

أ- زيادة ألف في الفواصل :

ومن ذلك ما اورده الزجاج في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ (الأحزاب ١٠/٣٣) حيث يقول [1] : اختلف القراء فيها ، فقرا بعضهم باثبات الألف في الوقف والوصل ، وقرا بعضهم (الظنون) بغير الف في الوصل ، وبألف في الوقف... والذي عليه حذاق النحويين والمتبعون السنة من حذاقهم ان يقراوا (الظنونا) ، ويقفون علي الألف ولا يصلون.. ومثل هذا من كلام العرب في القوافي : [الوافر]

أقلي اللوم عاذل والعتابا [2]

فاثبت الألف؛ لأنها في موضع فاصلة وهي القافية ".

وقد ذكر الأزهري وجوه القراءات في هذه الأية واشباهها في القرآن الكريم ، مقتبساً من كلام الزجاج كثيراً من العبارات ، بلا إشارة ، ثم قال : "والاختيار عندي الوقوف على هذه الألفات ، ليكون القارئ متبعاً للمصحف ،

---

(١) معاني الزجاج ٢١٨/٤.

(٢) هذا صدر بيت لجرير ، من قصيدة يهجو فيها الراعي النميري ، وعجزه : وقولي إن أصبت لقد أصابا ، وهي في ديوانه ق ١/٣ص ٨١٣ ، وذكر البغدادي (في خزانة الأدب ٧٤/١) أن العرب تسمي هذه القصيدة الفاضحة ، لأن جريراً أقذع فيها في هجاء بني نمير ، قوم الراعي ، حتى فُضحوا بها. وانظر البيت في الخزانة ٣٣٨/١ .

محققاً لما كتب فيه ، مع موافقة كلام العرب ، والقرآن عربي ، نزل بلغتهم "[1].

وتحدث جامع العلوم النحوي عن هذا الوقف أيضاً فقال : (الظنونا) بالألف وتركها ، فمن الحق الألف فلأنها فاصلة ، والفواصل تلحقها الألف تشبيها بالقوافي ، ومن لم يلحق الألف قال : إن الألف تكون بدلاً من التنوين من نحو : رأيت رجلاً "[2].

وغير خفي أن عبارة (والفواصل تلحقها الألف تشبيهاً بالقوافي) لا تليق بكتاب الله عز وجل ، فكيف نقول إن القراء جعلوا القوافي أصلا يحتذونه ؟ وأين الرواية إذن ؟ أليست سنة متبعة ؟ والعجب من ابن جني أيضاً في تعليله لوجود هذه الألف بقوله : " فإنما ذلك على إشباع الفتحة للوقف "[3] إذ معروف أن الوقف يكون بالتسكين ، فأين الفتحة التي تحتاج إلى إشباع ؟"

وقد حاول بيان الحق النيسابوري أن يوجد تفسيراً من قبله لهذا الإشكال فقال :﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾: هذه الألف لبيان الحركة "[4] وأضاف في إيجاز البيان : " إذ لو وقف بالسكون لخفي إعراب الكلمة ، وكما تدخل الهاء لبيان الحركة في (ماليه) و (حسابيه)[5].

---

(١) معاني القراءات ٢/٢٧٨.

(٢) الكشف ٢/٢٢٣-٢٢٤.

(٣) سر صناعة الإعراب ٢/٤٧١ ، وانظر الوقف في القراءات القرآنية ١٧١ .

(٤) باهر البرهان ٢/١١٢٧ ، وإيجاز البيان ٢/٦٦٩.

(٥) إيجاز البيان ٢/٦٦٩.

وهذا الكلام لا يصعب قبوله ، ولكن الأولي من ذلك ان نقول : إن اتساق الفواصل القرآنية علي نسق واحد هو الذي ادى لهذا ؛ لأن الفواصل قبلها (مسطورًا - غليظاً - بصيرا) ، وبعدها (شديداً - غروراً - فراراً ...) فكان من المناسب طرد الباب على وتيرة صوتية واحدة؛ لأن هذه من خصائص لغة العرب ، التي تظهر في الشعر والنثر ، وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين.

ب- الف الضمير (انا) في ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾ (الكهف ١٨/٣٨)

قال الفراء في تفسير هذه الآية : " معناه : لكن انا هو الله ربي ، ترك همزة الألف من انا ، وكثر بها الكلام ، فادغمت النون من (انا) مع النون من (لكن) ، ومن العرب من يقول : انا قلت ذاك ، بتمام الألف ، فقرئت (لكنا) على تلك اللغة ، واثبتوا الألف في اللغتين في المصحف: كما قالوا : رايت يزيداً وقواريراً ، فثبتت فيهما الألف في القولين إذا وقفت ، ويجوز الوقوف بغير الف في غير القرآن في انا " [1]

وهذا القول من الفراء يعني أن الألف عند من اثبتوها في المصحف زائدة ، كما زيدت في: رأيت يزيدا وقواريرا فيزيد ، وقوارير ، كلمتان ممنوعتان من الصرف ، ومن اثبت فيهما الألف فمن باب صرف مالا ينصرف ، وبخاصة ان العرب كما يقول الكسائي : " تقول : لكنّ والله ، يريدون : لكنّ انا والله ، وقال الكسائي : سمعت بعض العرب تقول : إن قائم ، يريد إن انا قائم ، فترك الهمز وادغم ، فهي نظير (لكن) " [2].

---

(١) معاني الفراء ٢/١٤٤.

(٢) معاني الفراء ٢/١٤٥.

وقد فصل الزجاج الأمر تفصيلاً كبيراً ، فقال[1]... وحذفت الألف في الوصل لأنها تثبت في الوقف وتحذف في الوصل ، ومن قرا : (لكنا) فاثبت الألف في الوصل ، كما كان تثبيتها في الوقف فهذا على لغة من قال : انا قمت، فاثبت الألف .. وإثباتها شاذ في الوصل ولكن من اثبت فعلى الوقف ، كما اثبت الهاء في قوله : (وما أدراك ماهيه) ، (وكتابيه)... وفي (أنا) في الوصل ثلاث لغات اجودها : انا قمت ، بغير الف في اللفظ ، ويجوز انا قمت ، بإثبات الألف وهو ضعيف جداً ، وحكوا : ان قمت ، بإسكان النون ، وهو ضعيف ايضاً.

فاما ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾ ، فهو الجيد بإثبات الألف؛ لأن الهمزة قد حذفت من (انا) ، فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة " .

وقد تعقبه ابو علي الفارسي - كالعادة – وعقد مسألة كاملة ، للرد على الجملة الأخيرة من كلامه وهي (المسألة الحادية والثمانون) ، وجاء فيها[2] : " ما أري ما قاله من قول من قال : (إن إثبات الألف هو الجيد ؛ لأنه صار عوضاً من حذف الهمزة) ، كما قال؛ وذاك ان هذه الألف تلحق في الوقف ، فلا يسوغ ان تلحق في الوصل؛ لأن هذه مثل الهاء في ، (ماهيه) و(حسابيه) و(كتابيه) ، فالهاء في هذا الطرف مثل الف الوصل في ذلك الطرف ، كما ان إثبات الهمزة في الوصل خطأ ، كذلك إثبات الهاء والألف ، ولو جاز هذا لجاز ان تثبت الهاء في مثل : (اقتده) عوضاً من المحذوف... " ويسترسل ابو علي في سوق ادلته وحشدها ، فيقول : " ومما يؤكد ان العوض لا يجب : ان (أنا) علامة ضمير ، وعلامات الضمير لا ينكر كونها علي حرف او حرفين ، بل ذاك الأغلب فيها والأكثر " .

(١) معاني الزجاج ٣/٢٨٦-٢٨٧ بتصرف يسير.

(٢) الإغفال ٢/٣٧٦-٣٧٧.

ولسنا في حاجة إلى مزيد من كلام الفارسي ، ففكرته واضحة ، وأدلته قوية ، تقوم علي أساس أن (أنا) ضمير ، في أصله (أن) ، ككثير من الضمائر مثل : هو ، وهي ، وهذه الضمائر قد يلتحق بها - أحياناً - عند الوقف هاء السكت ، فكذلك تلحق الألف (أنا) في الوقف ، دون حاجة إلي الزعم بأن الألف عوض عن شئ ، كما أننا لا نحتاج للزعم بأن الهاء عوض عن شيء.

أما الأزهري فقد ذكر القراءات في (لكن) على طريقته المعهودة[1] ، ثم قال[2] : " من قرأ (لكنا) فأثبت الألف في الوصل ، كما كان يثبتها في الوقف ، فهو على لغة من يقول : (أنا قمت) فأثبت الألف ، كما قال الشاعر : [الوافر]

أنا سيف العشيرة فاعرفوني حميداً قد تذريت السناما [3]

---

(١) انظر القراءات في هذا الموضع بتفصيل دقيق في معجم القراءات ٥/٢١١-٢١٦ ففيه ما يشبه البحث في هذه المسألة.

(٢) معاني القراءات ٢/١١٠.

(٣) البيت أثبته العلامة عبد العزيز الميمني في ديوان حميد بن ثور الهلالي ، رضي الله عنه ، ص ١٣٣ ، وهو في أساس البلاغة (ذرى) ١/٢٩٨ منسوباً لحميد ، دون ذكر نسبته أو اسم أبيه ، وذكرته بعض المصادر لحميد بن حريث بن بحدل الكلبي ، وهو شاعر إسلامي ، كانت عمته ميسون بنت بحدل أم يزيد بن معاوية، ومن تلك المصادر : خزانة الأدب ٥/٢٤٢ ، والبيت بلا نسبة في ضرورة الشعر للسيرافي (ت. د.رمضان) ٧٧ والمنصف ١/١٠ وقد زعم محققا (معاني القراءات) للأزهري أن البيت في ديوان حميد بن حريث بن بحدل الكلبي ص ١٣٣! ولا يوجد – إلى الآن – ديوان يحمل هذا العنوان ، كما أن رقم الصفحة الذي ذكراه هو ذاته رقم الصفحة في ديوان حميد بن ثور ، بل إنهما أضافا أن الذي حقق ديوان ابن بحدل الكلبي هذا هو العلامة عبد العزيز الميمني ، وذكرا تاريخ الطبعة ، وهو ذاته تاريخ طبعة ديوان حميد بن ثور ، بما يعني أن المحققين خلطا– عمداً أو سهواً– بين الاسمين ، وإن كان احتمال السهو بعيداً ، لأن التشابه بين الشاعرين في

ثم شرع الأزهري بعد ذلك في نقل كلام الزجاج السابق بنصه وفصه ، بلا إشارة!

وقد قال ابن جني في زيادة هذه الألف من (انا) : " فأما الألف في (انا) في الوقف فزائدة ، وليست بأصل ، ولم نقض بذلك فيها من قبل الاشتقاق ، هذا محال في الأسماء المضمرة ، لأنها مبنية كالحروف ، ولكن قضينا بزيادتها من حيث كان الوصل يزيلها ويذهبها ، كما يذهب الهاء التي تلحق لبيان الحركة في الوقف " [1].

(ج) الألف في (بلى)

يري الفراء ان الألف في (بلى) زائدة ، وان اصلها (بل) واوجد نوعاً من التشابه بين عمل الحرفين ليبني عليه هذا الحكم ، حيث يقول[2] : " ... فإذا دخل الجحد في الاستفهام لم يستقم ان تقول فيه (نعم) فتكون كانك مقر بالجحد وبالفعل الذي بعده ، الا تري انك لو قلت لقائل قال لك : اما لك مال؟ فلو قلت نعم كنت مقراً بالكلمة بطرح الاستفهام وحده ، كانك قلت (نعم) مالي مال ، فأرادوا أن يرجعوا عن الجحد ويقروا بما بعده ، فاختاروا (بلى) لأن اصلها كان رجوعاً محضًا عن الجحد إذا قالوا : ما قال عبد الله بل زيد ، فكانت بل كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليها ، فزادوا فيها الفاً يصلح فيها الوقوف عليه ، ويكون رجوعاً عن الجحد فقط وإقرارا بالفعل

=الاسم الأول فقط ، كما أن المحققين زعما أيضاً أن البيت في التكملة ص ٢٨ ، وليس هناك شيء في الطبعة التي أحالا عليها!

(١) المنصف ١ / ٩ .

(٢) معاني الفراء ١/٥٢-٥٣.

بعد الجحد ، فقالوا : (بلى) فدلت على معنى الإقرار والإنعام ، ودل لفظ (بل) علي الرجوع عن الجحد فقط "

وهذا الذي ذكره الفراء اختلف فيه النحويون من بعده ، وذهبوا فيه كل مذهب ، فمنهم من وافقه ومنهم من خالفه ، فممن يفهم من كلامه الموافقة : المالقي ، إذ يقول[1] : " اعلم أن (بلى) تعطي من الإضراب ما تعطي (بل) ، إلا انها لا تكون ابداً جواباً للنفي " وكذلك ابن منظور ، إذ يقول [2] : " وإذا قال الرجل للرجل الا تقوم؟ فقال له : بلى ، أراد : بل أقوم ، فزادوا الألف علي بل ليحسن السكوت عليها "

وممن رفض هذا الراي : المرادي . حيث يقول[3] : " بلي حرف ثلاثي الوضع ، والألف من أصل الكلمة ، وليس أصلها (بل) التي للعطف... خلافاً لزاعمي ذلك ".

وذكر ابن هشام الرايين ، ولكنه صدر كلامه بما يشير لرفض زيادة الألف ، فقال [4] : " بلى حرف جواب أصلي الألف ، وقال جماعة : الأصل : بل ، والألف زائدة " . وكذلك فعل السيوطي في همع الهوامع [5].

❁❁❁❁

(١) رصف المباني في شرح حروف المعاني ١٥٧.

(٢) لسان العرب (بلا) ١٤/٨٨ دار صادر.

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني ٤٢.

(٤) مغني اللبيب ١/١١٣.

(٥) انظر همع الهوامع (تحقيق د. عبد العال سالم) ٤/٣٧٢-٣٧٣.

الإمالة

مفهومها :

الإمالة مصدر أمال يُميل ، وأصله في اللغة : العدول إلى شيء ، والإقبال عليه[1] ، قال ابن فارس : " الميم والياء واللام كلمة صحيحة ، تدل على انحراف في الشيء إلى جانب منه "[2] .

والإمالة في اصطلاح أهل العربية : " عدول بالألف عن استوائه ، وجنوح به إلى الياء ، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء "[3] .

وأوّل من تحدث عنها سيبويه حيث عقد لها بابًا بعنوان : (هذا باب ما تمال فيه الألفات) ، جاء في مستهله : " فالألف تمال إذا كان بعدها حرفٌ مكسور ، وذلك قولك : عابد ، وعالم ، ومساجد ، ومفاتيح ، وعذافر ، وهابيل . وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها ، أرادوا أن يقربوها منها ، كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا : صدر ، فجعلوها بين الزاي والصاد "[4] .

وهذا النص الرائد في بابه يدل على أن الإمالة لون من ألوان المماثلة الصوتية ، ولذا قال الدكتور محمود فهمي حجازي . في معرض تعليقه على كلام سيبويه السابق : " الإمالة ظاهرة من ظواهر المماثلة ، وتعني المماثلة أن صوتًا من الأصوات من كلمة أو ما يشبه الكلمة أثر في صوت آخر في نفس الكلمة ، فجعل نطقه قريبًا من نطقه ، أي جعل نطقه مماثلاً لنطقه ، وفي

(١) اللسان (ميل) ٦٣٦/١١ دار صادر .

(٢) مقاييس اللغة (ميل) ٢٩٠/٥ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٥٤/٩

(٤) الكتاب ١١٧/٤ .

شرح سيبويه لهذه الظاهرة تعليل بأن إمالة الفتحة إنما حدث لقربها من الكسرة ، فيتحدث سيبويه عن الألف ، ونتحدث نحن عن الفتحه الطويلة ، ويعتبر سيبويه الألف غير الممالة أصلاً ، والممالة فرعًا ، ونتحدث نحن عن اختلاف اللهجات "[1] .

أقسام الإمالة ودرجاتها :

يقسم القراء الإمالة على درجات ، ويذكرون لها أسماء عرفت بها هى:

١ - الإمالة ، مطلقة .

٢ - بين اللفظين ، أو بين بين ، أو التقليل ، أو التلطيف ، أو الصغرى .

٣ - الإمالة البليغة ، وتسمى الشديدة ، والإضجاع ، والبطح[2] .

نسبة الإمالة :

يرى الدكتور انيس ان علماء العربية اجمعوا على نسبة الإمالة لقبائل نجد ، والفتح لأهل الحجاز[3] ، ويُعكر على دعوى الإجماع هذه ان سيبويه يقول: " ومما يميلون الفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين ، إذا كان اول فعلت مكسورًا ... وهى لغة لبعض أهل الحجاز "[4] ، ويقول

---

(١) أسس علم اللغة العربية ٢٣٠ .

(٢) انظر النشر ٢/٣٠ والإتحاف ٧٤ ، ومخارج الحروف وصفاتها لابن الطحان الإشبيلى ١٠٠.

(٣) انظر فى اللهجات العربية ٦٠ .

(٤) الكتاب ٤/١٢٠ .

الأخفش[1] في معرض حديثه عن قوله تعالى : ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ (البقرة ٢/١٠).

" فناس من العرب يميلون ما كان من هذا النحو؛ وهم بعض أهل الحجاز " وهذا يعني أن الإمالة كانت فاشية في القبائل العربية ، وإن تفاوتت نسبة انتشارها من قبيلة لأخرى.

اما من القراء ، فقد عرف بالإمالة ثلاثة يطلق عليهم الأصحاب ، وهم حمزة والكسائي وخلف ، وربما وافقهم الأعمش[2] .

الإمالة عند أصحاب معاني القرآن :

عرض علماء معاني القرآن للإمالة في كتبهم كظاهرة صوتية ، مرتبطة أشد الارتباط بقراءة القرآن الكريم ، غير اني لم أجد من عرفها منهم سوي أبي علي الفارسي حيث يقول : " إن معنى قولنا : (أمال الألف) هو أن ينتحي بالفتحة التي قبل الألف المراد إمالتها نحو الكسرة انتحاء خفيفاً؛ كأنه واسطة بين الفتحة والكسرة ، فتميل الألف من أجل ذلك نحو الياء.... فهذه الألف الممالة هي كالواسطة بين الألف والياء " [3].

ويختلف علماء الأصوات المعاصرون مع هذا التعريف بناء على اختلافهم مع القدماء في وجود ما أسموه بالفتحة قبل الألف. إذ يري الأصواتيون المعاصرون ــ محقين ــ انه لا وجود لهذه الفتحة المزعومة قبل

---

(١) معاني الأخفش ٤١/١ .

(٢) انظر معجم القراءات ٥٨١/١١ .

(٣) الإغفال ١٦٣/١.

الألف ، وإنما صوت الألف نفسه هو حركة الفتحة الطويلة[1] ، وهو خلاف شائع معروف ، لم يعد في أمر تفصيله هنا كبير فائدة.

على أية حال فإن الصواب في تعريف الفارسي في أمر الإمالة : أن الألف (الفتحة الطويلة) تميل نحو الياء (الكسرة الطويلة) ، فهذا حق لا يختلف عليه احد ، كما ان وصفه لهذه الألف الممالة بأنها (كالواسطة بين الألف والياء) صحيح لا غبار عليه ، إذ يري الدرس الصوتي الحديث أن الناطق إذا فتح فاه إلى اقصى حد ، وارسب لسانه في الحنك الأسفل ، فإن الصوت الذي ينتج عن هذه الحالة ، هو ما سماه علماء المعاني ، وعلماء التجويد بألف التفخيم ، وكلما ضيق الناطق درجة الانفتاح تغير الصوت ، حتى إذا بلغ اقصى درجات التضييق كان الصوت الناتج هو ياء المد ، وبين ألف التفخيم وياء المد انواع من الأصوات هي التي سماها العلماء بالألف الخالصة المعتادة ، وبالإمالة المتوسطة ، وبالإمالة الشديدة ، وسواء عددنا تلك الأصوات فروعاً للألف ، أو عددناها اصواتاً مستقلة ، فإنها تندرج في المقياس الذي اهتدي إليه علماء الأصوات المحدثون ، وسموه بالحركات المعيارية (Cardinal Vowels)[2]

بين الإمالة والمماثلة :

الذي لا مرية فيه ان الإمالة - في كثير من حالاتها - نوع من المماثلة ، التفت إلى هذه الحقيقة بعض القدماء ، والعجيب أن أول من تحدث عن هذا

---

(١)انظر علي سبيل المثال : الأصوات اللغوية ٣٩ وعلم الأصوات ٤٣٩.

(٢) انظر : علم الأصوات ٢٢٥ ، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٧٥
Anoutiline of English phonetics : pp 198
والمدخل إلى علم اللغة ٩٣.

من اهل المعاني ابو علي الفارسي أيضاً – وهو أوسعهم حديثا عن الإمالة بصفة عامة - إذ يقول [1] : " إلا انه يجب أن نفهم أن هذا الحد يشبه حد الإدغام ؛ لأنه يقرب فيه حرف من حرف مشابه ، كما أن الإدغام يقرب فيه الحرف من الحرف المشابه به... فكما أن الإدغام يقرب فيه تارة الحرف الأول من الثاني ، وتارة الحرف الثاني من الأول ، فكذلك قد يقرب الألف من الياء ومن الكسرة ، إذا وقعتا قبلها أو وقعتا بعدها " . وهذا في نظري نص نادر وعجيب في دقته في هذا الوقت المبكر غير اني وجدت عند الفارسي أعجب من هذا ، وهو أ نه يسمي المماثلة ـ التي درج المحدثون على استخدامها كمصطلح من بدايات القرن الماضي ــ بالاسم نفسه الذي عرفه المحدثون ، أعني : المماثلة!

وبذا يكون ــ كما أري ــ أول من استخدم مصطلح المماثلة على الإطلاق؛ إذ يقول في معرض حديثه عن بعض أنواع الإمالة [2] : " إن الإمالة مع هذه المستعلية لا تجوز من حيث جاز غير الفتح في ، هذا الضرب من المضارع؛ لأن المشاكلة والمماثلة بالفتح في عين المضارع أقل منها في الألف مع المستعلي؛ الا تري أن الفتحة بعض الألف ، فلا يلزم إذا لم تحتفل بيسير الخلاف الا تحتفل بكثيره " .

ولو تركنا الفارسي ، وإبداعاته ، وعدنا إلي الإمالة والمماثلة ، لرأينا ابن جني ، وهو تلميذ الفارسي ، يسير علي نهج أستاذه حين يعد الإمالة نوعاً من تقريب الحرف من الحرف [3] ، وكذلك رأي كثير من المحدثين ، ولذا رأيت أن

---

(١) الإغفال ١/١٦٤–١٦٥.

(٢) الإغفال ١/١٧٨.

(٣) انظر الخصائص ٢/١٤٣.

اتحدث عن الإمالة في مكانها الذي غابت عنه في كتابات الكثيرين على الرغم من إقرارهم بأن الإمالة لون من المماثلة.

أسباب الإمالة عند علماء المعاني :

اشار بعض علماء المعاني إلى اسباب الإمالة ، لكنها إشارات عجلى ، ليست محيطة ولا مستوعبة لجملة تلك الأسباب ، كقول الزجاج مثلاً[1] : " والإمالة لغة بني تميم وغيرهم من العرب... فالعرب تقول : هذا عابد وهو عابد ، فيكسرون ما بعدها ، إلا ان تدخل حروف الإطباق وهي الطاء والظاء والصاد والضاد ، لا يجوز في قولك : فلان ظالم : ظالم ممال... وكذلك حروف الاستعلاء ، وهي : الخاء والعين والقاف ، لا يجوز في غافل : غافل ممال... "

فهذا النص ــ كما ترى ــ لا يصلح لمن يريد ان يستنبط منه أسباب الإمالة إلا بشق الأنفس، والأمر كذلك في كتابات غيره من اهل المعاني ، لا اكاد استثني منهم احداً سوى المبدع المتفرد في هذا الباب ابي علي الفارسي ، حيث جمع اسباب الإمالة كما يراها في قوله [2]: " وعد تلك الأسباب التي تمال لها هذه الألف نحو الياء ستة ، فيما أخذناه عن أبي بكر ، وهي : أن يكون قبل الحرف أو بعده ياء أو كسرة ؛ فإن الألف تمال لكل واحد منهما ، أو تكون الألف منقلبة إلى ياء نحو : رمًى وحبلى ، أو تكون مشبهة بالمنقلبة عن الياء ، وإن كان الانقلاب عن الواو ، نحو : غزا واستغزى ، أو يكون الحرف الذي قبل الألف قد يكسر في حال ، أو لإمالة ، فهذه هي الأسباب الموجبة للإمالة ما لم يقارنها حرف مستعل ، أو راء غير مكسورة ".

---

(١) معاني الزجاج ١/١٢٤.

(٢) الإغفال ١/١٦٤.

وهـذه الأسـباب ذكرهـا كـثير مـن القـدماء والمحـدثين[1] ، غـير اننـا نستطيع أن نرجعها جميعاً لسببين اثنين ، كما يري الدكتور إبراهيم انيس ، إذ يقول : " فإمالة الفتح إلى الكسر يجب في الحقيقة أن تعزي بصفة عامة إلي أحد عاملين :

١ - الأصل اليائي.

٢ - الانسجام بين أصوات اللين " [2].

وقد رفض الدكتور أنيس ما يراه بعض النحاة والقراء من جواز الإمالة فيما أصله واو ، قائلاً : " غير أنه من الصعب مع هذا أن نبرر من الناحية الصوتية ما زعمه بعض النحاة من جواز الإمالة فيما أصله واو مثل (خاف) لأن الإمالة في مثل هذه الحالة كان حقها أن تكون من الفتح إلى الضم ، لا من الفتح إلي الكسر " [3].

وكلام الدكتور أنيس مؤسس علي طريقة إنتاج أصوات العلة التي ذكرتها فيما سبق.

---

(١) انظر علي سبيل المثال الأصول لابن السراج ٣/١٦٠ والنشر ٢/٣٢-٣٤ وشرح شافية ابن الحاجب للرضي الاستراباذي٣/٤ وما بعدها و معجم القراءات ١١/٥٨-٥٩

(٢) في اللهجات العربية ٦٨.

(٣) في اللهجات العربية ٦٨-٦٩.

نماذج للإمالة عند أصحاب المعاني.

أ) في الأسماء :

١ - إمالة الألف الزائدة :

❖ يقول الأخفش : " وامالوا كل ما كان نحو : (فَعْلي) و (فُعْلي)؛ نحو: (بشري) و(مرضي) و(سكرى)؛ لأن هذا لو ثني كان (بالياء) فمالوا اليها " [١].

وهذا ما يراه جامع العلوم النحوي ، إذ يقول : " واعلم ان إمالة (موسى) حسنة جائزة؛ لأنه (فُعلى) ، والفها تنقلب ياء في التثنية ، إذا قلت (موسيان) ، كذلك (فِعلى) نحو عيسي، إذا قلت (عيسيان) ، وكذلك (فَعْلى)، نحو تقوى، تمال الفها ، لأنها تنقلب في التثنية ياء " [٢].

❖ وجوز ابو علي الفارسي الإمالة في لفظ الجلالة (الله) بناء على ترجيحه أن يكون اصله (إلاه) ، ومما قاله في هذا : " فأما الإمالة في الألف من اسم (الله) تعالى ، فجائز في قياس العربية ، والدليل علي جوازها فيه ان هذه الألف لا تخلو من ان تكون زائدة لـ (فعال) ، كالتي في (إزار) وعماد ، او تكون عين الفعل ، فإن كانت زائدة لـ (فعال) جازت فيها الإمالة من جهتين : إحداهما : أن الهمزة المحذوفة كانت مكسورة ، وكسرها يوجب الإمالة في الألف... ويجوز إمالتها من جهة اخري؛ وهي أن لام الفعل منجرة ، فتجوز الإمالة لا نجرارها... فإن كانت الألف في الاسم عيناً ليست بزائدة ، جازت إمالتها وحسنت فيها؛ إذ كان انقلابها عن الياء ، بدلالة قولهم : (لَهِيَ ابوك)

---

(١) معاني الأخفش ٤٢/١.

(٢) الكشف ١٩٢/١.

، وظهور الياء لما قلبت إلى موضع اللام " [1].

٢ - إمالة الاسم المقصور :

يري الأخفش أن المعول في إمالة المقصور على تثنيته ، فإن كانت تثنيته بالياء جازت إمالته ، وإن كانت بالواو فلا إمالة ، ولذلك يقول عن (شفا) و(قفا) : " وتثنيته بالواو... فلما لم تجئ فيه الإمالة عرفت أنه من الواو " [2] ، وجاء عند الزجاج في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ (الكهف ٦٠/١٨) : " وإن شئت قلت بالإمالة والكسر ، وهي لغة تميم وأهل الحجاز يفتحون ويفخمون" [3].

وجاء في مفاتيح الأغاني للكرماني[4] : " وقرا أبو عمرو ﴿ فِي هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ ﴾ (الإسراء ٧٢/١٧) بكسر الميم ، ﴿ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (الإسراء ٧٢/١٧) بفتح الميم ، أراد أن يفرق بين ما هو اسم ، وبين ما هو فعل منه ، فغاير بينهما بالإمالة وتركها " .

ويري جامع العلوم النحوي أن الإمالة في الموضعين جميعاً حسنة ، إذ يقول : " بترك إمالتهما ، وإمالتهما جميعاً ، وكلتاهما حسنة ، والزيات يميل الأولي دون الثانية ، لأن الثانية لما كان من عمي القلب ، وكان بناء المبالغة ، وكان في التقدير : فهو في الآخرة أعمي من غيره ، رأي الألف وسط الكلمة

---

(١) الإغفال ٧١/١-٧٢.

(٢) معاني الأخفش ٢٢٨/١.

(٣) معاني الزجاج ٢٩٨/٣.

(٤) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ٢٥٠-٢٥١.

عنده ، فلم ير إمالتها " [1] كما راي الجامع جواز الإمالة في ﴿ مَجْرٰيهَا ﴾ (هود ٤١/١١) لأصلها اليائي[2].

وجواز الإمالة في (اسارى) " لأن الألف وقعت حيث يمال مثلها ، نحو : (حبالي) و(صحارى) [3] في جمع حبلى وصحراء " [4].

٣ ـ إمالة الف (فاعل) :

جاء عند الزجاج في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ (البقرة ٤١/٢) " اللغة العليا والقدمي الفتح في الكاف ، وهي لغة أهل الحجاز ، والإمالة في الكاف ايضاً جيد بالغ في اللغة ؛ لأن فاعلاً إذا سلم من حروف الإطباق ، والحروف المستعلية ، كانت الإمالة فيه سائغة إلا في لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة بني تميم وغيرهم من العرب... فالعرب تقول هذا عابد ، وعابد ، فيكسرون ما بعدها ، إلا ان تدخل حروف الإطباق ، وهي الطاء والصاد والضاد.... وكذلك حروف الاستعلاء ، وهي : الخاء والعين والقاف " [5]

وقد تعقب الفارسي استاذه الزجاج في قوله هذا بكلام طويل ، نقتطف منه قوله : " فاما قول ابي إسحاق : (الإمالة في كافر جيدة ؛ لأن فاعلاً إذا

---

(١) الكشف ٤٤/٢.

(٢) انظر الكشف ٥٢٥/١.

(٣) يجوز في جمع حبلى وصحراء : حبالي وصحاري ، بفتح اللام وكسرها ، كذلك الراء ، انظر لسان العرب (صحر) ٤٤٤/٤ دار صادر ، وجموع التكسير في القرآن الكريم للدكتور مفرح سعفان ٣٣١.

(٤) الكشف ٢١١/١.

(٥) معاني الزجاج ١٢٣/١-١٢٤.

سلم من حروف الإطباق والحروف المستعلية كانت الإمالة فيه سائغة ، ففاعل تسوغ فيه الإمالة ، وإن كان فيه حرف مستعل ، نحو طارد وغارم ونحو هذا ، وقد لا تسوغ فيه الإمالة ، وإن سلم من حروف الإطباق ، نحو : راشد وراتب وراجز و﴿ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾ (الرعد ١٣/١٧) ونحو هذا مما أوله الراء ، وإذا كان كذلك لم يكن في قوله : (إذا سلم من حروف الإطباق) كبير إفادة ، ولا توصل إلي إصابة الا ترى انك لو املت : (راشداً) ونحوه مستمسكاً بقوله : (إن فاعلاً إذا سلم من حروف الإطباق ساغت إمالته) لأداك ذلك إلى غير الصواب ، واجزت غير جائز ، وكذلك لو امتنعت من إمالة (طارد) وبابه ، فقلت : إنه غير سالم من الإطباق ، لمنعت جائزاً... " [1]

وهذا كما ترى - تعقب علمي محض ، بحثاً عن دقة العبارة ، وانضباط الأسلوب ، وإن شابه بعض الحدة ، وعدم الاستقصاء لكلام الزجاج في المواضع المختلفة ، ذلك ان الزجاج أشار إلي ما ذكره أبو علي في مواضع اخرى من كتابه ومنها قوله : " لا تقول : هذا صالح ، بإمالة الصاد إلى الكسر ، فإن كان موضع اللام راء جاز الكسر ، تقول هذا صارم ، ولا تقول : مررت بضابط ـ بإمالة الضاد ـ ولكن تقول : مررت بضارب ، فتسهل الراء المكسورة كسرة الصاد والضاد المطبقتين " [2] ولو جمع الفارسي كلام الزجاج هنا إلى كلامه هناك لخفف من لهجته كثيراً لأن الزجاج ذكر في هذا الموضع زوال مانع الإمالة لوجود الراء المكسورة ، وهذا ما كان يظن الفارسي أنه فاته فتعقبه فيه!

---

(١) الإغفال ١/١٦٩.

(٢) معاني الزجاج ٥/١٦٧.

ومن إمالته اسم الفاعل ايضاً ما جاء عند الأزهري[1] في قوله تعالى ﴿ جُرُفٍ هَارٍ ﴾ (التوبة ٩/١٠٩) : " قرا ابن كثير وحفص عن عاصم وحمزة ويعقوب (هار) مفخماً ، وقرا نافع وابن عامر ويحيى عن ابي بكر عن عاصم والكسائي ممالاً ، قال الأزهري : هما لغتان ، والتفخيم افصح اللغتين " . وواضح أن الذي سوغ الإمالة هنا هو مجيء الراء مكسورة ، كما أشار الزجاج والفارسي من قبل.

٤ - إمالة الأسماء من غير صيغة فاعل :

ذكر الزجاج بعض الأمثلة للإمالة في الأسماء ، التي ليست علي صيغة فاعل ، مثل : ﴿ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ (الأنعام ٦/٢٧) ، و﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (الجمعة ٦٢/٥) ، حيث يري ان الإمالة في (النار) و(حمار) حسنة جيدة " لأن الراء بعد الألف مكسورة ، وهي حرف ، كأنه مكرر في اللسان ، فصارت الكسرة فيه كالكسرتين " [2]

وقال في موضع آخر : " وقرا ابو عمرو : (كمثل الحمار) بكسر الألف ، وهذه الإمالة ، كسر الراء ، كثير في كلام العرب " [3].

وفي قوله تعالى : ﴿ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ (النساء ٤/٩) قال الأزهري : " امال حمزة وحده (ضعافا خافوا) وقراها الباقون بالتفخيم ، قال ابو منصور : الإمالة فيها غير قوية عند النحويين ، فلا يقرآن إلا بالتفخيم " [4]

---

(١) معاني القراءات ١/٤٦٥.

(٢) معاني الزجاج ٢/٢٣٩.

(٣) معاني الزجاج ٥/١٧٠.

(٤) معاني القراءات ١/٢٩٢.

والأزهري يقصد بكلمة (فيها) كلمتي : ضعافاً وخافوا معاً . وقد ضعف الإمالة فيها وجود حرف مفخم في الكلمة الأولى(الضاد) ، وحرف مستعل في الثانية (الخاء).

وفي الكشف : " ومن امال ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ (البقرة ٢/٧) ، فلأجل كسرة الراء ، أمال الألف ليقربها من كسرة الراء ، وهي لغة تميمية . أرادوا بها المشاكلة والمطابقة ، ومن لم يملها أجراها على الأصل ، وهي الحجازية " [١].

ويرى الجامع جواز الإمالة في ﴿ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ﴾ : " لأن الألف في (التوراة) بدل من الياء " [٢].

ويضع الفراء قاعدة مهمة في هذا الصدد ، وهو يتحدث عن كلمة (تترى) إذ يقول : " ... ويكون الوقوف حينئذ عليها بالياء وإشارة إلى الكسر ، وإن جعلتها الف إعراب لم تشر ، لأنك لا تشير إلى الفات الإعراب بالكسر ، ولا تقول رأيت زيدي ولا عمري " [٣].

اي ان الإمالة عنده لا يجوز ان تدخل الف الإعراب في نحو قولك : رأيت زيداً ، لأن هذا قد يوهم بأن الكلمة مكسورة ، مما يخل بقواعد الإعراب كلها .

وذكر ابو بكر بن إدريس بعض مواضع الإمالة عند القراء في مواضع متعددة من كتابه ، منها علي سبيل المثال قوله : " قوله ﴿ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ اما لها الكسائي في جميع القرآن ، والجميع على التفخيم علي الأصل " [٤].

---

(١) الكشف ١/١٧٩.

(٢) الكشف ١/٣١٧.

(٣) معاني الفراء ٢/٢٣٦.

(٤) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ل ٣(أ)

ب‌ـ في الأفعال :

في قوله تعالى : " ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ (البقرة ٢/١٠) يقول الأخفش : " فمن فخم نصب (الزاي) فقال : (زادهم) ، ومن أمال كسر (الزاي) فقال : (زادهم) ؛ لأنها من (زدت) أولها مكسور " [1].

ويبين الأخفش منهجه في شروط الإمالة في الأفعال قائلاً : [2] " ... وكما كان من نحو هذا ، من بنات الواو ، وكان ثالثاً نحو : ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ (الشمس ٩١/٢) ، ونحو : ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ (الشمس ٩١/٦) ، فإن كثيراً من العرب يفخمه ولا يميله ؛ لأنها ليست بـ (ياء) فتميل إليها ، من (طحوت) و(تلوت). فإذا كانت رابعة فصاعداً أمالوا ، وكانت الإمالة هي الوجه ؛ لأنها حينئذ قد انقلبت إلى الياء ، ألا ترى أنك تقول : (غزوت) و(اغزيت) ، ومثل ذلك : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾ (الشمس٤ ٩١/٤) ، و﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ الأعلى ٨٧/١٤) ، و ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ (الليل ٩٢/٢) ، أمالها لأنها رابعة " .

وأبان الزجاج عن منهجه أيضاً في قوله : " تقرأ (جاءهم) بفتح الجيم والتفخيم ، وهي لغة أهل الحجاز... والإمالة إلى الكسر لغة بني تميم وكثير من العرب ، ووجها أنها الأصل من ذوات الياء ، فأمليت لتدل على ذلك " [3].

---

(١) معاني الأخفش ١/٤٠.

(٢) معاني الأخفش ١/٤١.

(٣) معاني الزجاج ١/١٧٠.

وعاد الزجاج فأكد قوله مرة اخرى فقال : " واما (جاءهم) بالكسر ، فلغة تميم ، وكثير من العرب ، وهي جيدة فصيحة ايضاً ، فالذي يميل إلى الكسر يدل على أن الفعل من ذوات الياء ، والذي يفتح؛ فلان الياء قد انقلبت صورتها إلى الألف ، وفي الألف حظها من الفتح ، وكل مصيب "[1].

ومن هذا القبيل إمالة كلمة (خافوا) التي ذكرها الأزهري فيما مضى[2].

اما جامع العلوم النحوي فقد قال [3] في قوله تعالى : ﴿ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ (فاطر ٨/٣٥) :"وقرئ : (فرآه) بالإمالة وفتح الراء وبالإمالة وإمالة فتحة الراء فمن امال فتحة الهمزة فلأن الألف بدل من الياء ومن امال الراء فهو تبع لإمالة الهمزة "، وهذا كلام دقيق؛ لأن أصل الألف هنا ياء ، فالفعل (راى) مصدره رؤيا ، وأما إمالة الراء فمن باب الإمالة للإمالة ، وهي سمة صوتية مطردة نبه عليها القدماء كثيراً ، ومنهم الفارسي في كلامه الطويل الذي سقته آنفا.

ومن الإمالة ايضاً ما ذكره الكرماني في كتابه حيث يقول [4] : " وقرا حمزة (ونأى) بإمالة الفتحتين ، امال فتحة الهمزة؛ لأن الألف منقلبة عن الياء التي في (النأي) اراد ان ينحو نحوها ، وامال فتحة النون؛ لإمالة فتحة الهمزة ".

---

(١) معاني الزجاج ٣٨٦/١-٣٨٧.

(٢) انظر معاني القراءات ٢٩٢/١.

(٣) الكشف ٢٤٣/٢.

(٤) مفاتيح الأغاني ٢٥٢.

وقد جاء في معاني الفراء [1] رسم للفعل بالحروف المنفصلة لبيان الإمالة ، إذ يقول : " لئن انجانا " قراءة اهل الكوفة - وكذلك هي في مصاحفهم - (أن ج ي ن الف) ، وبعضهم بالألف (انجانا) ، وقراءة الناس (انجيتنا) بالتاء " فرسمها هكذا بالياء ، للدلالة على انها تقرا بالإمالة.

جـ- الإمالة في الحروف :

١ - الإمالة في فواتح السور :

اجاز بعض اهل المعاني الإمالة في فواتح السور ، ومن هؤلاء الزجاج حيث يقول في ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ (مريم ١/١٩): " فيها في القراءة ثلاثة اوجه : فتح الهاء والياء ، وكسرهما ، وقراءة الحسن بضم الهاء : كهيعص ، وهي اقل اللغات ، فأما الفتح فهو الأصل... ومن العرب من يقول : ها يا ، بالكسر.. " [2].

ويقول ايضاً في (طَهَ) : " يقرا " طه " بفتح الطاء والهاء ، وتقرا (طِهِ) بكسرهما " [3].

واوضح الكرماني ما ابهمه الزجاج من اسباب جواز هذه الإمالة في فواتح السور دون غيرها فقال : " وقرا ابو عمرو : (ها) (يا) بالتفخيم والإمالة ، وإمالة هذه الحروف لا تمتنع؛ لأنها ليست بحروف معني ، وإنما هي من أسماء ما يتهجي به ، فلما كانت اسماء غير حروف ، جازت فيها الإمالة ، ويدل على انها أسماء إذا اخبرت عنها اعربت ، كما ان اسماء العدد إذا أخبرت عنها اعربت " [4].

---

(١) معاني الفراء ٣٣٨/١.

(٢) معاني الزجاج ٣١٧/٣.

(٣) معاني الزجاج ٣٤٩/٣.

(٤) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ٢٦٦.

٢ ـ الإمالة في بقية الحروف :

نقل الزجاج في معانيه راي سيبويه والخليل في عدم جواز الإمالة في الحروف ، وسكت عنه ، بما يعني ا نه يوافقهما ، حيث يقول [١] : زعم سيبويه والخليل ان (حتى) و(إما) و(إلا) لا تجوز فيهن الإمالة، لا يجيز (حتى إذا جاءتهم) ولا يجيز (اما) ولا (لا إله إلا الله) هذا لحن كله ، وزعم ان هذه الفات الفتح لأنها اواخر حروف جاءت لمعني ، ففصل بينها وبين اواخر الأسماء التي فيها الألف نحو حبلي وهدي؛ إلا ان حتى كتبت بالياء؛ لأنها على أربعة احرف ، فاشبهت سكرى ، و(إما) التي للتخيير شبهت بإن التي ضمت إليها (ما)، مثل قوله : ﴿ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ ﴾ (الكهف ٨٦/١٨) كتبت بالألف لما وصفنا ، و(إلا) ايضاً كتبت بالألف؛ لأنها لو كتبت بالياء لأشبهت إلى " .

د ـ الإمالة في رءوس الآي :

ذكر الفراء في معانيه ان الإمالة في الفواصل القرآنية تأتي أحياناً لمشاكلة الفواصل التي تتقدمها ؛ وإن كان اصل بعضها بالواو حيث يقول [٢] : " وقوله عز وجل ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ .... من ذلك : تلاها ، وطحاها ، ودحاها؛ لما ابتدئت السورة بحروف الياء والكسر اتبعها ما هو من الواو ، ولو كان الابتداء للواو لجاز فتح ذلك كله... " .

وهذا ما ذكره ابن الجزري بعد ذلك في النشر ، حيث راي ان إمالة الضحي والقوي وضحاها ، وتلاها ، من قبيل الإمالة للإمالة ، لأنها بسبب إمالة رءوس الآي قبل وبعد [٣].

(١) معاني الزجاج ٢٣٥/٢.

(٢) معاني الفراء ٢٦٦/٣.

(٣) النشر ٣٤/٢.

هـ - نوع آخر من الإمالة :

ذكر بعض علماء المعاني إلى جوار إمالة الفتحة نحو الكسر ، نوعاً آخر من الإمالة ، وإن لم يكن شائعاً كسابقه ، وهو إمالة الكسرة نحو الضمة ، ومن ذلك قول الأخفش [1] : " وإذا قيل لهم : فمنهم من يضم أوله؟ لأنه في معنى (فُعِل)... ومنهم من يقول في الكلام : (قد قُول له) ، (وقد بُوع المتاع) إذا أراد : (قد بُيْع) و (قُيل) ، جعلها واواً حين ضم ما قبلها؛ لأن الياء الساكنة لا تكون بعد حرف مضموم. ومنهم من يروم الضم في (قيل) مثل رومهم الكسر في (رد). لغة لبعض العرب أن يقولوا : (رد) فيكسرون الراء ، ويجعلون عليها حركة الدال التي في موضع العين ، وبعضهم لا يكسر الراء، ولكنه يشيمها الكسر ، كما يروم في (قيل) الضم " وهذه الكسرة المشوبة بالضمة ، والضمة المشوبة بالكسرة في معاني الزجاج أيضاً ، حيث يقول : " والأصل في (قيل) : (قول) ولكن الكسرة نقلت إلى القاف؛ لأن العين من الفعل في قولك (قال) نقلت من حركة إلى سكون ، فيجب أن تلتزم هذا السكون في سائر تصرف الفعل. وبعضهم يروم الضمه في (قيل) ، وقد يجوز في غير القرآن : قد قول ذلك ، وأفصح اللغات (قيل) ، و(غُيض) ، و﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ ﴾ (الزمر ٣٩/٧٣) وإن شئت قلت : قيل ، وغيض وسيق ، تروم في سائر أوائل ما لم يسم فاعله الضم في هذا الباب " .



(١) معاني الأخفش ١/٤٣-٤٤.

٢٤٣ ساقط من أصل المصدر





انتهت بعون الله الدراسة الصوتية
ويليها بإذن الله الدراسة الدلالية